



مِنْ سورةِ الفاتِحَةِ ـ إلى الآيةِ ١٦٠ مِنْ سورةِ البَقَرَةِ

تأليف

الأستاذ الدكتور فضل عبّاس

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



هاتف 5698308 - فاكس 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٩٢٥/ ٤/ ٢٠٠٦)

٢٢٢,٦

عباس، فضل حسن
التفسير المنهجي: من سورة الفاتحة إلى الآية ١٦٠ من سورة
البقرة / فضل حسن عباس. عمان: دار المنهل، ٢٠٠٦

(٢٢٢) ص (سلسلة تفسير القرآن الكريم؛ ١).
ر.إ: (٩٢٥/ ٤/ ٢٠٠٦).
الواصفات: / تفاسير القرآن// القرآن // سور القرآن // الآيات
القرآنية /

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

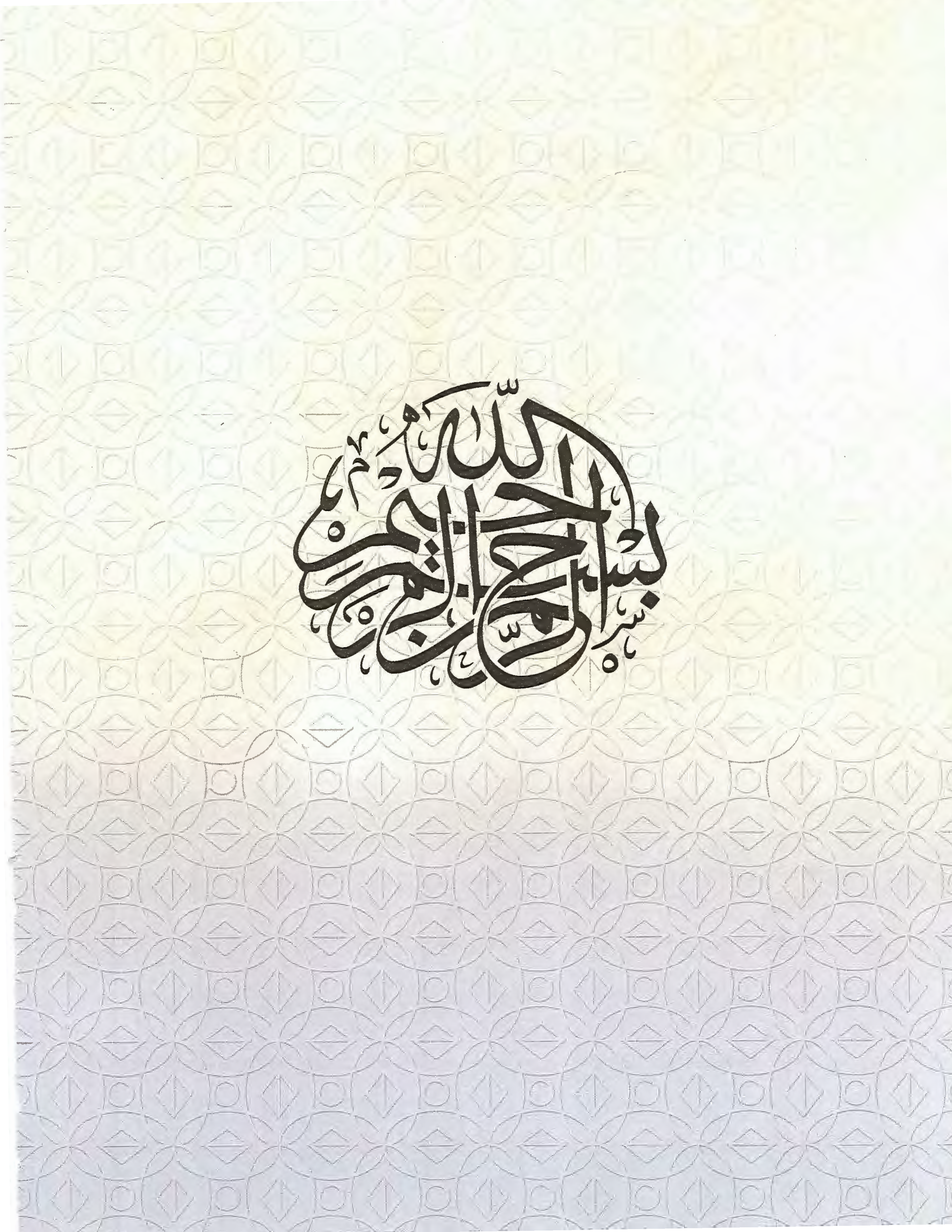
الطبعة الأولى

2006

رقم الإجازة: 2006 / 4 /1028
رقم الإيداع: 2006 / 4 /925
التصنيف الدولي: 9957-08-516-8

مؤلفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ على نبِّينا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربِهِ إلى يومِ الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّورِ ، ويَهديَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَسَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائِكَةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمَةِ هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلَّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسِيرها ، وكانَ لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسيرِ أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريسِ في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالِي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنِهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إِمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تَخريجُ الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديثِ .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَبَّلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ الفاتِحَةِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هِيَ سورَةٌ مَكِّيَّةٌ وهِيَ مِنَ السُّوَرِ ذَواتِ الأَسْماءِ الكَثيرةِ ، فَقدْ ذَكَرَ لَها بَعْضُ المُفَسِّرينَ أكثرَ مِنْ عِشْرينَ اسْماً ، مِنْ هذهِ الأَسْماءِ :

١ـ الفاتِحَةُ : وقَدْ ثَبَتَ هذا الاسْمُ في أحاديثِ الرَّسولِ ﷺ ، مِنْ ذلكَ قَوْلُهُ ﷺ : « لا صَلاةَ لمنْ لَمْ يَقْرَأْ بفاتِحةِ الكِتابِ » ، وسُمِّيَتْ كذلكَ لأنَّها جُعِلَتْ أوَّلَ القُرآنِ .

٢ـ أُمُّ القُرْآنِ : وقدْ جاءَ في صَحيحِ البُخاريِّ أنَّ أبا سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضِيَ اللهُ عَنهُ رَقى مَلْدوغاً ، فَجَعلَ يَقرأُ عليهِ بأُمِّ الكِتابِ ، وسُمِّيَتْ أُمَّ القُرْآنِ ، لأنَّ الأُمَّ أصْلُ الشَّيْءِ .

٣ـ السَّبْعُ المثاني : جاءَ في صَحيحِ البُخاريِّ عَنْ أبي سَعيدِ بنِ المُعَلّى قالَ : كنتُ أُصَلّي في المسجدِ فَدَعاني رسولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ ، فَقُلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، إنّي كُنتُ أُصَلّي ، فقالَ : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿اسْتَجيبوا للهِ وللرَّسولِ إذا دَعاكُمْ﴾ ، ثُمَّ قالَ : ألا أُعْلِمُكَ سورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ في القرآنِ ، قَبْلَ أنْ تَخْرجَ مِنَ المَسْجدِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدي ، فَلمّا أرادَ أنْ يَخرُجَ قلتُ لهُ : أَلَمْ تَقُلْ لأَعُلِّمَنَّكَ سورَةً هِيَ أعْظَمُ سورةٍ في القُرآنِ ، فقالَ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ، هِيَ السَّبْعُ المثاني والقُرآنُ العَظيمُ الَّذي أُوتيتُهُ[1] .

وسُمِّيَتْ كَذلِكَ لأنَّها سَبْعُ آياتٍ باتِّفاقِ المُفَسِّرينَ . أَمّا المَثاني فَسُمِّيَتِ السُّورةُ كَذلِكَ لأنَّ آياتِها تُثَنَّى ؛ أيْ : تُقرَأُ في كلِّ رَكْعَةٍ ، وقيلَ التَّثْنِيَةُ بِمَعْنى التَّكريرِ ، سُمِّيَتْ بِذلكَ لأنَّ الفاتِحَةَ تُثَنّى في الصَّلاةِ ، أيْ : تُكَرَّرُ .

ومِنْ أسْماءِ السّورَةِ الّتي ذَكَرَها العُلَماءُ : الكَنْزُ ، الوافِيَةُ ، الكافِيَةُ ، وسورَةُ الدُّعاءِ .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل فاتحة الكتاب ، رقم الباب (٩) ، رقم الحديث (٤٧٢٠) .

سورَةُ الفاتِحَةِ تَشْتَمِلُ عَلى مَقاصِدِ القُرْآنِ جَميعِها . ومَقاصِدُ القُرآنِ هِيَ ما يُقصَدُ بِهِ تَربيةُ النَّوْعِ الإنْسانِيِّ تَرْبِيةً صَحيحةً ، وهذهِ المقاصِدُ هِيَ :

١ـ التَّوحيدُ ، ويُرْشِدُ إليهِ في السّورَةِ قولُهُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

٢ـ الوَعْدُ والوَعيدُ ، ويُرْشِدُ إليهِ قولُهُ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، إذِ الدّينُ هوَ الجَزاءُ ، وهوَ إمّا ثوابُ المُحْسِنِ أوْ عِقابُ المسيءِ .

٣ـ الأَمْرُ والنَّهْيُ ، ويُرْشِدُ إليهِ قولُهُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

٤ـ القَصَصُ والأَخْبارُ ، ويُرْشِدُ إليهِ قولُهُ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

وممّا يَدُلُّ عَلى عِظَمِ سورَةِ الفاتِحَةِ ما جاءَ في الحديثِ القُدُسيِّ : « قَسَمْتُ الصَّلاةَ بيْني وبَيْنَ عَبْدي نِصْفَيْنِ ، ولِعَبْدي ما سَأَلَ ، فإذا قالَ العَبْدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، قالَ اللهُ : حَمِدَني عَبْدي ، وإذا قالَ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، قالَ اللهُ : أَثْنى عَليَّ عَبْدي ، فإذا قالَ العَبْدُ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، قالَ اللهُ : مجَّدني عَبْدي ، وإذا قالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، قالَ : هذا بَيْني وبَيْنَ عَبْدي ، ولِعَبْدي ما سَأَلَ ، فإذا قالَ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، قالَ هذا لِعَبْدي ، ولِعَبْدي ما سَأَلَ »(١) .

البَسْمَلَةُ :

والبَسْمَلَةُ ، هي قَوْلُنا : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

بدأَ سُبْحانَهُ وتَعالى كِتابَهُ بالبَسْمَلَةِ ، لِكَيْ يُدْرِكَ المُسْلِمُ أنّهُ يَنْبَغي أَنْ لا يُبْدَأَ عَمَلٌ باسمٍ غَيْرِ اسْمِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى . وكلُّ أَمْرٍ بُدِيءَ بغيرِ اسْمِ اللهِ تَعالى هُوَ مِنْ عَمَلِ الجاهِلِيَّةِ ، وكلُّ عَمَلٍ لَمْ يُبْدَأْ ببسمِ اللهِ فهُوَ أَبْتَرُ ، مِنْ هُنا كانَ المعنى لقولِهِ « بسمِ اللهِ » أَقْرَأُ ، أو بسمِ اللهِ أَتْلو ، إذْ إنَّ الجارَّ والمجرورَ « بسمِ » يَحتاجُ إلى مُتعلِّقٍ يَتَعَلَّقُ بهِ ، فإذا أَرَدْتَ الشُّرْبَ مَثَلاً قلتَ : « بسمِ اللهِ » أيْ : باسمِ اللهِ أَشْرَبُ ، وإذا أَرَدْتَ الأَكْلَ قلتَ : بسمِ اللهِ ، أيْ : باسمِ اللهِ آكُلُ ، وهُنا كَذلكَ إذا أردْتَ القِراءَةَ قُلْتَ : بسمِ اللهِ ، أي : باسمِ اللهِ أَقْرَأُ ، وتَقْديمُ الجارِّ والمَجْرورِ هُنا يُفيدُ الحَصْرَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة رقم الباب ١١ ، حديث ٣٩٥ .

والاخْتِصاصَ ، أيْ : لا يُمْكِنُ أنْ تكونَ قِراءَتي وتِلاوَتي وأيُّ عَمَلٍ أقومُ بِهِ إلاّ باسْمِ اللهِ تَعالى لا باسْمِ غَيْرِهِ ، لا كَما يَقولونَ : باسمِ الشَّعْبِ ، وباسْمِ الحريّةِ ، وباسْمِ الوَطَنِ . . . إلى غيرِ ذَلِكَ ممّا نَسْمَعُهُ اليَوْمَ .

أمّا كَلِمَةُ (اسْمٍ) فهِيَ مَأْخوذَةٌ مِنَ السُّمُوِّ والعُلُوِّ ، فكَأنَّ الاسْمَ تَشْريفٌ لِصاحِبِهِ ، ويُمْكِنُ أنْ تَكونَ مِنَ السِّمَةِ ، وهِيَ العَلامَةُ ، لأنَّ الاسْمَ يكونُ علامةً على صاحِبِهِ .

اللهُ : عَلَمٌ مُخْتَصٌّ بالمَعْبودِ بِحَقٍّ ، لا يُطْلَقُ على غيرِهِ تعالى ، ولِذلكَ لا يَجوزُ أنْ يُثَنَّى هذا العَلَمُ أو يُجْمَعُ .

الرَّحمنِ الرَّحيمِ : كِلاهُما مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّحْمةِ ، وهِيَ بالنِّسْبَةِ لَنا نَحنُ البَشَرُ رِقَّةٌ في القَلْبِ تَبْعَثُ صاحِبَها على مُواساةِ الآخَرينَ والإحسانِ إليْهِمْ ، وهِيَ صِفَةٌ للهِ تَعالى أثْبَتَها لِنفْسِهِ ، فَنُثْبِتُها مِنْ غَيْرِ تَشْبيهٍ ، ولا تَعْطيلٍ ، عَلى حَدِّ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . ولكِنْ ما الفَرْقُ بَيْنَ هاتينِ الكَلِمَتَيْنِ ؟

كَلِمَةُ (الرَّحمنِ) صيغةُ مُبالَغَةٍ عَلى وَزْنِ فَعْلان ، وفَعْلانُ صيغةٌ تَدلُّ عَلى كَثْرةِ الشَّيْءِ وعِظَمِهِ ، فإذا قُلْتَ : (عَطْشان) دَلَّ ذلكَ عَلى كَثْرَةِ عَطَشِكَ وشِدَّتِهِ ، أمّا كَلِمَةُ (رحيمٍ) فهِيَ صِيغةُ مُبالَغةٍ عَلى وَزْنِ فَعيلٍ ، وفعيلٌ صِيغةٌ تَدلُّ عَلى الدَّوامِ ، فإذا قُلْتَ : (محمدٌ كريمٌ) دلَّ ذَلِكَ عَلى دَوامِ هذهِ الصِّفَةِ لَهُ .

إذنْ كَلِمَةُ (الرَّحمنِ) تَدُلُّ عَلى أنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعالى كَثيرةٌ عَظيمَةٌ ، ومِنْ هُنا جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ : « إنَّ اللهَ يَوْمَ أنْ خَلَقَ الخَلْقَ ، خَلَقَ مائةَ رَحمةٍ ، فأَنْزَلَ رَحْمةً إلى الأَرْضِ يَتراحَمُ بها الخَلْقُ ، وأَبْقى تِسْعةً وتِسْعينَ رَحْمةً يَرْحَمُ بها النّاسَ يَوْمَ القيامةِ » . وكَلِمَةُ (رحيمٍ) تَدُلُّ عَلى أنَّ هذهِ الرَّحمةَ مَعَ كَثْرَتِها دائِمَةٌ لا تَنْفَدُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ اذْكُرْ بَعْضَ أسْماءِ سورَةِ الفاتِحَةِ ، ولِمَ سُمِّيَتْ بكلِّ اسْمٍ .

٢ـ بيِّنْ مَنزِلَةَ سورَةِ الفاتِحَةِ .

٣ـ حَوَتْ سورَةُ الفاتِحَةِ مَقاصِدَ القُرْآنِ ، ما تِلكَ المَقاصِدُ ؟

٤ـ ما مَعْنى : (بسمِ اللهِ) ؟ ولِماذا يَجِبُ الابْتِداءُ بالبَسْمَلَةِ في كُلِّ عَمَلٍ ؟

٥ـ هلْ يَجوزُ تَثنيةُ لَفْظِ (اللهِ) ؟ ولِماذا ؟

٦ـ فَرِّقْ بيْنَ مَعْنى : (الرَّحمنِ) ، و(الرَّحيمِ) .

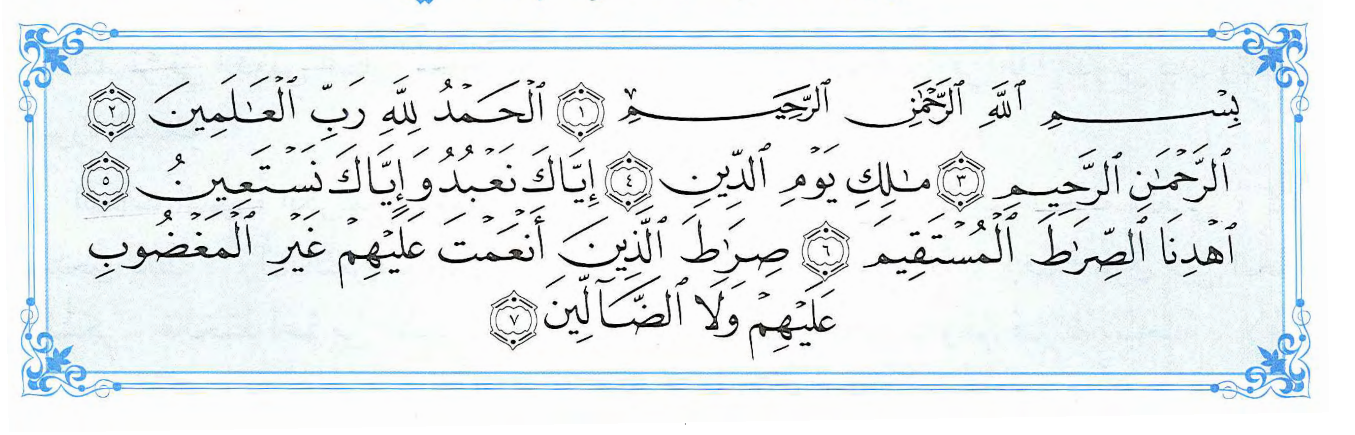
نَشاطٌ :

ـ فَرِّقْ بيْنَ كَلِمَتي (اللهِ) و(إلهٍ) مِنْ حَيْثُ مَعْنى كُلٍّ مِنْهُما ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني

سورَةُ الفاتِحَةِ ـ القِسْمُ الثّاني



مَعاني المُفْرداتِ :

الحَمْدُ	: هُوَ الثَّناءُ باللِّسانِ عَلى خَيْرٍ يَصْدُرُ عَنْ صاحِبِه باخْتيارٍ .
ربِّ	: الرّبُّ : السّيِّدُ والمُرَبّي .
العالَمينَ	: جَمْعُ عالَمٍ ، وهُوَ كُلُّ مَوْجودٍ سِوى اللهِ تَعالى .
الدّين	: الجزاءِ والحِساب .
اهْدِنا	: دُلَّنا وأَرْشِدْنا وَوفِّقْنا وثَبِّتْنا .
الصِّراطَ	: الجادَّةَ والطَّريقَ .
المُسْتقيمَ	: المُعْتَدِلَ الّذي لا اعْوِجاجَ فيهِ .
المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ	: هُمُ الّذينَ يَسْتَحِقّونَ عَذابَ اللهِ تَعالى وعُقوبَتَهُ .
الضّالّينَ	: الّذينَ لَمْ يَعْرِفوا الحَقَّ .



التَّفْسيرُ :

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ .

لَقَدْ مَرَّ في الدَّرْسِ السّابِقِ مَعْنى : ﴿بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرَّحيمِ﴾ ، وفي هَذا الدَّرْسِ بيانٌ وتَفْسيرٌ لِسورَةِ الفاتِحَةِ .

ابْتَدأَتِ السّورَةُ الكَريمَةُ بالحَمْدِ ، الَّذي هُوَ الثَّناءُ باللِّسانِ عَلى المُنْعِمِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، لأنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذلكَ . وأل التَّعريفِ تَدُلُّ عَلى الاسْتِغْراقِ ؛ أي الحمدُ كُلُّهُ ، وهناكَ فَرْقٌ بَيْنَ الحَمْدِ والشُّكْرِ ، فالحَمْدُ أعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ ، إذْ إنَّ الحَمْدَ هُوَ تَعظيمُ الفاعِلِ ، وهُوَ هُنا اللهُ سُبْحانَهُ ، لأَجْلِ ما صَدَرَ عنهُ مِنَ الإنْعامِ ، سواءً أَكانَ ذلكَ الإنْعامُ واصِلاً إِلَيْكَ أَمْ إلى غَيْرِكَ ، وأَمّا الشُّكْرُ ، فهوَ تَعظيمُهُ لأجْلِ إنْعامٍ وصَلَ إِلَيْكَ .

ومِنْ صِفاتِهِ سُبحانَهُ الّتي يَتَّصِفُ بِها مِمّا جاءَ في هذهِ السّورَةِ ولأَجْلِها اسْتَحَقَّ المَحامِدَ أنّهُ تَعالى :

١ـ ربُّ العالَمينَ : والرَّبُّ هَوَ السَّيّدُ الّذي يَتعهَّدُ مَنْ يُرَبيّهِ ويُصْلِحُ مِنْ شَأْنِهِ ، والعالَمُ : كُلُّ شَيْءٍ سِوى اللهِ تَعالى ، وكَلِمَةُ العالَمِ مَأْخوذَةٌ مِنَ العَلَمِ ؛ أي العَلامَةِ ، فَكُلُّ ما خَلَقَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى علامةٌ عَلى وُجودِهِ . وتَرْبِيَةُ اللهِ لِعبادِهِ تَكونُ إمّا خَلْقِيَّةً أو خُلُقِيَّةً .

٢ـ الرَّحمنُ الرّحيمُ : وقدْ ذَكَرْنا لكَ المَقْصودَ بِهذِهِ الآيةِ ، وقدْ ذُكِرَتْ هذهِ الآيةُ لِيبيِّنَ سُبْحانَهُ أَنّهُ مَعَ رُبوبيَّتِهِ لِلْخَلْقِ ، ومِلْكِيَّتِهِ لَهُمْ سُبْحانَهُ ، فهُوَ تَعالى رَحْمَنٌ رَحيمٌ بِخَلْقِهِ .

٣ـ مالكُ يومِ الدّينِ : هذهِ الصِّفَةُ الثّالِثَةُ الّتي ذَكَرها سُبْحانَهُ ، المالِكُ ليومِ الّدينِ . والمالِكُ : مِنْ المِلْكِ بكسرِ الميمِ ، وهُوَ حِيازَةُ الشَّيْءِ مَعَ القُدْرَةِ عَلى التَّصرُّفِ فيهِ . واليَوْمُ في العُرْفِ : ما يكونُ مِنْ طُلوعِ الشَّمْسِ إلى غُروبِها ، ولَيْسَ هَذا مُراداً هُنا ، وإنّما المُرادُ مُطْلَقُ الزَّمَنِ ، وهُوَ يَوْمُ القيامةِ . والّدينُ هُوَ الجَزاءُ والحِسابُ ، يُقالُ دُنْتُهُ بما صَنَعَ ، أيْ : جازَيْتُهُ عَلى صَنيعِهِ ، ومنهُ قَوْلُهِمْ : كما تُدينُ تُدانُ ، أيْ : كما تَفْعَلُ تُجازى ، فهوَ سُبْحانَهُ المُهَيْمِنُ والمُتصَرِّفُ في هذا اليَوْمِ ، قالَ تَعالى : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر : ١٦] .

هذهِ بَعْضُ صِفاتِ اللهِ تَعالى : الرُّبوبيَّةُ ، والرَّحْمَةُ ، ومِلْكُهُ لِيوم الدّينِ الّذي لا يُمْكِنُ لأَيِّ إنْسانٍ

أَنْ يَمْلِكَهُ ، ومَنِ اتَّصَفَ بِمِثْلِ هذهِ الصِّفاتِ فهُوَ حَرِيٌّ أَنْ نَتوجَّهَ إليهِ وَحْدَهُ بالعِبادَةِ والاسْتِعانَةِ ، ولِذا جَاءَ قَوْلُهُ تَعالى :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ .

والعِبادَةُ أَقْصى غايَةِ الخُضوعِ والتَّذَلُّلِ معَ اسْتِشْعارِ القَلْبِ عَظَمَةَ اللهِ تَعالى وغايَةَ مَحبَّتِهِ . والاسْتِعانَةُ هِيَ طَلَبُ المَعونَةِ مِنْ أَجْلِ الاقْتِدارِ عَلى الشَّيءِ والتَّمَكُّنِ مِنْ فِعْلِهِ . وقَدْ ذُكِرَتِ العِبادَةُ أوّلاً ثُمَّ الاسْتِعانَةُ ، وهَذا أَدَبٌ مَعَ اللهِ تَعالى ، فَنحنُ نَتذلَّلُ لهُ سُبْحانَهُ ، ثُمَّ نَطْلُبُ منهُ العَوْنَ ، وهذا الأدَبُ يُعلِّمُنا كيفَ نَتعامَلُ معَ النّاسِ كَذلِكَ ، لِكَيْ نَستطيعَ طَلَبَ العَوْنِ مِنْهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وقَدْ تَقَدَّمَ المَفعولُ بهِ : (إيّاكَ) ، لِيُفيدَ الاخْتِصاصَ ، أيْ : نَخُصُّكَ وحْدَكَ بالعِبادَةِ ، ونَخُصُّكَ وحْدَكَ بالاسْتِعانَةِ يا ربُّ .

والعِبادَةُ هِيَ الأوامِرُ والنَّواهي الّتي نَشْرُفُ بِها ، فَكُلَّما ازْدَدْنا عِبادةً للهِ ازْدَدْنا شَرَفاً ، أَمّا الاسْتِعانَةُ فَهِيْ المَظْهَرُ الّذي يَدُلُّ عَلى عُبودِيَّتِنا الحَقَّةِ للهِ تَعالى ، إذْ يَشْعُرُ الإنْسانُ بالضَّعْفِ أمامَ قُوَّةِ اللهِ تَعالى ، فَيسأَلُ اللهَ تَعالى أنْ يُعينَهُ ويُقوّيَهِ .

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ .

الهدايةُ : هِيَ الإرْشادُ والدَّلالَةُ بِلُطْفٍ عَلى ما يوصِلُ إلى البُغْيَةِ ، ومِنْ مَعانيها : البيانُ . وهذهِ الكَلِمَةُ غالِباً تُستعْمَلُ في الخَيْرِ ، أيْ : اهْدِنا يا ربُّ إلى طَريقِكَ المُستقيمِ الّذي يوصِلُنا إلى الخَيْرِ والسَّعادةِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، ويَجْعَلُنا مَعَ الّذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِكَ ، ولا تَجْعَلْنا يا رَبَّنا ويا مَوْلانا نَسيرُ في طريقِ أُولئِكَ الَّذينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ أوِ الأَجْيالِ اللّاحِقَةِ ، وذلكَ بِسَبَبِ سوءِ أعْمالِهِمْ وابْتِعادِهِمْ عنْ طَريقِ الحَقِّ ، أوْ في طَريقِ أُولئِكَ الّذينَ ضَلّوا فانْحرَفوا عَنِ الحَقِّ .

والمَغضوبُ عَلَيْهِمْ هُمْ مَنْ عَرَفوا الحَقَّ وتَرَكوهُ ، ولِذا يُرَجِّحُ العُلَماءُ أنَّ المَقصودَ بِهِمُ اليَهودَ . و(الضّالّينَ) هُمُ الّذينَ لَمْ يَعْرِفوا الحَقَّ ، ويُرَجِّحُ العُلَماءُ أنَّهُمُ النَّصارى .

وفي هذا الدُّعاءِ أَسْمى أَلْوانِ الأدَبِ مَعَ اللهِ تَعالى ؛ إذْ إنَّ المُؤْمِنينَ يَتضرَّعونَ بهِ إلى اللهِ تَعالى خالِقِهِمْ ، بَعْدَ اعْتِرافِهِمْ باسْتِحْقاقِهِ سُبْحانَهُ لِلْمَحامِدِ جَميعِها ، وأنَّهُ ربُّ العالَمينَ ، والمُتصرِّفُ بِهِمْ وبِأُمورِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ حَمْدُ اللهِ وتَمْجيدُهُ ، والثَّناءُ علَيْهِ بِذِكْرِ أسْمائِهِ الحُسْنى ، وذِكْرِ المَعادِ ، فلابُدَّ لِلإنْسانِ مِنْ أَنْ يَلْهَجَ لِسانُهُ بِذِكْرِ اللهِ تَعالى وحَمْدِهِ .

٢ـ التَّضرُّعُ إلى اللهِ تَعالى والتَّذَلُّلُ والخُضوعُ إليهِ سُبْحانَهُ ، وطَلَبُ العَوْنِ مِنَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، كَما قالَ رسولُ ﷺ : « إذا سأَلتَ فاسْأَلِ اللهَ ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ » .

٣ـ التَّرْغيبُ في الأعْمالِ الصّالِحَةِ ، لِيَكونَ الإنْسانُ مَعَ الصّالِحينَ يَوْمَ القيامةِ . والتَّرْهيبُ والتَّحذيرُ مِنْ سُلوكِ طريقِ الباطِلِ ، لِئلا يُحْشَرَ مَعَ سالِكيهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ مِنْ أَسْماءِ سورَةِ الفاتِحَةِ : « السَّبْعُ المَثاني » ، ما المَقْصودُ بهذا الاسْمِ ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ ابْتداءِ السّورَةِ الكَريمةِ بقولِهِ : « بسمِ اللهِ الرّحْمنِ الرَّحيم » ؟

٣ـ ضَعْ دائرةً حَوْلَ رَمْزِ الإجابةِ الصَّحيحةِ :

١ . مِنْ مَقاصِدِ القُرْآنِ الكَريم : الوَعْدُ والوَعيدُ ، وهذا يَظْهَرُ في قولِهِ تَعالى :

أـ الحمدُ للهِ . ب ـ ربِّ العالَمينَ . ج ـ إيّاكَ نعبدُ . د ـ مالِكِ يَوْمِ الدّينِ .

٢ . الفَرْقُ بَيْنَ (الرّحمنِ) و(الرّحيم) :

أـ أنّ الرّحيمَ تَدلُّ عَلى كَثرةِ الرّحمةِ ، والرّحْمَنُ عَلى دَوام الرّحمةِ .

ب ـ أنَ الرّحيمَ تَدُلُّ عَلى دَوام الرّحمةِ ، والرّحمنُ تَدُلُّ عَلى كَثْرَتِها وعِظَمِها .

ج ـ أَنَّ الرَّحْمنَ والرَّحيمَ كِلاهُما تَدُلُّ عَلى كَثْرَةِ الرَّحْمَةِ وعِظَمِها .

دـ أنَّ الرَّحْمنَ والرَّحيمَ كِلاهُما تَدُلُّ عَلى دَوامِ الرَّحْمَةِ .

٤ـ ما مَعْنى الحَمْدِ ؟ وما الفَرْقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الشُّكْرِ ؟

٥ـ لماذا ذُكِرَتِ (الرَّحمنُ والرَّحيمُ) مرّةً أُخْرى بعدَ (ربِّ العالَمينَ) ؟

٦ـ ما المقصودُ بِقولِهِ تَعالى : (مالكِ يَوْمِ الدّينِ) ؟

٧ـ مِنْ مَعاني الهِدايَة : البَيانُ ، والإيصالُ إلى المَطْلوبِ ، بيِّنِ المَقْصودَ بالهِدايَةِ في الآياتِ التّاليةِ :

أ ـ ﴿إنّكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللهَ يَهْدي مَنْ يَشاءُ﴾ .

ب ـ ﴿وأمَّا ثَمودُ فَهَدَيْناهُمْ فاسْتَحبّوا العَمى عَلى الهُدى﴾ .

ج ـ ﴿إنّكَ لَتهْدي إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾ .

د ـ ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ﴾ .

٨ـ ما الّذي يُسْتَفادُ مِنْ قولِهِ تَعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ؟

نَشاطٌ :

ـ هُناكَ قِراءَةٌ صَحيحَةٌ ﴿ مَـلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، فَرِّقْ بَيْنَ قِراءتَيْ : مالِكِ ومَلِكِ ، مِنْ حيثُ المَعْنى .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورَةُ البَقَرةِ ـ القِسْمُ الأوّلُ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ البَقَرَةِ مَدنيَّةٌ . وقَدِ اسْتَمرَّ نُزولُها عَشْرَ سِنينَ ، فَفيها آياتُ تَحْويلِ القِبْلَةِ . وقَدْ نَزَلتْ في السَّنةِ الثّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ ، وفيها آخِرُ آيةٍ نَزَلَتْ عَلى الرَّسولِ ﷺ : ﴿واتَّقوا يَوْماً تُرْجَعونَ فيهِ إلى اللهِ﴾ ، وقَدْ نَزَلَتْ عليهِ قَبْلَ وَفاتِهِ ﷺ بِوَقْتٍ قَصيرٍ .

وسُمِّيَتْ بِسورَةِ البَقَرةِ ، لأنَّها انْفَرَدتْ بِذِكْرِ قِصَّةِ البَقَرَةِ الَّتي كُلِّفَ بَنو إسْرائيلَ بِذَبْحِها لِمَعْرِفَةِ قاتِلِ قَتيلِهِمْ .

أَمَّا فَضْلُ هذهِ السّورةِ فقدْ وَرَدَ فيهِ أحاديثُ كَثيرةٌ ، مِنها ما رُوِيَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « لا تَجْعلوا بُيوتَكُمْ مَقابِرَ ، إنَّ الشَّيْطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الّذي تُقْرَأُ فيهِ سورةُ البَقَرةِ »[١] .

مَعاني المُفْرَداتِ :

الم : هذهِ الحُروفُ تُسمّى الحُروفَ المُقَطَّعَةَ في فَواتِحِ السُّوَرِ ، وقَدِ ابْتُدِأَتْ بِهذِهِ البِدايةِ مَجْموعةٌ مِنَ السُّوَرِ . وقَدْ وَرَدَتْ هذهِ الحُروفُ في افْتِتاحِ بَعْضِ السُّوَرِ للإشْعارِ بِأَنَّ هذا القُرْآنَ ، الّذي تَحدَّى اللهُ بِهِ العَرَبَ هو مِنْ جِنْسِ كَلامِهِمُ المُرَكَّبِ مِنْ هذهِ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين : باب استحباب صلاة النافلة في بيته ، رقم الباب ٢٩ ، حديث ٢١٢ (٥٣٩/١) .

الحُروفِ الّتي يَعْرِفونَها ، ويَقْدِرونَ عَلى تأْليفِ الكَلامِ مِنْها ، فإذا عَجزوا عَنِ الإتيانِ بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، فَذلِكَ دَليلٌ عَلى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى .

لا رَيْبَ فيهِ : الرَّيْبُ مَصْدَرُ رابَ ، ورابَهُ الأَمْرُ : إذا حَصَلَ عِنْدَهُ فيهِ ريبَةٌ ، والرَّيْبُ هُوَ الشّكُّ مَعَ قَلَقِ النَّفْسِ واضْطِرابِها .

المتَّقينَ : التَّقْوى هيَ امْتِثالُ أَوامِرِ اللهِ واجْتِنابُ نَواهيهِ .

الغَيْبِ : ما غابَ عَنِ الإنْسانِ ، وهو يُقابِلُ المَحْسوسَ ، ومِنَ الغَيْبِ اللهُ ، والجنّةُ والنّارُ .

يُقيمونَ الصَّلاةَ : إقامَةُ الصَّلاةِ : تَأْدِيَتُها تامَّةً بِأَرْكانِها ، والمُداوَمَةُ عَلَيْها .

يوقِنونَ : اليَقينُ : الاعْتِقادُ الجازِمُ المُطابِقُ لِلْواقِعِ بحيثُ لا يَطْرَأُ عليهِ شَكٌّ ولا تَحومُ حَوْلَهُ شُبْهَةٌ .

المُفْلِحونَ : الفائِزونَ ، والفَلَحُ : الشَّقُّ والقَطْعُ ، فالمُفْلِحُ الّذي يَشقُّ طَريقَهُ ويَصِلُ غايَتَهُ .

التَّفسيرُ :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

ابْتَدأَتْ سورةُ البَقَرةِ بِهذهِ الحروفِ المُقطّعةِ الّتي جاءَتْ ـ كَما قُلْنا ـ للتَّنْبيهِ والتَّحدّي ؛ تَنْبيهِ العَرَبِ إلى أَنَّ القُرْآنَ الكَريمَ هُوَ مِنْ جِنْسِ كَلامِهِمْ ، وتَحدّيهِمْ أَنْ يَأْتوا بمثلِهِ ، ولكنَّهُمْ مَعَ ذلكَ لَمْ يَستطيعوا الإتْيانَ ولَوْ بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ . ويُعَظِّمُ اللهُ تَعالى هذا القُرآنَ بقولِهِ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أيْ: ذلكَ الكِتابُ الكامِلُ الّذي لا نَقْصَ فيهِ أبداً ولا رَيْبَ فيهِ ، فَهُوَ لَيْسَ مَحلّاً لأَنْ يَرْتابَ عاقِلٌ أو مُنْصِفٌ في أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وأَنَّهُ هِدايةٌ وإرْشادٌ لِلمُتَّقينَ .

والمُتَّقونَ هُمُ المُتَّصِفونَ بِصِفَةِ التَّقْوى ، وهِيَ كَما يُعَرِّفُها بَعْضُهُمْ : أَنْ يُطاعَ اللهُ فلا يُعْصى ، ويُذْكَرَ فلا يُنْسى ، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ . وقالَ آخَرونَ : هي تَرْكُ الإصْرارِ عَلى المَعصيةِ ، وتَرْكُ الاغْتِرارِ بالطّاعةِ . فالتَّقْوى تَتضمَّنُ أُموراً ثَلاثَةً :

١ـ اجْتِنابُ الذُّنوبِ صَغيرِها وكَبيرِها ؛ لأَنَّ الإصْرارَ عَلى الصَّغائِرِ يُؤَدّي إلى الكَبائِرِ .

٢ـ الحَذَرُ : وقَدْ قيلَ إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ سأَلَ أُبيَّ بنَ كَعْبٍ عَنِ التَّقوى ، فقالَ لَهُ : أما سَلَكْتَ

طريقاً ذا شَوْكٍ ؟ قالَ بَلى . قالَ : فما عَمِلْتَ ؟ قال : شَمَّرْتُ واجْتَهَدْتُ ، قالَ : فذلكَ التَّقوى .

٣ـ عَدَمُ الاسْتِهانَةِ بالصَّغائِرِ .

وللتَّقْوى مَراحِلُ :

أوّلُها : الوِقايَةُ مِنَ الشَّكِّ ، والمَرْحَلَةُ الثّانِيَةُ : اجْتِنابُ الكَبائِرِ ، والمَرْحَلَةُ الثّالِثَةُ : الابْتِعادُ عَنِ الصَّغائِرِ . يَدُلُّ عَلى ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنِ الرَّسولِ ﷺ : « لا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكونَ مِنَ المُتَّقينَ حتَّى يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ حَذَراً مِمّا بأسٌ فيهِ »[1] ؛

إنَّ أمْرَ التَّقوى عَظيمٌ ، فَهِيَ سِرٌّ بَيْنَ العَبْدَ وربِّهِ ، فقدْ قالَ النَّبي ﷺ : (التَّقوى هَهُنا ، وأَشارَ إلى صَدْرِهِ) ، والتَّقْوى ثَمَرَةٌ لابُدَّ مِنْ تَحقُّقِها ، ولِكَيْ تَتحقَّقَ لابُدَّ مِنْ أُمورٍ خَمْسَةٍ ، وهِيَ : الإيمانُ ، والطَّاعةُ ، وتَرْكُ المَعصيةِ ، والتَّوْبَةُ ، والإخْلاصُ .

صفاتُ المُتَّقينَ :

تَبْدَأُ سورَةُ البَقَرةِ بِذِكْرِ أوْصافِ هَؤلاءِ المُتَّقينَ ، الَّتي جَعَلَتْهُمْ يَصِلونَ إلىٰ هذهِ الدَّرَجةِ ، وأوَّلُ هذهِ الصِّفاتِ إيمانُهُمْ بِالغَيْبِ ، والغَيْبُ كَما قُلْنا : ما يُقابِلُ المَحْسوسَ . وذُكِرَتْ هَذهِ الصِّفَةُ في البِدايَةِ ، لأَنَّها تَدُلُّ عَلى صِدْقِ أصْحابِها ، لأَنَّ تَعلُّقَ الإنْسانِ يكونُ بما يُشاهِدُهُ عَنْ طَريقِ حَواسِّهِ ، ولكنَّ هَؤلاءِ المُتَّقينَ كانَ أَوَّلَ مَدْحٍ لَهُمْ أَنَّهُمْ صَدَّقوا بِما أَخْبَرَهُمُ اللهُ تَعالى بِهِ مِمّا لا تَتعلَّقُ بِهِ حَواسُّهُمْ ، فكانَ إيمانُهُمْ بما غابَ عَنْهُمْ لا يَقِلُّ عَنْ إيمانِهِمْ بِما تُشاهِدُهُ حَواسُّهُمْ .

إنَّ الإيمانَ بالغَيْبِ بُرْهانُ صِدْقٍ عَلى فَضْلِ أُولئِكَ الَّذينَ مَلأَتْ أَنْفُسَهُمُ الثِّقَةُ باللهِ تَعالى والثِّقَةُ بِنَبِيِّهِ ﷺ ؛ فَلَمْ يَرْتابوا بِشَيءٍ مِمّا أَخْبَرَ عنهُ اللهُ تَعالى ، أَوْ نَبِيُّهُ ﷺ ، ولِذا كانَ الإيمانُ بالغَيْبِ اخْتِباراً وامْتِحاناً لأُولئِكَ المُتَّقينَ .

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والصِّفَةُ الثّانيةُ لهؤلاءِ المُتَّقينَ أَنَّهُمْ يُقيمونَ الصَّلاةَ ؛ أيْ أَنَّهُم يُؤدّونَها بِأَرْكانِها وآدابِها ويُداوِمونَ عَلَيْها ، ويُحافِظونَ عَلَيْها كَذلِكَ ، ويَخْشَعونَ فيها ، ويُقْبِلونَ عَلَيْها بِنَشاطٍ وَجِدٍّ وَرَغْبَةٍ مِنْ غَيْرِ فُتورٍ وَلا كَسَلٍ . وهذِهِ الصَّلاةُ تُكْسِبُ صاحِبَها القُوَّةَ في الحقِّ ، والثَّباتَ عَلى الخَيْرِ ، والزِّيادَةَ في اليَقينِ ، والابتعادَ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، وتَنْفي عنهُ القَلَقَ والهَلَعَ والاضْطِرابَ والجَزَعَ ، وتَجْعلُهُ سَوِيَّ التَّفْكيرِ ، مَرْهوبَ الجانِبِ ، مُستقيمَ السَّيْرِ .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القامة ، باب من درجات المتقين ، باب رقم : ٢٠ ، حديث رقم : ٢٤٥٣ ، وقال حديث حسن غريب .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ومِمّا أَعْطيناهُمْ ومَلَّكْناهُمْ يَتصَدَّقونَ في وُجوهِ الخَيْرِ ، ويَمُدّونَ أَيْدِيَهُمْ بالإحْسانِ إلى الفَقيرِ والمِسْكينِ ، وقَدْ قالَ تَعالى هُنا : (يُنْفِقونَ) ، بالجُملَةِ الفِعْليّةِ ، لِيَدُلَّ عَلى اسْتِمرارِ إنفاقِهِم وتَجدُّدِهِ . واللهُ سُبحانَهُ وتَعالى طَبَعَ الإنْسانَ عَلى الحِرْصِ ، قالَ تَعالى ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [النساء : ١٢٨] وحُبِّ التَّمَلُّكِ ، ولِذا كانَ عِلاجُ هذهِ الأَنْفُسِ الحَثَّ عَلى الإنْفاقِ والأَمْرَ بِه .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

ومِنْ صِفاتِ هَؤُلاءِ المُتَّقينَ إيمانُهُمْ بما أُنْزِلَ عَلى مُحمَّدٍ ﷺ ، وبما أُنْزِلَ عَلى الأنْبياءِ مِنْ قَبْلِهِ ، ولا شَكَّ في أَنَّ هذهِ الصِّفَةَ تُبيِّنُ وِحْدَةَ الدِّينِ الَّذي أَرْسَلَ اللهُ تَعالى بهِ أَنْبياءَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إذْ إنَّ أَساسَ دَعوتِهِمْ تَوحيدُ اللهِ تَعالى . قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

إنَّ الإيمانَ بما أُنْزِلَ عَلى النَّبيِّ ﷺ ، وعلى غَيْرِهِ مِنَ الأنْبياءِ ، يَسْتَلْزِمُ الإيمانَ بالأنبياءِ أَنْفُسِهِم ، ومِنْ بَدَهيّاتِ عَقيدةِ المُسْلِمِ وُجوبُ الإيمانِ بالرُّسُلِ كُلِّهِمْ ، يقولُ سُبْحانَهُ في الَّذينَ يُؤْمِنونَ بِبَعْضِ الرُّسُلِ ويَكْفُرونَ بِبَعْضٍ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النّساء : ١٥١-١٥٢] .

﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ الإيقانُ : العِلْمُ بالشَّيْءِ بِنَفْيِ الشَّكِّ والشُّبْهَةِ عَنْهُ ، فَهؤُلاءِ المُتَّقونَ يوقِنونَ بالآخِرَةِ ، ومَعَ أَنَّ الآخِرَةَ مِنَ الغَيْبِ الَّذي ذُكِرَ في الصِّفَةِ الأُولى ، إلاّ أَنَّهُ سُبْحانَهُ خَصَّها باليَقينِ لِلْعِنايةِ بِشَأْنِها . إنَّ الإيقانَ بِشَيْءٍ ما ، لا يَتْرُكُ لِلْمَرْءِ مَجالاً لِلتَّقصيرِ أَوِ الغَفْلَةِ ، فَمَنْ أَيْقَنَ بالآخِرَةِ فلابُدَّ وأَنْ يَعْمَلَ لَها .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

وبَعْدَ هَذِهِ الصِّفاتِ يَذْكُرُ سُبْحانَهُ أُولئِكَ المُتَّقينَ ، فَهُمْ أَوّلاً المُتَمكِّنونَ مِنَ الهُدى الثّابِتونَ عَلَيْهِ ، والهِدايةُ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَظيمةٌ ، وثانياً : فإنَّ هَؤلاءِ المُتَّقينَ كَمُلَتْ لَهُمُ السَّعادَةُ وَسيلَةً وَغايةً ، ومَبْدَأً ومُنْتَهىً ، فَهُمُ المُفْلِحونَ ، نَسأَلُ اللهَ تَعالى أَنْ نَكونَ جَميعاً مِنْ هَؤلاءِ المُتَّقينَ المُفْلِحينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ عِظَمُ القُرْآنِ الكَريمِ ، فهوَ كامِلٌ لا نَقْصَ فيهِ ، وهُوَ الكِتابُ الّذي لا رَيْبَ فيهِ .

٢ـ الامْتِثالُ لأوامِرِ اللهِ تَعالى ، والانْتِهاءُ عمّا نَهى عنهُ سُبْحانَهُ ، وذلكَ بالابْتِعادِ عَنِ الصَّغائِرِ والكَبائِرِ .

٣ـ المؤْمِنُ بِحقٍّ هو الّذي يُؤْمِنُ بما أخْبَرَ اللهُ تَعالى بهِ مِنْ أُمورٍ غَيبيَّةٍ ، مِنْها الإيمانُ باليومِ الآخِرِ ، حتّى يَسْتَقيمَ في دُنْياهُ .

٤ـ وُجوبُ تأديةِ الصَّلاةِ تامَّةً كَما أرادَها اللهُ تَعالى ، ووجوبُ الإنْفاقِ في سبيلِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما المَقْصودُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ في بداياتِ السُّوَرِ ؟

٢ـ أـ ما مَراحِلُ التَّقوى ؟

ب ـ ما الّذي يَنْبَغي عَلَيْكَ اتِّباعُهُ حتَّى تَكونَ مِنَ المُتَّقينَ ؟

٣ـ لماذا كانتْ أَوّلُ صِفَةٍ للمُتَّقينَ الإيمانَ بالغَيْبِ ؟

٤ـ بَيَّنَتِ الآياتُ نَتيجتَيْنِ لأولئِكَ المُتَّقينَ ، المُتَّصِفينَ ببَعْضِ الصِّفاتِ ، ما هاتانِ النَّتيجتانِ ؟

٥ـ ضَعْ دائِرَةً حَوْلَ رَمْزِ الإجابةِ الصَّحيحةِ :

أـ أوّلُ مَراحِلِ التَّقوى :

أـ تَرْكُ الصَّغائِرِ . ب ـ اجْتِنابُ الكَبائِرِ .

جـ ـ تَوقّي الشِّرْكِ . د ـ لا شَيْءَ مِمّا ذُكِرَ .

ب ـ الغَيْبُ هُوَ :

أـ ما يُقابِلُ الواقِعَ . ب ـ ما يُقابِلُ المَحْسوسَ .

جـ ـ ما تَقَعُ عليهِ الحَواسُّ . د ـ ما يَغيبُ عَنْ بَعْضِ النّاسِ دونَ بَعْضٍ .

اقرأْ واستَمْتِعْ :

قيلَ : يا عَجَباً كُلَّ العَجَبِ مِنَ الشّاكِّ في اللهِ وهو يَرى خَلْقَهُ ، وعَجَباً مِمّنْ يَعرِفُ النَّشأَةَ الأُولى ثُمَّ يُنْكِرُ الآخِرَةَ ، وعَجَباً مِمّنْ يُنْكِرُ البَعْثَ والنُّشورَ وهو في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ يَموتُ ويَحْيا - يَعْني النَّومَ واليَقَظةَ - وعَجَباً مِمّنْ يُؤْمِنُ بالجَنَّةِ وما فيها مِنَ النَّعيمِ ثُمَّ يَسْعى لِدارِ الغُرورِ ، وعَجَباً مِنَ المُتَكَبِّرِ والفَخورِ وهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ وآخِرَهُ جيفَةٌ قَذِرَةٌ .

نَشاطٌ :

١ـ أرْكانُ الإيمانِ سِتّةٌ ، اكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ قالَ تَعالى في سورةِ مُحمَّدٍ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ اكْتُبْ مَعنى هاتَيْنِ الآيَتيْنِ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الثّاني

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كَفَروا : الكُفْرُ ضِدُّ الإيمانِ ، وهُوَ مِنَ الكَفْرِ بِمَعْنى سَتْرِ الشَّيءِ وتَغْطِيَتُهُ ، ويَعني هُنا سَتْرُ الحَقِّ والفِطْرَةِ .

أَنْذَرْتَهُمْ : الإنْذارُ : إخْبارٌ مَعَهُ تَخويفٌ مَعَ مُهْلَةٍ وإشْعارٍ .

خَتَمَ : الخَتْمُ : الوَسْمُ بِطابَعٍ ونَحْوِهِ ، مَأْخوذٌ مِنْ وَضْعِ الخاتِمِ عَلى الشَّيءِ ، ويُعْمَلُ فيهِ للاسْتيثاقِ .

غِشاوَةٌ : ما يُغَطّى بِهِ الشَّيْءُ ، مِنْ غَشّاهُ إذا غَطّاهُ وسَتَرَهُ .

يُخادِعونَ : الخِدْعُ : هُوَ فِعْلٌ أَوْ قَوْلٌ يوهِمُ صاحِبُهُ إرادَةَ الخَيْرِ لِغيْرِهِ وهُوَ يُريدُ خِلافَهُ .

يَشْعرونَ : الشُّعورُ يُطْلَقُ عَلى العِلْمِ بالأَشْياءِ الخَفيَّةِ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ تَحدَّثَتِ الآياتُ السّابِقَةُ عَنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ ، تَحدَّثَتْ هنا عَنْ صِفاتِ الكافِرينَ ، وهذا مِنْ أساليبِ القُرْآنِ الكَريمِ في التَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ ، فقال تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ .

يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى لِنبيِّهِ ﷺ مُؤَكِّداً لَهُ أَنَّ الَّذينَ كَفَروا وانْغَمَسوا في كُفْرِهِمْ وباطِلِهِمْ ، سواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ وخَوَّفْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ، فَالنَّتيجَةُ واحِدَةٌ ، وهِيَ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنونَ ، وسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعالى خَتَمَ عَلى قُلوبِهِمْ فَلَمْ يَعودوا يَفْقَهونَ شَيْئاً ، بِحيثُ صارتْ هذهِ القُلوبُ لا تَقْبَلُ دُخولَ الإيمانِ إِلَيْها ، وخَتَمَ كَذلِكَ عَلى سَمْعِهِمْ فلا يَسْتَطيعونَ السَّمْعَ ، أي : لا يَفْقَهونَ ما يَسْمَعونَ ، وجَعَلَ سُبْحانَهُ وتَعالى غِطاءً عَلى عُيونِهِمْ حتَّى لا يُبْصِروا الحَقَّ . وكُلُّ هذا لِشدَّةِ طُغْيانِهِمْ وابْتِعادِهِمْ عَنِ الحَقِّ ، فَهُمْ يَرَوْنَ الحَقَّ ، ولَكِنَّهُمْ لا يُبْصِرونَهُ ، ويَصِلُ إلى مَسامِعِهِمْ كَذلِكَ ، ولَكِنَّهُمْ يُصيخونَ بآذانِهِمْ عَنهُ ، مُنْصَرِفونَ عنهُ أَوْ يُغْلِقونَ آذانَهُمْ حتّى لا تَسْمَعَهُ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

وَبَعْدَ أَنْ تَحدَّثَتِ الآياتُ عَنِ المُؤْمنينَ والكافِرينَ ، جاءَ الحديثُ عَنِ المُنافِقينَ ، وهُمْ أَشَدُّ خَطَراً مِنَ الكافِرينَ عَلى المُؤْمنينَ ، وهَؤلاءِ المُنافِقونَ يَدَّعونَ الإيمانَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ . وإنَّما خُصَّ هَذانِ الرُّكْنانِ دونَ بَقيةِ أَرْكانِ الإيمانِ ؛ لأَنَّهما الرُّكْنانِ الأَعْظَمانِ ، فَهؤلاءِ يَدَّعونَ الإيمانَ ، ولَكنَّهُمْ لَيْسوا بِداخِلينَ في جَماعَةِ المُؤْمِنينَ الصّادِقينَ ، وهُمْ وإنْ كانوا يُصَلّونَ مَعَ المُسْلِمينَ ويَقومونَ بِبَعْضِ العِباداتِ ، فإنَّما ذَلِكَ بَقَصْدِ الرِّياءِ والسُّمْعَةِ ، وهُمْ مُنْغَمِسونَ في الشُّرورِ كالإفْسادِ والكَذِبِ والغِشِّ والخِيانَةِ والطَّمَعِ ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذائِلِ .

وسَبَبُ ادِّعائِهِمُ الإيمانَ كَوْنُهُمْ يُخادِعونَ اللهَ والَّذينَ آمَنوا ، فَهُمْ يُريدونَ دَفْعَ المَضَرَّةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وجَلْبَ المَنْفَعةِ لها ، وإيصالَ المَضرّةِ إلى المُؤْمِنينَ ، فَخِداعُهُمْ للهِ مَعناهُ : إظْهارُهُمُ الإيمانَ وإبْطانُهُمُ الكُفْرَ لِيَحْقِنوا دِماءَهُمْ وأَمْوالَهُمْ ، ويَفوزوا بِسَهْمٍ مِنَ الغَنائِمِ . ، ومِنْ خِداعِهِمْ لِلمُؤْمنينَ : إظْهارُهُمْ أَنَّهُمْ إخوانُهُمْ في العَقيدةِ ، وأَنَّهُمْ لا يُريدونَ لَهُمْ إلاّ الخَيْرَ ، بَيْنَما هُمْ في الحَقيقةِ يُضْمِرونَ لَهُمُ العَداوَةَ ، ويَتَربَّصونَ بِهِمُ الدَّوائِرَ ، وخِداعُهُمْ لا يَعودُ بالضَّرَرِ إلاّ عَلى أَنْفُسِهِمْ ، وهَمْ لا يَشْعرونَ بِذَلِكَ .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

وصِفَةٌ أُخْرى للمُنافِقينَ أَنَّهمْ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ ، ولَيْسَ المَرَضُ هُنا العِلَّةَ في البَدَنِ ، بَلِ المَقْصودُ بِهِ سوءُ عَقيدَتِهِمْ ، والحَسَدُ الّذي يَملأُ قُلوبَهُمْ ، والبَغْضاءُ والنِّفاقُ . وسُمِّيَ مَرَضاً لِكَوْنِهِ يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِدْراكِ الفَضائِلِ والحَقِّ ، وبِسَبَبِ سوءِ أَعْمالِهِمْ زادَهُمُ اللهُ تَعالى مَرَضاً ، أي : ضَلالاً

وخُسْراناً ورِجْساً وحَسَداً ، لأنّهُمُ اسْتَمرّوا في نِفاقِهِمْ وشَكِّهِمْ ، ومِنْ سُنَّةِ اللهِ أَنَّ المريضَ إذا لَمْ يُعالَجْ مَرَضُهُ زادَ لا محالةَ ، إذِ المَرَضُ يُنْشِىءُ المَرَضَ ، والانْحِرافُ يَبْدَأُ يَسيراً ، ولِهذا كُلِّهِ كانتْ سوءُ عاقِبَةِ هَؤلاءِ العَذابَ الأليمَ الموجِعَ وجَعاً شَديداً ، بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ وادِّعائِهِمُ الإيمانَ وهُمْ غيرُ مُؤْمِنينَ ، وهذا دليلٌ عَلى قُبْحِ الكَذِبِ ، ولِذا نَفَّرَتْ منهُ الآياتُ الكَريمةُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ تَعالى في الّذينَ ساروا في طَريقِ الكُفْرِ ، أنْ يَختِمَ عَلى قُلوبِهِمْ ، فلا يَبْقى فيها اسْتِعدادٌ لِغَيْرِ الكُفْرِ ، ويَخْتِمَ عَلى أَسْماعِهِمْ ويَجْعَلَ عَلى أبْصارِهِمْ غِشاوةً ، لأنّهُمْ لم يَنْظُروا إلى ما في الكَوْنِ مِنْ آياتٍ وعِبَرٍ .

٢ـ التَّحذيرُ مِنَ المُنافِقينَ ؛ ولِذا نَجِدُ أنَّ اللهَ تَعالى هُنا قَدْ وَصَفَ حالَ الَّذينَ كَفَروا في آيَتَيْنِ ، وحالَ المُنافِقينَ في ثلاثَ عَشْرَةَ آيةً ، لِيُبيِّنَ لَنا خُبْثَهُمْ ومَكْرَهُمْ ويَفْضَحَهُمْ ويَستهزِىءَ بِهِمْ .

٣ـ خِداعُ أَهْلِ الضَّلالِ ومَكْرُهُمْ بالمُؤْمنينَ لا يعودُ إلاّ عَلَيْهِمْ ، ولِذا قالوا : مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً لأخيهِ وَقَعَ فيها .

٤ـ لابُدَّ وأَنْ يَتعهَّدَ الإنسانُ قَلْبَهُ ، فَيُحاوِلُ إصْلاحَهُ ، ومُداواتَهُ مِنَ الأمْراضِ المَعنويَّةِ الّتي تُصيبُهُ ، كالكُفْرِ والحَسَدِ والبُغْضِ والرِّياءِ ، لِقولِ الرّسولِ ﷺ : « إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألا وهِيَ القَلْبُ » .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أَنْذَرْتَهُمْ ، خَتَمَ ، يُخادِعونَ .

٢ـ لِماذا نَفى اللهُ تَعالى الإيمانَ عَنِ الّذينَ كَفَروا في قَوْلِهِ تَعالى ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ ؟

٣ـ مَنِ المَقْصودُ بِقَوْلِهِ تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ ؟

٤ـ كَيْفَ يَكونُ خِداعُ المُنافِقينَ للهِ تَعالى وللذينَ آمَنوا ؟

٥ـ عَلامَ يَدُلُّنا قَوْلُهُ تَعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ؟

٦ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ بَعْضَ صِفاتِ المُنافِقينَ ، اذْكُرْ هَذِهِ الصِّفاتِ ودَليلَها مِنَ الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ مَتى ظَهَر المُنافِقونَ ؟ أفي مَكَّةَ أمْ في المَدينةِ المُنوَّرةِ ؟ ولِماذا ؟

٢ـ تَساءَل بَعْضُ النّاس : إذا كانَ اللهُ قَدْ خَتَمَ عَلى قُلوبِ الكافرينَ فَلِمَ يُعذِّبُهُمْ ؟ كيفَ تَرُدُّ على هَذا ؟ اكتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ذَكَرَ الرَّسولُ ﷺ فيما رُوِيَ عَنهُ بَعْضاً مِنْ علاماتِ النِّفاقِ . هاتِ حديثاً يَدُلُّ عَلى ذلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

المُفْسِدونَ : الإِفْسادُ : خُروجُ الشَّيْءِ عَنْ حَالَةِ الاعْتِدالِ ، وضِدّهُ الصَّلاحُ .

السُّفهاءُ : السَّفَهُ : أَصْلُهُ الخِفَّةُ والرِّقَّةُ والاضْطِرابُ ، وشاعَ في خِفَّةِ العَقْلِ وضَعْفِ الرَّأْيِ .

خَلَوْا : انفَرَدوا ، أَوْ مَضَوْا وذَهَبوا .

يَمُدُّهُمْ : يُمْهِلُهُمْ .

طُغيانِهِمْ : الطُّغيانُ : مُجاوَزَةُ الحَدِّ .

يَعْمَهونَ : يَتحيَّرونَ ، ويَتردَّدونَ .

التَّفسيرُ :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

يَصِفُ سُبْحانَهُ وتَعالى المُنافِقينَ بِجُمْلَةٍ مِنَ الصِّفاتِ الدّالَّةِ على قُبْحِهِمْ ورَذائِلِهِمْ إضافةً لما ذُكِرَ مِنْ قَبْلُ ، وقَدْ وصَفَ اللهُ تَعالى المُنافِقينَ في ثلاثَ عَشْرَةَ آيةً لِيُحَذِّرَنا مِنْهُمْ ، ولِشِدَّةِ خَطَرِهِمْ على

الدَّوْلَةِ المُسْلِمَةِ والمُسْلِمينَ . هَؤلاءِ المُنافِقونَ كانوا مِنَ الكافِرينَ ، ولا شَكَّ في أَنَّ مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالى ، وانْتَهَكَ مَحارِمَهُ كانَ مُفْسِداً في الأَرْضِ ؛ فالكُفْرُ يُؤدّي إلى خَرابِ الأَرْضِ وقِلَّةِ الخَيْرِ ونَزْعِ البَرَكَةِ ، وأَرْضُ اللهِ تَعالى لا يُمْكِنُ أَنْ تَصْلُحَ إلاّ بالتَّوْحيدِ والعِبادَةِ ، وهذهِ هِيَ الغايَةُ مِنَ الخَلْقِ . ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ومِنْ مَعالِمِ النِّفاقِ الّذي جَعَلَهُمْ في صَفِّ الكافِرينَ ، أَنَّهُمْ أَطْلَعوا الكافِرينَ عَلى أَسْرارِ المُؤْمِنينَ ، وأَلْقَوا الشُّبُهاتِ الكَثيرةَ في طَريقِ الدَّعوَةِ . ومَعَ كُلِّ ما يَفعلونَ ، فإنَّهُمْ إذا نُهوا عَنِ الفَسادِ ادَّعَوْا بأَنَّهُمْ لَيْسوا مُفسِدينَ وإنَّما هُمْ مُصْلِحونَ ، وأَكَّدوا هذهِ الصِّفةَ وقَصَروها عَلى أَنْفُسِهِمْ ، فَصوَّروا إفْسادَهُمْ بِصورَةِ الإِصْلاحِ ؛ وذلكَ لِما في قُلوبِهِمْ مِنْ مَرَضٍ .

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ .

ويُكَذِّبُهُمُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ويَرُدُّ قَوْلَهُمْ أَبْلَغَ رَدٍّ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ فإنَّ إفْسادَهُمْ واضِحٌ لِلعيانِ ، يَشْعُرُ بهِ ويَلْمَسُهُ كُلُّ واحِدٍ ، ولا شَكَّ في أَنَّ مِن أَسْوأ أَلْوانِ الجَهْلِ أَنْ يَكونَ الإنسانُ مُفْسِداً ولا يَشْعُرُ بذلكَ ، مَعَ أَنَّ أَثَرَ هذا الفَسادِ ظاهِرٌ لِلْعَيانِ ، ويَنْصَحُهُمُ النّاصِحُ وهو الرَّسولُ ﷺ أو صَحابَتُهُ الكِرامُ ، أَنْ يُؤْمِنوا كَما آمَنَ النَّاسُ ، وهُمْ صَحابَةُ رسولِ اللهِ ﷺ ، فَيَكونُ قَوْلُهُمْ ، أَنَّهُمْ يَتَّهِمونَ المُؤْمِنينَ بالسَّفَهِ ، وهُوَ خِفَّةُ العَقْلِ وضَعْفُ الرَّأْيِ ، فَهُمْ لِجَهْلِهِمْ وإخْلالِهِمْ بالنَّظَرِ اعْتَقَدوا أَنَّ ما هُمْ فيهِ هُوَ الحَقُّ ، وأَنَّ ما عَداهُ باطِلٌ ، ولأَنَّهُمْ كانوا في رِياسَةٍ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَكانوا أَصْحابَ مالٍ ومَناصِبَ ، وكانَ أَكْثَرُ المُؤْمِنينَ فُقراءَ ومِنْهُمْ مَنْ كانَ عَبْداً مِثْلَ صُهَيْبٍ وبِلالٍ وخَبّابٍ ، فَسَمّوهُمْ سُفَهاءَ تَحْقيراً لَهُمْ ، فَيقولونَ : ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ والهَمْزَةُ للإنْكارِ ، فَهُمْ يَسْتَنْكِرونَ أَنْ يَكونوا مِثْلَ المُؤْمِنينَ لِما ذَكَرْناهُ .

وقَدْ رَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ بما يُخرِسُ أَلْسِنَتَهُمْ ويَفْضَحُهُمْ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ فَهُمْ وَحْدَهُمُ السُّفَهاءُ ، لأَنَّهُمْ أَعْرَضوا عَنِ الإيمانِ ، معَ أَنَّ الأدِلَّةَ واضِحَةٌ أَمامَهُمْ ، ولأَنَّهُمْ فَضَّلوا الدُّنْيا الفانِيَةَ الزّائِلَةَ عَلى الآخِرَةِ الباقِيَةِ الخالِدَةِ .

وقَدْ خُتِمَتْ هذهِ الآيَةُ بِقَوْلِه تَعالى : ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مَعَ أَنَّ الآيةَ السّابِقَةَ خُتِمَتْ بِقولِهِ ﴿يَشْعُرُونَ﴾ ولا شَكَّ في أَنَّ هَذا دَليلاً عَلى مُعْجِزَةِ القُرْآنِ العَظيمَةِ ، وأَنّهُ كِتابٌ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ خَبيرٍ ، فالآيَةُ السّابِقَةُ وَصَفَتِ المُنافِقينَ بالإفْسادِ ، وهذا الإفْسادُ مِنَ الأُمورِ المَحْسوسَةِ الّتي يُمْكِنُ إدْراكُها بالمَشاعِرِ أي الحَواسِّ ، ولِذا نَفى عَنْهُمْ سُبْحانَهُ الشُّعورَ بِقولِهِ : ﴿لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ أمّا هذهِ الآيَةُ فَوَصَفَتْهُمْ بالسَّفَهِ ، الّذي هُوَ خِفَّةُ العَقْلِ وضَعْفُ الرَّأْيِ والجَهْلُ بالأُمورِ ، وهذا يُناسِبُهُ نَفْيُ العِلْمِ عَنْهُمْ : ﴿لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ تُبيِّنُ الآياتُ الكَريمةُ دَأَبَ هَؤلاءِ المُنافِقينَ في أنَّهُمْ إذا الْتَقَوْا في طَريقِهِمْ بالمُؤْمِنينَ ، قالوا لَهُمْ : آمَنّا ، اسْتِهْزاءً بِهِمْ ، وفي هَذا إبْداءٌ لِخُبْثِهِمْ ومَكْرِهِمْ ، فَهُمْ يَدَّعونَ أَنَّهُمْ مِثْلُ المُؤْمِنينَ في الإيمانِ الحَقيقيِّ ، ولَكِنَّهُمْ إذا انْفَرَدوا مَعَ شَياطينِهِمْ وهُمْ مَنْ كانوا يَأْمُرونَهُمْ بالتَّكْذيبِ مِنَ اليَهودِ . وسُمّوا شَياطينَ لِتَمرُّدِهِمْ وتَحسينِهِمُ القَبيحَ ، وتَقْبيحِهِمُ الحَسَنَ . هؤلاءِ إذا انْفَردوا مَعَ شَياطينهِمْ أوْ إذا ذَهَبوا ومَضَوْا إلَيْهِمْ قالوا لَهُمْ : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ مَعيَّةً مَعنويَّةً ، المَقْصودُ مِنها مُوافَقَتُكُمْ على دينِكُمْ ، وأكَّدوا لَهُمْ بِقَوْلِهِمْ ﴿إِنَّا﴾ حتّى لا يَدورَ في خَلَدِ شَياطينِهِمْ أَنَّهم قَدْ فارَقوا دينَهُمْ وتَرَكوهُ إلى دينِ المُسْلِمينَ ؛ فَنَحْنُ نُظْهِرُ لِلْمُؤْمنينَ أنَّنا نُوافِقُهُمْ عَلى دينِهِمُ اسْتِهْزاءً واسْتِخْفافاً بِهِمْ . ومِنْ شِدَّةِ مَكْرِهِمْ نَجِدُ التَّعبيرَ هُنا في جانِبِ المُؤْمنينَ بـ ﴿لَقُوا﴾ وفي جانِبِ الشَّياطينِ ﴿خَلَوْا﴾ لِيُبيِّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ هؤلاءِ المُنافِقينَ لا يُمْكِنُ أَنْ يأْنَسوا أوْ يَطْمَئِنّوا لِلْمُؤْمنينَ ، فَهُمْ يلاقونَهُمْ في طَريقِهِمْ فَلا يُجالِسونَهُمْ ولا يُسامِرونَهُمْ ، أمّا الشَّياطينُ فَهُمْ يَخْلونَ إلَيْهِمْ ، والإِنْسانُ لا يَخْلو إلاّ مَعَ مَنْ أَحَبَّ .

أمّا نَتيجةُ اسْتِهْزائِهِمْ وسُخْرِيَتِهِمْ بالمُؤْمِنينَ ، فَهِيَ أوّلاً : اسْتِهْزاءُ اللهِ بِهِمْ ، ومَعنى اسْتِهْزائِهِ بِهِمْ : احْتِقارُهُ لَهُمْ . ثانِياً : أنَّ اللهَ تَعالى ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يُمْلي لَهُمْ ، ويُمَكِّنُهُمْ مِنَ المَعاصي لِيَزْدادوا إثْماً ، حالَ كَوْنِهِمْ يَنْصَرِفونَ بلا رُشْدٍ ويَكُبّونَ رُؤوسَهُمْ فلا يُبْصِرونَ الحَقَّ ، ويَعتقدونَ أَنَّ كُفْرَهُمْ هُوَ الحَقُّ ، وما سِواهُ باطِلٌ .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أُولئكَ المُنافِقونَ الَّذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعالى بالصِّفاتِ السّابِقَةِ ، قَدِ اخْتاروا الضَّلالَةَ عَلى الهُدى ، فَقَدْ خَسِرَتْ صَفْقَتُهُمْ وفَقَدوا الاهْتِداءَ للطَّريقِ المُسْتَقيمِ ، ووَقَعوا في تيهِ الحَيْرَةِ والضَّلالِ ، وما كانوا مُهْتَدينَ إلى سَبيلِ الرُّشْدِ ، وما كانوا مُهْتَدينَ إلى طَريقِ التِّجارةِ الرّابِحَةِ ، فَهُمْ أوّلاً لَمْ يَرْبَحوا في تِجارَتِهِمْ ، بَلْ خَسِروا ، وهُمْ ثانِياً : ذَهَبَ نورُ الهُدى مِنْ حَوْلِهِمْ فَبَقوا في ظُلْمَةِ الضَّلالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الإيمانُ هو القَوْلُ باللِّسانِ ، والاعْتِقادُ بالجَنانِ ، والعَمَلُ بالجَوارِحِ والأَرْكانِ ، فلابُدَّ وأَنْ يُطابِقَ القَوْلُ الاعْتِقادَ ، ويُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ العَمَلُ .

٢ـ لا يُمْكِنُ أَنْ تُعْمَرَ الأَرْضُ ، أَوْ يَصْلُحَ حالُ المُجْتَمَعِ إلاّ بالإيمانِ ، والابْتِعادِ عَنِ الكُفْرِ والمعاصي .

٣ـ السَّيِّءُ لا يُصاحِبُ إلاّ سَيِّئاً مِثْلَهُ ، وهُمُ الّذينَ سَمّاهُمُ القُرْآنُ شَياطينَ ، والصّالِحُ لا يُصاحِبُ إلاّ صالِحاً مِثْلَهُ كَذلِكَ ، يَنْصَحُهُ ويُعينُهُ عَلى الحَقِّ ، ويُبْعِدُهُ عَنِ الباطِلِ .

٤ـ الإنْسانُ العاقِلُ هُوَ الّذي يَحْرِصُ عَلى عَقْدِ صَفْقَةٍ رابِحَةٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئِلةِ التّاليةِ :

١ـ كَيْفَ يَكونُ إفْسادُ المُنافِقينَ في هَذِهِ الأَرْضِ ؟

٢ـ لماذا عَبَّرَ سُبْحانَهُ مَرَّةً بِقَوْلِهِ : ﴿يَعْلَمُونَ﴾ وأُخْرى بِقَوْلِهِ : ﴿يَشْعُرُونَ﴾ ؟

٣ـ في قولِهِ تَعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ مَنْ هُوَ القائِلُ ؟ ومَنْ المَقولُ لَهُ ؟

٤ـ ما المَقْصودُ بالمَعيَّةِ في قَولِهِ ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ؟

٥ـ لِمَ عَبَّرَ سُبْحانَهُ في جانِبِ المُؤْمنينَ بِكَلِمَةِ : ﴿لَقُوا۟﴾ وفي جانِبِ الشَّياطِينِ بِكَلِمَةِ : ﴿خَلَوْا۟﴾ ؟

٦ـ بيِّنْ حالَ المُنافِقينَ في كُلِّ مَوْطِنٍ مِمّا يَلي :

أـ إذا قيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدوا في الأَرْضِ .

ب ـ إذا قيلَ لَهُمْ آمِنوا كَما آمَنَ النّاسُ .

ج ـ إذا لَقوا الّذينَ آمَنوا .

دـ إذا خَلَوْا إلى شَياطينِهِمْ .

٧ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمةُ خَسارةَ الكافِرينَ . اذْكُرِ الآيةَ الدّالَّةَ عَلى ذَلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ في قولِهِ تَعالى : ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ شَبَّهُ المُنافِقينَ بالتُّجّارِ ، بَيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ في ذَلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

اسْتَوْقَدَ : طَلَبَ الوَقودَ لِتَسْطَعَ النّارُ وَيَشْتَعِلَ لَهيبُها .

صُمٌّ : الصَّمَمُ : الانْسِدادُ ، والأَصَمُّ : مَنِ انْسَدَّتْ مَسامِعُهُ فَلا يَسْمَعُ .

بُكْمٌ : الأبْكَمُ : الّذي لا يَنْطِقُ .

صَيِّبٍ : مِنَ الصَّوْبِ ، وهُوَ النُّزولُ ، سُمِّيَ بِهِ المَطَرُ لِنُزولِهِ مِنَ السَّماءِ .

الصَّواعِقِ : شِدَّةِ الصَّوْتِ ، ويَصْحَبُها غالِباً قِطْعَةٌ مِنَ النّارِ لا تَأْتي عَلى شَيْءٍ إلاّ أَهْلَكَتْهُ .

يَخْطَفُ : الخَطْفُ : الأَخْذُ بِسُرْعَةٍ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أنْ حَدَّثَتْنا الآياتُ عَنْ صِفاتِ الكافِرينَ والمُنافِقينَ ، تَضْرِبُ هذهِ الآياتُ لَهُمُ الأَمْثالَ . والمَثَلُ هُوَ الشِّبيهُ ، ولا يُسْتَعْمَلُ إلاّ لما فيهِ غَرابَةٌ ، واسْتُعيرَ لِلصِّفَةِ أَوِ الحالِ أَوِ القِصَّةِ الّتي لَها شَأْنٌ عَجيبٌ . والأَمْثالُ تُضْرَبُ عادةً لإيضاحِ المَعْنى الخَفِيِّ ، ولِتَقْريبِ المَعْقولِ مِنَ المَحْسوسِ ، فَيَكونُ المَعْنى أَوْقَعُ في النَّفْسِ ، فقال تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

فَهؤلاءِ المُنافِقونَ مَثَلُهُمْ وحالُهُمْ يُشْبِهُ حالَ مَنْ طَلَبَ الوَقودَ لِيُشْعِلَ ناراً ، فَأَشْعَلَ هذهِ النّارَ لِكَيْ يَسْتَطيعَ هوَ ومَنْ مَعهُ أنْ يُبْصِروا طَريقَهُمْ ، ويَهْتَدوا بهذهِ النّارِ إلى المَكانِ الّذي يُريدونَ الوُصولَ إليهِ ، ولَكِنْ ما أنِ اشْتَعَلَتْ هذهِ النّارُ واطْمَأَنّوا لَها حتّى سَلَبَ اللهُ تَعالى مِنهُمْ هذا النُّورَ والإضاءَةَ ، الحاصِلَةَ بِسَبَبِ تِلْكَ النّارِ ، وتَرَكَهُمْ في ظُلُماتٍ كَثيفَةٍ شَديدَةٍ ، وأَكَّدَ سُبْحانَهُ هذا بِقَوْلِهِ ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى أَعْطاهُمُ النُّورَ الّذي يُبْصِرونَ بهِ طَريقَهُمْ وَيَهتَدونَ إلى الحَقِّ ، ولَكنَّهُمْ أَطْفَأوا هَذا النّورَ بِنِفاقِهِمْ وَوَقَعوا في حَيْرَةٍ عَظيمَةٍ .

﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وهَؤلاءِ المُنافِقونَ كَما تَصِفُهُمُ الآياتُ : صُمٌّ بُكْمٌ ، عُمْيٌ ، فَهُمْ وإنْ كانتْ لَهُمْ آذانٌ تَسْمَعُ ، وأَلْسِنَةٌ تَنْطِقُ ، وأَعْيُنٌ تُبْصِرُ ، إلاّ أَنَّهُمْ لا يَسْمَعون خَيْراً ولا يَتكلّمونَ بما يَنْفَعُهُمْ ، ولا يُبْصِرونَ طَريقَ الحَقِّ والهِدايةِ ، ومَنْ لَمْ يَسْتَخْدِمْ حَواسَّهُ كَما يَنْبَغي ، فَكَأَنَّهُ لا حَواسَّ لَهُ أَصْلاً ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِها الانْتِفاعَ الصَّحيحَ .

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وَيَضْرِبُ سُبْحانَهُ وتَعالى مَثَلاً آخَرَ لِلْمُنافِقينَ : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ فَمَثَلُ أُولئِكَ كَمَنِ اسْتَوْقَدَ ناراً أَوْ كَمَثَلِ ذَوي صَيِّبٍ ، أيْ : مَطَرٍ ، فَمَثَلُ هَؤلاءِ المُنافِقينَ ، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلَ بِهِمُ المَطَرُ مِنَ السَّماءِ ، وصاحَبَ هذا المَطَرَ سوادُ اللّيلِ ، والرّعْدُ الّذي يَصُمُّ الآذانَ ، والبَرْقُ الّذي يَخْطِفُ الأَبْصارَ ، والصَّواعِقُ الّتي تَحْرِقُ كُلَّ ما تُصيبُهُ ، وقدْ وَرَدَتْ هذهِ الكَلِماتُ : ظُلماتٌ ، رَعْدٌ ، بَرْقٌ ، مُنَكَّرَةً ، لِتَدُلَّ عَلى تهويلِ الأَمْرِ وفَظاعَتِهِ .

وهَؤلاءِ القَوْمُ صاروا يَسُدّونَ آذانَهُمْ بِأَصابِعِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الصَّواعِقِ ، خَوْفاً مِنْ أنْ تَقْتُلَهُمْ ؛ لأَنَّ صَوْتَها هائِلٌ وفَظيعٌ قَدْ يُؤَدّي إلى المَوْتِ ، وهذا ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ﴾ وفي الآيَةِ مَجازٌ مُرْسَلٌ ، فَمِنَ المَعْروفِ أَنَّ الإنسانَ يَضَعُ جُزْءاً مِنْ أُصْبَعِهِ في أُذُنِهِ لا كُلَّ أَصابِعِهِ ، ولَكِنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَبَّرَ بالأَصابِعِ لِبيانِ شِدَّةِ اضْطِرابِهِمْ وفَزَعِهِمْ .

وخُتِمَتِ الآيَةُ الكَريمةُ بِقَوْلِهِ : ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإنَّهُ لا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنَ اللهِ تَعالى إلاّ إلَيْهِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ مُحيطٌ بِهِمْ إحاطَةً تامَّةً ، قادِرٌ عَلى تَعْذيبِهِمْ والتَّنْكيلِ بِهِمْ متى شاءَ سُبْحانَهُ وكَيْفَ شاءَ .

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

وتَسْتَمِرُّ الآيةُ بعَرْضِ المَثَلِ ، فتتحدَّثُ عَنِ البَرْقِ ، الّذي صاحَبَ المَطَرَ ، فهُوَ يَكادُ ، ويَكادُ مِنْ أفعالِ المُقارَبَةِ ، تَدْخُلُ على اسمٍ يُسْنَدُ إليهِ فِعْلٌ ـ فَهذا المُسْنَدُ إليهِ وهُوَ البَرْقُ ، قَدْ قارَبَ لِشدَّةِ لَمَعانِهِ عَلى خَطْفِ أَبْصارِ هَؤلاءِ القَوْمِ ، وفي هَذا تَصويرٌ لِشدَّةِ هذا البَرْقِ . وقَدْ تَرَكَتِ الآيَةُ بَيانَ شِدَّةِ الرَّعْدِ ، اكْتِفاءً بِبَيانِ شِدَّةِ البَرْقِ ، إذِ القُرْآنُ كِتابٌ مَبْنِيٌّ عَلى الإيجازِ ، ولَكِنَّ الآياتِ ذَكَرَتْ شَيئاً في جانِبِ الرَّعْدِ ، وهي تَوَقّي القَوْمَ لهذا الرَّعْدِ ، بِوَضْعِ أَصابِعِهِمْ في آذانِهِمْ .

وَهؤلاءِ القَومُ إذا شاهَدوا وَمِيضاً مِنَ البَرْقِ ، انْتَهَزوا الفُرْصَةَ فَخَطَوْا خُطواتٍ سَريعةً أمامَهُمْ ، إذْ إنَّ البَرْقَ يُضيءُ لَهُمْ طَريقَهُمْ ، ولكنْ إذا اخْتَفى لَمَعانُ هَذا البَرْقِ ثَبَتَوا في مَكانِهِمْ ، وما دَرَوْا أيْنَ يَتَّجِهونَ لِشدَّةِ الظَّلام . وهذِهِ الآيةُ تَدُلُّ عَلى فَرْطِ حِرْصِ هَؤلاءِ عَلى النَّجاةِ مِنْ هَذهِ الأَهوالِ الّتي هُمْ فيها . ويَقولُ سُبْحانَهُ تَهديداً لَهُمْ :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ ﴾ فإنَّ كُلَّ شَيءٍ في هذا الكَوْنِ بِمَشيئَةِ اللهِ وإرادَتِهِ ، فَلَوْ أرادَ اللهُ تَعالى أنْ يَذْهَبَ بِسَمْعِ هَؤلاءِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الرَّعْدِ ، ولَوْ أرادَ أنْ يَذْهَبَ بِأَبْصارِهِمْ بِسَبَبِ شِدَّةِ البَرْقِ ، لَفَعَلَ سُبْحانَهُ ، ولَكنَّهُ لَمْ يَشأْ هَذا ، وهَذا دَليلٌ عَلى أنَّ تَأْثيرَ الأَسْبابِ في مُسَبَّباتِها إنَّما هُوَ بِيَدِ اللهِ تَعالى ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ .

هَذا المَثَلُ ضَرَبَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى لهؤلاءِ المُنافِقينَ المُتَمَرِّدينَ المُخادِعينَ ، مَثَّلَهُمْ بِقَوْمٍ جادَتْهُمُ السَّماءُ بِغَيْثٍ مُنْهَمِرٍ في ليلةٍ ذاتِ رَعْدٍ وبَرْقٍ ، فَأَمّا الغَيْثُ فَلَمْ يُلْقوا لَهُ بالاً ، ولَمْ يَنالوا مِنهُ نَيْلاً ، فلا شَرِبوا مِنهُ قَطْرَةً ، ولا اسْتَنْبَتوا بِهِ ثَمَرةً ، وتِلْكَ التَقَلُّباتُ الجَوِّيَّةُ مِنَ الظُّلُماتِ والرَّعْدِ والبَرْقِ كانَتْ مَثارَ اهْتِمامِهِمْ ، ومَناطَ تَفْكيرِهِمْ ، ولِذلكَ جَعَلوا يَتَرَصَّدونَها ويُدَبِّرونَ أُمورَهُمْ عَلى وَفْقِها ، لابِسينَ لِكُلِّ حالٍ لَبوسَها ، سَيْراً تارةً ، وَوُقوفاً تارَةً ، واخْتِفاءً تارَةً أُخْرى .

وهَكَذا كانَ حالُ المُنافِقينَ ، إذا رَأَوْا عَرَضاً قَريباً وسَفَراً قاصِداً ، وبَرَقَتْ لَهُمْ بُروقُ الأَمَلِ في الغَنيمةِ ، ساروا مَعَ المُؤْمنينَ جَنْباً إلى جَنْبٍ ، وإذا دارَتْ رحى الحَرْبِ وانْقَضتْ صَواعِقُها مُنْذِرَةً بالمَوْتِ والهَزيمةِ ، أَخَذوا حِذْرَهُمْ وفَرّوا مِنْ وَجْهِ العَدوِّ قائِلينَ : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ حتَّى إذا كانَتِ الثّالِثَةُ ، فَلَمْ يَلْمَحوا مِنَ الآمالِ بارِقَةً ، ولَمْ يَتوقَّعوا مِنَ الآلامِ إلاّ صاعِقَةً ، بلِ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمُ الأُمورُ ، فهناكَ يَقِفونَ مُتَرَبِّصينَ لا يَتقدَّمونَ ولا يَتأخَّرونَ ، ولَكِنْ يَلزَمونَ جِهةَ الحِيادِ رَيْثَما تَنْقَشِعُ سَحابَةُ الشَّكِّ ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] وهذا حالُ المُنافِقينَ في كلِّ وَقْتٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ أنْعَمَ اللهُ تَعالى عَلى الإنْسانِ بِنِعَمٍ كَثيرةٍ مِنْها : السَّمْعُ والبَصَرُ ، والواجِبُ عَلَيْنا المُحافَظَةُ عَلى هاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ ، وشُكْرُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِما .

٢ـ شُكْرُ نِعَمِ اللهِ تَعالى يَكونُ بِسَماعِ الحَقِّ وإبْصارِهِ واتِّباعِهِ .

٣ـ كلُّ ما يَحْدُثُ في هذا الكَوْنِ يَرْجِعُ لِقُدْرَةِ اللهِ تَعالى العَظيمةِ ، فلابُدَّ للإنْسانِ مِنْ أنْ يَخافَ اللهَ ويَتَّقِيَهُ ، ويَتوقّى عَذابَهُ .

٤ـ مِنْ سُنَّةِ اللهِ في الكَوْنِ رَبْطُ الأَسْبابِ بِمُسَبِّباتِها ، ولَكِنَّ هَذِهِ الأُمورَ كُلَّها تَعودُ لِمَشيئَةِ اللهِ وإرادَتِهِ ﴿وإنَّما أَمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئاً أنْ يَقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ﴾ .

٥ـ المُنافِقونَ لا يَثْبُتونَ عَلى حالٍ ، فَهُمْ مُذَبْذَبونَ ، يَبْحثونَ عَنْ مَصالِحِهِمْ ، وأَيْنَما وَجَدوها اتَّبعوها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

صَيِّبٍ ، الصّواعِقِ ، اسْتَوْقَدَ .

٢ـ لِماذا يَضْرِبُ سُبْحانَهُ وتَعالى الأَمْثالَ في القُرْآنِ الكَريمِ ؟

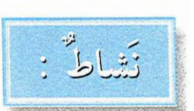
٣ـ ضَرَبَ اللهُ سُبْحانَهُ للمُنافِقينَ مَثَلاً بِمَنِ اسْتَوْقَدَ ناراً ، بَيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهُما .

٤ـ قالَ تَعالى : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي أَذَانِهِم﴾ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ جَميعِ الأَصابِعِ ؟

٥ـ ضَرَبَ اللهُ تَعالى مَثَلَيْنِ في هذهِ الآياتِ ، مَنِ المَقْصودُ بِكُلِّ مَثَلٍ مِنْها ؟

٦ـ شَبَّهَ اللهُ المُنافِقينَ بِمَنْ يَمْشي عِنْدَ لَمَعانِ البَرْقِ وَيَقِفُ بَعْدَ زَوالِهِ ، بَيِّنِ الحِكْمَةَ في ذَلِكَ .

٧ـ ماذا تَفْهَمُ مِنْ قولِهِ تَعالى : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وقَوْلِهُ : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ؟



١ـ لِمَ خَصَّتِ الآياتُ هُنا السَّمْعَ والبَصَرَ بالذِّكْرِ ، ولَمْ تَذْكُرْ غَيْرَها مِنْ مَشاعرِ الإنْسانِ وحَواسِّهِ ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ ضَرَبَ سُبْحانَهُ وتَعالى في كتابِهِ كَثيراً مِنَ الأَمْثالِ ، هاتِ مَثَلَيْنِ غَيْرَ ما جاءَ في الآياتِ مِنْ هذهِ الأَمْثالِ مِنْ خِلالِ آياتِ القُرْآنِ ، شارِحاً لها .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ

سورةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فِراشاً	: الفِراشُ : ما يَفْتَرِشُهُ الإنْسانُ لِيَسْتَقِرَّ عَلَيْهِ في الجُلوسِ والنَّوْمِ ، وهَكذا جَعَلَ اللهُ الأَرْضَ لِيَسْتَقِرَّ عَلَيْها النّاسُ .
أَنْداداً	: الآلِهَةُ الّتي يَعبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ ، الّتي جَعَلوها مُساوِيَةً للهِ تَعالى في كُلِّ شَيْءٍ ، وشَريكَةً لَهُ تَعالى .
ادْعوا شُهَداءَكُمْ	: اطْلُبوا مِنْ آلِهَتِكُمُ الحُضورَ ، لِيَشْهَدوا مَعَكُمْ عَلى صِدْقِكُمْ .
وَقودها	: الوَقودُ : ما يُلْقى في النّارِ لإضْرامِها وزِيادَةِ لَهيبِها .
الحِجارةُ	: الحِجارَةُ مَعروفَةٌ ، ومِنْها الأَصْنامُ الّتي كانوا يَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَتِ الآياتُ السّابِقَةُ ، صِفاتِ كُلٍّ مِنَ المُؤْمِنينَ ، والكافِرينَ والمُنافِقينَ ، وضَرَبَتِ الأَمْثالَ وبَيَّنَتْ ما يَدُلُّ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ تَعالى ، وقُدْرَتِهِ عَلى فِعْلِ الأَشْياءِ والتَّصرُّفِ في الكَوْنِ ، جاءَ

في هذهِ الآياتِ خِطابٌ للنَّاسِ جَميعاً ، يُوَجِّهُهُمْ إلى الأَمْرِ الَّذي خُلِقوا مِنْ أَجْلِهِ ، وهُوَ عِبادَةُ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

فَهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالى خَلَقَهُمْ وخَلَقَ الَّذينَ كانوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، والخَلْقُ إيجادُ الأَشْياءِ مِنَ العَدَمِ ، وقَدْ ذَكَّرَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بِرُبوبِيَّتِهِ ، وأضافَ اسْمَ الرَّبِّ إلى المُخاطَبينَ (رَبَّكُمْ) عَلى عِبادَتِهِ ، فإنَّ الإنْسانَ إذا اتَّجَهَ بِفِكْرِهِ إلى مَعْنى كَوْنِ اللهِ تَعالى مالِكاً لَهُ ، أَوْ مُرَبِّياً لَهُ ، وتَذَكَّرَ ما يَحُفُّهُ بِهِ مِنْ رِفْقٍ ، وما يَجودُ عَلَيْهِ مِنْ إنعامٍ ، لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَخُصَّهُ بِأَقْصى ما يَستطيعُ مِنَ الخُضوعِ والخُشوعِ والإجْلالِ . وإفْرادُ اسْمِ الرَّبِّ لِيَدُلَّ عَلى أَنَّ المُرادَ رَبَّ جَميعِ الخَلْقِ وهُوَ اللهُ تَعالى ؛ إذْ لَيْسَ ثَمَّةَ ربٌّ يَسْتَحِقُّ هذا الاسْمَ بالإفْرادِ والإضافَةِ إلى جَميعِ النّاسِ إلاّ اللهُ .

وقَضِيَّةُ خَلْقِ اللهِ لَهُمْ لا يُنْكِرونَها ، قالَ تَعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [لقمان : ٢٥] قَدْ ذَكَرَ خَلْقَهُمْ قَبْلَ ذِكْرِ خَلْقِ آبائِهِمْ مَعَ أَنَّهُ خَلَقَ آباءَهُمْ أَوَّلاً ، لأنَّ الإنْسانَ يَعْلَمُ أَحْوالَ نَفْسِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِ بأَحْوالِ غَيْرِهِ ، ومَنْ عَبَدَ اللهَ ولَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، وعَلِمَ أَنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ الَّذي وهَبَهُ الهِدايَةَ ومَعْرِفَةَ وسائِلِها لابُدَّ مِنْ وُصولِهِ إلى دَرجَةِ المُتَّقينَ ، ولِذا قالَ سُبْحانَهُ :

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ولعلَّ : حَرْفٌ مَوْضوعٌ لِيَدُلَّ عَلى التَّرَجّي ، وهُوَ تَوَقُّعُ حُصولِ الشَّيْءِ عِنْدَ حُصولِ أَسْبابِهِ .

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

ثُمَّ ذَكَرَتِ الآياتُ نِعَماً أَنْعَمَ اللهُ بِها على النّاسِ ، لِتَكونَ دَليلاً على أَنَّهُ وَحْدَهُ يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، فَهُوَ الَّذي اسْتَحَقَّ العُبودِيَّةَ ، فَهُوَ سُبْحانَهَ وتَعالى الَّذي مَهَّدَ لَكُمْ هذهِ الأَرْضَ وجَعَلَها صالِحَةً للاسْتِقْرارِ عَلَيْها ، والانْتِفاعِ بِما أَوْدَعَهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى في بَواطِنِها مِنَ الخَيْراتِ الوَفيرَةِ .

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ فَهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالى كَوَّنَ السَّماءَ بِنِظامٍ مُتَماسِكٍ مِثْلَ البِناءِ ، وسَوّى أَجْرامَها على ما نُشاهِدُ ، وأَمْسَكَها بِسُنَّةِ الجاذِبِيَّةِ ، حَتَّى لا تَقَعَ على الأَرْضِ ، ولا يَصْطَدِمَ بَعْضُها بِبَعْضٍ ، وقدْ عَبَّرَ هُنا بالبناءِ ، فَهُوَ لا شَكَّ يَخْتَلِفُ عَنِ البُنْيانِ في الأَرْضِ ، إذِ النَّاسُ في الأَرْضِ يَحتاجونَ لأَساساتٍ وأَعْمِدَةٍ يَقومُ عَلَيْها بُنيانُهُمْ ، أَمَّا في السَّماءِ فَلَيْسَ الأَمْرُ كَذلِكَ .

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ فَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحانَهُ وقُدْرَتِهِ أَنْ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ المَطَرَ الَّذي يُسْقى بِهِ الزَّرْعُ ، فَأَخْرَجَ بِسَبَبِ الماءِ النّازِلِ سُبْحانَهُ رِزْقاً للنّاسِ لِيَنْتَفِعوا بِهِ هُمْ ودَوابُّهُمْ ، مَعَ أَنَّهُ تَعالى قادِرٌ على إنْشاءِ الثَّمَرِ أَوِ الزَّرْعِ مِنْ دونِ سَبَبٍ .

وإذا كانَ سُبْحانَهُ هُوَ الّذي أنْعَمَ عَلَيْكُمْ بما ذَكَرَ ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فلا تَجْعَلوا لَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أَمْثالاً ونُظَراءَ تَعْبُدونَهُمْ وتُسَمّونَهُمْ آلِهَةً ، وتَعْتَقِدونَ فيهمُ النَّفْعَ والضُّرَّ ، وتَجْعَلونَ لَهُمْ ما هُوَ للهِ وَحْدَهُ ، والحالُ أنَّكُمْ أَيُّها النّاسُ تَعْلَمونَ أنَّ هذهِ المَعْبوداتِ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، ولا يُمْكِنُ أنْ تَخْلُقَ إنْساناً أوْ أرْضاً أو سماءً ، فلا يُمْكِنُ إذَنْ أنْ تَكونَ مُساوِيَةً للهِ تَعالى .

وبعدَ أنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ الأَدِلَّةَ على وَحْدانِيَّتِهِ تَعالى ، ذَكَرَ بَعْضَ الأدِلَّةِ عَلى صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ فيما يُبَلِّغُهُ عَنْ رَبِّهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وعلى أنَّ هَذا القُرْآنَ إنّما هُوَ كَلامُ اللهِ تَعالى ، الّذي لا يَسْتطيعُهُ أحَدٌ ؛ ولِذا جاءتِ الآياتُ تَتحدّاهُمْ بهذا الكِتابِ ، الّذي يَدْعو إليهِ النَّبيُّ ﷺ . يَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ .

وقَدْ عَرَفْتَ مَعنى الرَّيْبِ ، فَهُوَ شَكٌّ مَعَ قَلَقٍ واضْطِرابٍ . وعَبَّرَ القُرْآنُ هُنا بـ(إنْ) الّتي تُفيدُ الشَّكَّ ، لِيُبَيِّنَ سُبْحانَهُ بأنَّ مِنْ شَأْنِ هذا التَّنْزيلِ أنْ لا يُرْتابَ فيهِ ، لأنَّ الحَقَّ فيهِ ظاهِرٌ بِذاتِهِ ، يَتلأْلأُ نورُهُ في كُلِّ آيةٍ مِنْ آياتِهِ ، فاللهُ يَطْلُبُ مِنْهُمْ : إنِ ارْتَبْتُمْ أيُّها المُشْرِكونَ في شَأْنِ هذا القُرْآنِ الّذي أنْزَلَهُ اللهُ على عَبْدِهِ مُحمّدٍ ﷺ ، فحاوِلوا أنْ تَأْتوا بِسورةٍ تُشْبِهُ السّورَةَ القُرْآنِيَّةَ مِنْ أيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ ، وأَحْضِروا مَنْ يُعينُكُمْ على هذا الأمْرِ مِنَ الإنْسِ .

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أيْ : في زَعْمِكُمْ أنَّكُمْ تَستطيعونَ الإتْيانَ بِمثلِ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَأْتوا بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، فَجوابُ الشَّرْطِ هُنا مَحْذوفٌ ، مَفْهومٌ مِنَ الجُمْلَةِ السّابِقَةِ .

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .

تُهَدِّدُهُمُ الآياتُ القُرْآنِيَّةُ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فإنْ لَمْ تَأْتوا بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، ولَنْ تَسْتَطيعوا فِعْلَ ذلكَ ؛ لأنَّ هذا لَيْسَ في طاقةِ المَخْلوقينَ ، فاتَّقوا النّارَ الّتي أُعِدَّتْ لأَمْثالِكُمْ مِنَ الكافِرينَ ، الّذين يَجْحَدونَ الحَقَّ بَعْدَ البُرْهانِ السّاطِعِ ، وقَوْلُهُ : ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ جاءَتْ بَيْنَ الشَّرْطِ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ وَجَوابِهِ ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ وجاءتْ هُنا لأنَّ فيها ما فيها مِنْ تَقْوِيَةِ الدَّليلِ ، وتَقْريرِ عَجْزِ أُولئكَ المُشْرِكينَ ، ولإثارَةِ حَمِيَّتِهِمْ بأنْ يُحاوِلوا الإتْيانَ بِمِثْلِ القُرْآنِ ومُعارَضَتِهِ ، وَمَع ذلكَ فإنَّ مُحاولاتِهِمْ سَتبوءُ بالفَشَلِ .

فاتَّقوا أيُّها المُشْرِكونَ النّارَ الّتي أَعَدَّها اللهُ تَعالى يَوْمَ القِيامَةِ ، لِمَنْ أَنْكَرَ القُرْآنَ ، أوْ أنْكَرَ نُبوَّةَ الرَّسولِ ﷺ ، وهذهِ النّارُ تَزيدُ اتِّقاداً بما يُلْقى فيها مِنَ النّاسِ والحِجارَةِ ، وهذهِ النّارُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ الّذين لا يُجيبونَ دَعْوَةَ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، نَسْأَلُ اللهَ تَعالى أنْ يَقيَنا نارَ جَهنَّمَ ، وأَنْ يَجْعَلَنا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وأَنْ يوفِّقَنا للتَّقْوى ، إنَّهُ سَميعٌ قَريبٌ مُجيبُ الدُّعاءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ شُكْرُ المُنْعِمِ دائماً على نِعَمِهِ الّتي أنْعَمَها عَلى الخَلْقِ ، ومِنْها نِعْمَةُ خَلْقِ الإنْسانِ بِأَحْسنِ صورةٍ ، وخَلْقِ السّماواتِ والأرْضِ ، وجَعْلِها مُهَيَّأَةً لِلْعَيْشِ عَلَيْها ، والشُّكْرُ لا يَكونَ إلاّ بِتَوْجيهِ العِبادَةِ الحَقَّةِ للخالِقِ وحْدَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى .

٢ـ القُرْآنُ الكَريمُ كِتابٌ مُعْجِزٌ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى عَلى نَبِيِّهِ ﷺ ، فلا بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يُوقِنَ بِهذا ، وقَدْ عَجِزَ العَرَبُ عَنْ مُعارَضَتِهِ والإتْيانِ بِمِثْلِهِ .

٣ـ الإنْسانُ مُطالَبٌ بأنْ يُبْعِدَ نَفْسَهُ عَنِ الأذى ، ويَقيَها مِنْ نارِ جَهَنَّمَ الّتي يَزيدُ اتِّقادُها بالحِجارَةِ والنّاسِ البَعيدينَ عَنِ اللهِ تَعالى وعَنْ شَرْعِ اللهِ تَعالى .

٤ـ لابُدّ مِنْ عِبادَةِ اللهِ تَعالى ، والعَمَلِ بِما جاءَ في القُرْآنِ الكَريمِ ، والاعْتِقادِ الجازِمِ بِكُلِّ ما أَخْبَرَ عنهُ القُرْآنُ مِنْ إثباتٍ لِوَحْدانيّةِ اللهِ ، ونُبوّةِ الرّسولِ ﷺ ، وإثْباتٍ لِلْبَعْثِ وغَيْرِ ذَلِكَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ يُفْقَهُ مِنْ بَعْضِ آياتِ الدَّرْسِ بَعْضُ الأُمورِ الّتي توجِبُ اسْتِحْقاقَ اللهِ تَعالى وحْدَهُ لِلْعِبادَةِ ، اذْكُرْها مَعَ الدَّليلِ مِنَ الآياتِ .

٢ـ هَلْ كانَ العَرَبُ السّابِقونَ يُنْكِرونَ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ خالِقُهُمْ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ .

٣ـ ما مَعنى كَلِمَةِ رَيْبٍ ؟ وما الفَرْقُ بَيْنَها وبَيْنَ كَلِمَةِ شَكٍّ ؟

٤ـ مَنْ هُمُ الشُّهَداءُ في قَوْلِهِ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ ؟ ولِماذا أَمَرَهُمْ بِدَعْوَتِهِمْ ؟

٥ـ ما فائِدَةُ قَوْلِهِ : ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ ؟

٦ـ ماذا تَفْهَمُ مِنْ قولِهِ تَعالى :

أ ـ ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَنداداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

ب ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجارَةُ﴾ .



١ـ يُفْقَهُ مِنْ بَعْضِ الآياتِ أنَّ الأَرْضَ كُرَوِيّةُ الشَّكْلِ ، وهُنا تُصَوِّرُ الآياتُ الأَرْضَ بِصورَةِ الفِراشِ ، فَهَلْ يَتنافى هَذا مَعَ كَوْنها كُرَوِيَّةً ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كِتابٍ مِنْ كُتُبِ عُلوم القُرْآنِ ، وتَعَرَّفْ مَراحِلَ التَّحدّي لِلإِتْيانِ بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ ، لإثباتِ عَجْزِ النّاسِ عَنْ ذَلِكَ . اكْتُبْ هذِهِ المَراحِلَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **بَشِّرْ** : البِشارَةُ الخَبَرُ السّارُّ ، وسُمِّيَتْ كَذلِكَ لأَنَّ أَثَرَها يَظْهَرُ عَلى البَشَرَةِ .
- **مُتَشابِهاً** : أَيْ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً في الصّورَةِ والرّائِحَةِ ، ويَخْتَلِفُ في اللَّذَّةِ والطَّعْمِ .
- **إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيي** : الحَياءُ صِفَةٌ مِنْ صِفاتِ الباري تَبارَكَ وتَعالى ، وهُوَ حَياءٌ لا يُشْبِهُ حَياءَ المَخْلوقينَ ، فَهُوَ كَعِلْمِهِ وقُدْرَتِهِ وحَياتِهِ .
- **الفاسِقينَ** : الفِسْقُ هُوَ الخُروجُ عَنْ هِدايَةِ اللهِ تَعالى .
- **يَنْقُضونَ** : النَّقْضُ هُوَ فَسْخُ ما وُصِلَ ، وحَلُّهُ .
- **عَهْدَ اللهِ** : يُقالُ عَهِدَ إِلَيْهِ ، أَيْ أَوْصاهُ بِهِ بِما يَلْزَمُ مُراعاتُهُ وحِفْظُهُ .
- **ميثاقِهِ** : ميثاقُ اللهِ ، وهُوَ التَّقْوِيَةُ والتَّثْبيتُ ، والمُرادُ بِهِ ما قَوّى اللهُ بِهِ عَهْدَهُ .



﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السّابِقَةُ ما أَعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِلْكافِرينَ ، وهذا مِنْ بابِ التَّرْهيبِ ، كانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ أنْ يُبيِّنَ ما أعَدَّهُ لِفريقِ المُؤْمِنينَ ، تَرْغيباً للنّاسِ في أنْ يَكونوا مِنْهُمْ ، فَتُخاطِبُ الآياتُ النَّبيَّ ﷺ وكُلَّ مَنْ آمَنَ بِهذا الكِتابِ أنْ يُبَشِّرَ الّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ بالجَنّاتِ . ولَكِنْ آمَنوا بِماذا ؟ آمَنوا باللهِ تَعالى وبِكتابِهِ ورَسولِهِ ﷺ .

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أيْ : الأَفْعالَ الحَسَنَةَ ، وقَدْ فَصَّلَتْ آياتٌ كَثيرَةٌ تِلْكَ الأَعْمالَ الصّالِحَةَ ، قالَ تَعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

هَؤلاءِ الّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ يَوْمَ القِيامَةِ خالِدينَ فيها ، وهَذِهِ الجَنّاتُ العَظيمَةُ ، تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ؛ وذلكَ لأنَّ حَياتَها بالماءِ الّذي يَزيدُها جَمالاً وبَهْجَةً . ومِنْ شَأْنِ أَهْلِ تِلْكَ الجَنّاتِ أَنَّهُمْ : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ (مِنْ) الأُولى ابْتدائيَّةٌ ، و(مِنْ) الثّانِيَةُ تَبَعِيَّةٌ ، أيْ : كُلَّما رُزِقوا مِنَ الجَنّاتِ رِزْقاً مِنْ بَعْضِ ثِمارِها قالوا : هَذا الّذي رُزِقْنا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، والمَقْصودُ أنَّ ثِمارَ الآخِرَةِ تُشْبِهُ ثِمارَ الدُّنْيا ، ولَكِنَّهُمْ بَعْدَ أنْ يَتَذَوَّقوهُ يَعْرِفونَ الفَرْقَ بَيْنَهُما ، فإنَّ هُناكَ فَرْقاً عَظيماً بَيْنَ لَذَّةِ رِزْقِ الدُّنْيا ، ولَذَّةِ رِزْقِ الآخِرَةِ .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ الأَزْواجُ جَمْعُ زَوْجٍ ، والمَقْصودُ هُنا المَرْأَةُ ، أيْ : إنَّ لِهؤلاءِ المُؤْمِنينَ نساءً خُلِقْنَ لَهُمْ ، مُطَهَّراتٍ غايَةَ التَّطهيرِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ حِسِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ ، وهُنَّ المَعْروفاتُ بالحُورِ العينِ ، وهَكَذا فالمُؤْمِنُ في الجَنَّةِ مُنَعَّمٌ هادِئُ البالِ ، يَتَمَتَّعُ باللَّذاتِ ، الّتي مِنْها مُصاحَبَةُ الأَزْواجِ ، والخُلودُ هُوَ المُكْثُ الأَبَدِيُّ . ثُمَّ قالَ تَعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾ .

والحياءُ انْكِسارٌ وتَغيُّرٌ في النَّفْسِ يُلِمُّ بها إذا نُسِبَ أوْ عَرَضَ لها فِعْلٌ تَعْتَقِدُ قُبْحَهُ ، مَنَعَها مِنْ فِعْلِهِ ، وهذا في حَقِّ البَشَرِ ، أمّا بالنِّسْبَةِ للهِ ، فَهُوَ سُبْحانَه لَهُ حياءٌ يَخصُّهُ لا يُشْبِهُ حياءَ المَخْلوقينَ بحالٍ .

يَضْرِبُ اللهُ تَعالى الأَمْثالَ ، ويُبيِّنُ سُبْحانَهُ بأَنَّ صِفَةَ الحَياءِ لَيْسَتْ بِمانِعَةٍ لَهُ سُبْحانَهُ مِنْ ضَرْبِ الأَمْثالِ بِهذِهِ المَخْلوقاتِ ، فاللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يَضْرِبُ المَثَلَ بما هُوَ غايَةٌ في الصِّغَرِ وهُوَ البَعوضُ ، إذْ إنَّ في هذهِ المَخْلوقاتِ مِنْ دَلائِلِ القُدْرَةِ ، وبَديعِ الصَّنْعَةِ مالا تَسْتَطيعُهُ العُقولُ البَشَرِيَّةُ ، وفيها كذلِكَ ما يَشْهَدُ بِحِكْمَةِ اللهِ تَعالى .

و(ما) في قولِهِ : (مثلاً ما) هِيَ (ما) الإبْهامِيّةُ ، تَجيءُ بعدَ النَّكِرَةِ ، فَتَدُلُّ على العُمومِ ، تقولُ مَثلاً : أَعْطِني كِتاباً ما ، بمعنى : أيَّ كِتابٍ كانَ ، دونَ تَحديدٍ لاسْمٍ مُعَيَّنٍ أوْ مُؤَلِّفٍ مُعَيَّنٍ ، وقولُهُ : ﴿ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ أي : في الحَقارَةِ والصِّغَرِ ، مِثْلَ الميكروباتِ والفَيْروساتِ الّتي لا تُرى بالعَيْنِ المجرَّدَةِ .

ويُبيِّنُ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ النّاسَ أمامَ هذهِ الأَمْثالِ فَريقانِ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ لأنَّ هذا لَيْسَ نَقْصاً ، فَهُوَ حَقٌّ لأَنَّهُ جاءَ مُبيِّناً لِلْحَقِّ مُقَرِّراً لهُ ، وقَدْ جاءَ الخَبَرُ مُعرَّفاً بأَلْ (أنَّهُ الحَقُّ) للدَّلالَةِ على أنَّ المُخْبَرَ عَنْهُ بَلَغَ في الوَصْفِ مَرْتَبَةَ الكَمالِ ، فهوَ حَقٌّ لا مِرْيَةَ فيهِ ، ولا تَشوبُهُ شُبْهَةُ باطلٍ أبَداً ، فَهؤلاءِ الّذينَ آمَنوا يَعْلمونَ أنَّ ما ضَرَبَهُ اللهُ تعالى مِنَ المَثَلِ هُوَ الحَقُّ ، وذَكَرَ هُنا كَلِمَةَ (يَعْلَمونَ) لِيُعَرِّضَ بالمُشْرِكينَ بأنَّهُمْ قالوا ما قالوهُ عِناداً ومُكابَرةً وجَهْلاً ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ فَيُجادِلونَ في الحَقِّ بَعْدَما تَبيَّنَ لَهُمْ ، ويُعْرِضونَ عَنِ الحُجَجِ الواضِحَةِ ، ويَحْتَجّونَ بِحُجَجٍ واهِيَةٍ ، ويَتساءَلونَ : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴾ وهَذا اسْتِفْهامٌ يُفيدُ الإنْكارَ والتَّحقيرَ لهذهِ الأَمْثالِ ، ولأنْ يكونَ سُبْحانَهُ وتَعالى قد ضَرَبَ مِثْلَ هذِهِ الأَمْثالِ للناسِ ، وهَذا كُلُّهُ يَدُلُّ على انْطِماسِ بَصيرَتِهِمْ وعِنادِهِمْ ومُكابَرَتِهِمْ .

ثُمَّ تَذْكُرُ الآياتُ الحِكْمَةَ مِنْ ضَرْبِ الأَمْثالِ فَيقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ ﴾ فَهُوَ سُبْحانَهُ يُضِلُّ بالمَثَلِ المَضْروبِ ، الّذينَ يَجْعَلونَ المَثَلَ شُبْهَةً على الإنْكارِ والرَّيْبِ ، ويَهْدي بِهِ أُولئِكَ الّذينَ يُؤْمِنونَ ويُقَدِّرونَ الأَشْياءَ بغاياتِها ، ويَحْكُمونَ على الأُمورِ بِحَسَبِ فَوائِدِها ، قالَ تَعالى : ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

وخُتِمَتِ الآيةُ بِبيانِ العِلَّةِ لِما وَصَلَ إليهِ أُولئكَ الكافِرونَ ، فقالَ سُبْحانَهُ : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فَهذِهِ هِيَ عِلَّةُ الضَّلالِ ؛ إنّها الخُروجُ عَنْ نَهْجِ اللهِ ، وعَنْ طَرِيقِهِ ، فَهُمْ في كُفْرِهِمْ صَرَفوا أَنْظارَهُمْ عَنْ التَّدَبُّرِ في المَثَلِ وقالوا : ماذا أرادَ اللهُ بهذا مَثَلاً .

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وتَصِفُ الآياتُ القُرْآنيَّةُ أُولئكَ الفاسِقينَ بِصفاتٍ عِدَّةٍ ، مِنْها :

١ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ وعَهْدُ اللهِ تَعالى هُوَ ما أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَدْ مَنَحَهُمُ اللهُ تَعالى ما يَفْهَمونَ بِهِ سُنَّتَهُ ، وأَعْطاهُمُ العَقْلَ والحَواسَّ ، الّتي تَدلُّهُمْ على خالِقِهِمْ . ونَقْضُ هذا العَهْدِ يَكونُ بِعَدَمِ اسْتِعْمالِ ما أَعْطاهُمُ اسْتِعْمالاً صَحيحاً ، حتّى كَأَنَّهُمْ فَقَدوها ، ويَتفرَّعُ عَنْ هذا العَهْدِ الإلهيِّ ، عَهْدٌ آخَرُ أَخَذَهُ اللهُ تَعالى على النّاسِ ، وهو مَرْكوزٌ في فِطَرِهِمْ ، إذْ إنَّ الفِطْرَةَ تَدلُّهُمْ على وُجودِ الخالِقِ سُبْحانَهُ ، فإذا خالَفوا هذهِ الفِطْرَةَ ، فَقَدْ نَقَضوا عَهْدَ اللهِ .

٢ـ ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ والتَّعبيرُ بالقَطْعِ أَبْلَغُ مِنَ التَّعبيرِ بالنَّقْضِ ، ولِذلكَ جاءَ بَعْدَهُ مُتَمِّماً لَهُ ، وكأَنَّ حَبْلَ اللهِ مُحْكَمٌ مُوَثَّقٌ ، فَهؤلاءِ الكافِرونَ لَمْ يَكْتَفوا بِنَقْضِ العَهْدِ ، ولكنَّهُمْ قَطَعوهُ ، وأَفْسَدوا بِذلكَ نِظامَ الفِطْرَةِ ونِظامَ الهِدايَةِ الدّينيةِ ، ويَشْمَلُ هذا كُلَّ قَطْعٍ ، وذلِكَ مِثْلُ الإعْراضِ عَنْ دينِ اللهِ ، وقَطْعِ الرَّحِمِ ، والإعْراضِ عَنْ مُوالاةِ المُؤْمِنينَ .

٣ـ ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ وأيُّ إفسادٍ أَكْبرُ مِنْ إفْسادِ مَنْ أَهْمَلَ هِدايَةَ العَقْلِ وهِدايَةَ الدّينِ ، وعَبَدَ غَيْرَ اللهِ تَعالى ، واعْتَدى على حُقوقِ اللهِ ، وعلى حُقوقِ النّاسِ .

ولِذلِكَ كانَتِ النَّتيجَةُ لِهؤلاءِ الخُسْرانُ المُبينُ ، أي : الخِزْيُ في الدُّنْيا ، والعَذابُ في الآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَنْبَغي عَلى الإنْسانِ أَنْ يُحسِنَ صِلَتَهُ باللهِ تَعالى ، وأنْ يُقْبِلَ عَلى اللهِ تَعالى دائِماً ، في الرَّخاءِ والشِّدَّةِ ، لِيَنْعَمَ بِما أَعَدَّهُ اللهُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ جَنّاتٍ .

٢ـ كُلُّ ما يُخْبِرُ عَنْهُ سُبْحانَهُ ، لَيسَ فيهِ أَيُّ مَجالٍ لِلشَّكِّ أوِ الرَّيْبِ أوِ المُجادَلَةِ والمُناقَشَةِ ، فلابُدَّ وأنْ يَعتَقِدَ الإنْسانُ بِما يُخْبِرُ بِهِ سُبْحانَهُ ، وبما يَفْعَلُهُ سُبْحانَهُ .

٣ـ الفِطْرَةُ والعَقْلُ كِلاهُما يَدُلُّ عَلى الخالِقِ سُبْحانَهُ ، فلا يَجوزُ للإنسانِ أنْ يَطْمِسَ عَلى هَذهِ الفِطْرَةِ ، ولابُدَّ لَهُ مِنْ الامْتِثالِ لأَوامِرِ اللهِ تَعالى .

٤ـ الإنْسانُ البَعيدُ عَنِ اللهِ تَعالى خاسِرٌ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بِماذا بَشَّرَتِ الآياتُ الكَريمَةُ المُؤْمنينَ الَّذينَ يَعْمَلونَ الصّالِحاتِ ؟

٢ـ ما مَعنى : مُتشابِهاً ، وأزواجٌ مُطَهَّرَةٌ ؟

٣ـ ما مَعْنى : الاسْتِحْياءِ ؟ وما المَقْصودُ بِهِ هُنا في الآياتِ ؟

٤ـ ما مَوْقفُ كُلٍّ مِنَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ مِنْ ضَرْبِ الأَمْثالِ ؟

٥ـ ذَكَرَتِ الآياتُ للفاسِقينَ بَعْضَ الصِّفاتِ . ما تِلْكَ الصِّفاتُ ؟ وما دَليلُ كُلِّ صِفَةٍ ؟

٦ـ قال تَعالى : ﴿مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ .

أ ـ لِمَ جاءَتْ كَلِمةُ (ما) هنا ؟

ب ـ وما مَعْنى : فما فَوْقَها ؟

٧ـ ما النَّتيجةُ الّتي أعَدَّها اللهُ للفاسِقينَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ بَيِّنْ مَعْنى الفُسوقِ لُغَةً واصْطِلاحاً مُسْتَعيناً بالمعاجِمِ ، واكْتُبْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ ذَكَرَتْ سورَةُ الفُرْقانِ في آخِرِها ، وسورَةُ المعارِجِ في أَوَّلِها بَعْضَ الأَعْمالِ الصّالِحَةِ الّتي يَنْبَغي عَلى المُؤْمِنينَ القِيامُ بها ، ارْجِعْ إلى هذهِ الآياتِ واتْلُها ، واسْتَخْرِجْ مِنْها تلكَ الأَعْمالَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ البقرةِ ـ القِسْمُ السّابعُ

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

اسْتَوى إلى السَّماءِ : عَلا وارْتَفَعَ مِنْ غيرِ تَحديدٍ ولا تَكييفٍ ولا تَشْبيهٍ .

يُفْسِدُ : الفسادُ : الخُروجُ عَنِ الاعْتِدالِ والاسْتِقامَةِ .

يَسْفِكُ : السَّفْكُ : الصَّبُّ والإهْراقُ .

نُقَدِّسُ : التَّقْديسُ : التَّطْهيرُ والتَّعظيمُ .

التَّفْسيرُ :

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ .

بَعْدَ أَنْ تَحدَّثَتِ الآياتُ السّابقَةُ عَنِ الفاسقينَ ، الّذينَ يُضِلّونَ عَنْ الحقِّ ، ووَصَفَتْهُمْ بِنَقْضِ العَهْدِ الإلهيِّ ، وقَطْعِ ما أَمَرَ بِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنْ يوصَلَ ، جاءَ هذا الاسْتِفْهامُ التَّعجُبيُّ عَنْ صِفَةِ كُفْرِهِمْ فقالَ : كَيْفَ تَكفرونَ باللهِ والحالُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مَعدومينَ ـ أيْ : في العَدَمِ ـ فَخَلَقَكُمْ سُبْحانَهُ وتعالى ، وأخْرَجَكُمْ إلى الوُجودِ ، ثُمَّ هُوَ سُبْحانَهُ يُميتُكُمْ ، وذَلِكَ بأَنْ يَقْبِضَ أرْواحَكُمْ عِنْدما تَحينُ آجالُكُمْ ،

ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، وذَلِكَ بِأَنْ يَبْعَثَكُمْ بَعْدَ المَوْتِ ، وبَعْدَ ذَلِكَ تَرْجِعونَ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ وتَعالى وحْدَهُ ، ولَيْسَ إلى أَحَدٍ غَيْرِهِ ، وفي هذا تَرْهيبٌ لِكُلِّ مَنْ يَرتَكِبُ المعاصي ، بِأَنَّهُ سَيَرْجِعُ إليهِ وَحْدَهُ سُبْحانَهُ وسَيُحاسِبُهُ عَلى ما فَعَلَ ، وفيهِ تَرغيبٌ كَذلِكَ للإِقْبالِ عَلى الخَيْرِ وفِعْلِ الطّاعاتِ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وفي ذَلِكَ الّذي ذَكَرَتْهُ الآياتُ دَليلٌ عَلى وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى ، فالَّذي قَدِرَ عَلى إِحْيائِهِمْ مِنَ العَدَمِ قادِرٌ عَلى إِحْيائِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ . ومِنَ الأَدِلَّةِ الكَوْنيَّةِ الّتي تَشْهَدُ بِوَحْدانِيَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، أَنَّهُ هُوَ الّذي خَلَقَ جَميعَ ما في الأَرْضِ مِنْ حيوانٍ ونَباتٍ وجِبالٍ ومَعادِنَ ، مِنْ أَجْلِ الإِنْسانِ وراحَتِهِ ، لِكَيْ يَنْتَفِعَ بها في دُنْياهُ ، ويَسْتَعينَ بها عَلى طاعةِ اللهِ تَعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي : علا إليْها وارْتَفَعْ مِنْ غَيْرِ تَكييفٍ ولا تَحْديدٍ ولا تَشْبيهٍ . وقَدْ سُئِلَ الإمامُ مالِكٌ عَنِ الاسْتِواءِ عَلى العَرْشِ ، فقالَ : الاسْتواءُ غَيْرُ مَجهولٍ ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعقولٍ ، والإيمانُ بهِ واجِبٌ ، والسُّؤالُ عنهُ بِدعَةٌ . وهذهِ الأُمورُ كُلُّها مِنْ خَلْقٍ للأَرْضِ وإِبْداعٍ للسَّماواتِ إنَّما صَدَرَ عَنْ عالِمٍ بِحَقائِقِ تلكَ الأُمورِ ، وهُوَ مُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَّرَتِ الآياتُ بِتلكَ النِّعَمِ العَظيمَةِ الّتي أَنْعَمَها اللهُ تَعالى عَلى الإِنْسانِ ، مِنْ خَلْقِ الأَرْضِ وجَعْلِها مُهَيَّأَةً للإِنْسانِ ، وخَلْقِ السّماواتِ السَّبْعِ ، تُذَكِّرُ الآياتُ بِنِعْمَةٍ أُخْرى عَظيمةٍ ، تَخُصُّ أُولئِكَ النّاسَ ، وهي قَضيَّةُ خَلْقِ أَبيهِمْ آدمَ عليهِ السَّلامُ ، وما أَنْعَمَ اللهُ تَعالى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةِ العِلْمِ ، والمسْكَنِ ، والزَوْجِ الّتي يَسْكُنُ إِلَيْها . تقولُ الآياتُ الكَريمةُ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ وإِذْ ظَرْفٌ لِما مَضَى مِنَ الزَّمانِ ، واقِعَةٌ في مَحلِّ نَصْبِ مَفْعولٍ بِهِ مَحْذوفٍ ، وتَقديرُ الكَلام : واذْكُرْ يا مُحَمَّدُ ، أو يا مَنْ تقرأُ آياتِ اللهِ وتَمُرُّ عَلَيْها ، وقْتَ أَنْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفةً . والملائِكَةُ هُمْ جُنْدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعالى ، فَطَرَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى الطَّاعَةِ ، ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وأَعْطاهُمُ القُدْرَةَ عَلى التَّشَكُّلِ بأَشْكالٍ عَظيمةٍ ، وعلى القِيامِ بأُمورٍ شاقَّةٍ . والخَليفَةُ هو الّذي يَنوبُ عَنْ غَيْرِهِ ، والمَقْصودُ بِهِ آدمُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ، الّذي جَعَلَهُ اللهُ خَليفةً في الأَرْضِ ، كَذلِكَ الأنبياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ وسائِرُ البَشَرِ لِيَقوموا بِعِمارَةِ الأَرْضِ ، ويَحْكُموا النّاسَ بالحَقِّ ويُقيموا العَدْلَ عَلى الأرضِ ، ويُخْرِجوا النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ .

وتُدْهَشُ الملائِكَةُ لِهذا الأَمْرِ الّذي أَرادَهُ اللهُ تَعالى ، وتَتعجَّبُ منهُ ، فَكَيْفَ يَجْعَلُ اللهُ تَعالى هذا الإِنْسانَ خَليفةً ، ومِنْ صفاتِهِ أَنَّهُ يُفْسِدُ في الأَرْضِ ، ويَسْفِكُ الدِّماءَ ؛ ولِذا قالوا للهِ تَعالى : ﴿ قَالُوٓا۟

﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أيْ : أَتجْعَلُ يا إلهَنا مَنْ يُفْسِدُ في هذهِ الأَرْضِ ويُريقُ الدِّماءَ فيها ، والحالُ أنّنا نُنَزِّهُكَ عمّا لا يَليقُ بِعَظَمَتِكَ ، ونَنْشَغِلُ دائِماً بِتَسْبيحِكَ وتَمْجيدِكَ وحَمْدِكَ ، ونُطَهِّرُ ذِكْرَكَ عمّا لا يَليقُ ، تعظيماً لَكَ وتَمْجيداً يا ربُّ . وقدْ رَدّ عَلَيْهِمْ سُبْحانَهُ وتعالى بِقَوْلِهِ : ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أيْ : أعْلَمُ بالمَصْلَحَةِ الّتي لأَجْلِها جعَلْتُ آدَمَ وذُرِّيَّتَهُ خَليفَةً في هذهِ الأَرْضِ . كَيْفَ عَرَفَتِ الملائِكَةُ أنَّ هذا الإنْسانَ سَيكونُ منهُ إفْسادٌ وسَفْكُ دِماءٍ ؟ إنّ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالى هَوَ الّذي أخْبَرَهُمْ بذلكَ ، فقدْ يكونُ سُبْحانَهُ وتعالى قالَ لَهُمْ : سَأَجْعَلُ في الأَرْضِ خَليفَةً يُقيمُ شَريعَتي ، ويَحْكُمُ بِأَمْري ، ولَكِنْ سَيكونُ منهُ إفْسادٌ في الأَرْضِ وسَفْكُ دِماءٍ ، ولَكِنْ بما أنَّ القُرْآنَ الكَريمَ مَبنِيٌّ على الإيجازِ فَقَدْ حُذِفَتْ هذهِ الجُمَلُ هُنا ، وفَهِمْناها مِمّا قالَتْهُ الملائِكَةُ .

ولكنْ كَيْفَ تَسأَلُ الملائِكَةُ وتُراجِعُ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالى ؟ إنّ هذا الحِوارَ الّذي ذَكَرَتْهُ الآياتُ بَيْنَ اللهِ وملائِكَتِهِ ولا نُدرِكُ الحَقيقَةَ منهُ ، ونُفَوِّضُ أَمْرَهُ إلى اللهِ تَعالى في بيانِ المُرادِ مِنْ كَلامِهِ وإخْبارِهِ للملائِكَةِ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ في الأَرْضِ خَليفَةً ، ولَيْسَ مِنْ بابِ اسْتِشارَةِ الملائِكَةِ ، فإنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ في هذهِ العِباراتِ بَعْضُ الفَوائِدِ ، ومِنْها :

١ـ بيانُ أنَّ الإنْسانَ لا يُمْكِنُهُ مَعرِفَةُ جَميعِ أَسْرارِ الخَليقَةِ ، فالمَلائِكَةُ ، وهُمْ أَوْلى مِنّا بِعِلْمِها قَدْ عَجِزوا عَنْ ذلِكَ .

٢ـ أنّ اللهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ، رَضِيَ لِخَلْقِهِ أنْ يَسْأَلوهُ عَنْ أسرارِهِ في الخَليقَةِ ، وذَلِكَ بِأَنْ يُعَرِّفَهُمْ بِعِلْمِ ما أُشْكِلَ عَلَيْهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

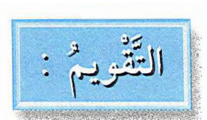
تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى كَثيرةٌ عَظيمةٌ ، وهذهِ لابُدَّ وأَنْ تُقابَلَ بالشُّكْرِ العَظيمِ للهِ ، وشُكْرُهُ تَعالى إنّما يَكونُ بالتَّوَجُّهِ إليهِ وحْدَهُ بالعِبادَةِ .

٢ـ أَباحَ لَنا سُبْحانَهُ وتَعالى الانْتِفاعَ بِكُلِّ ما خُلِقَ في الأَرْضِ ، فَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُحَرِّمَ ما أَحَلَّهُ اللهُ تَعالى لَنا .

٣ـ إنَّ هذا النِّظامَ المُحْكَمَ في الأَرْضِ والسَّماواتِ لَيْسَ إلاّ مِنَ لَدُنْ حكيمٍ عَليمٍ .

٤ـ لابُدَّ مِنَ التَّأَدُّبِ مَعَ اللهِ تَعالى ، وعَدَمِ تَجاوُزِ حُدودِ اللّياقَةِ مَعَهُ ، بِأَنْ نَلتَزِمَ بِكُلِّ ما أَمَرَنا بِهِ سُبْحانَهُ ، دونَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ حِكْمَةِ ما أَمَرَ بِهِ أَوْ ما سَيَفْعَلُهُ ، فلابُدَّ للإنْسانِ مِنْ أَنْ يُسَلِّمَ بِقَدَرِ اللهِ ، ويَمْتَثِلَ لأَوامِرِهِ .



التَّقْوِيمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ الموتَتَيْنِ في الآيةِ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ ؟

٢ـ لِماذا تَقَدَّمَ الجارُّ عَلى المَجْرورِ في قولِهِ : ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؟ وما الّذي تَستفيدُهُ مِنْ ذَلِكَ ؟

٣ـ ذَكرتِ الآياتُ نِعَماً أَنْعَمَها اللهُ عَلى الإنْسانِ . اذْكُرْ نِعمَتَيْنِ مِنْها .

٤ـ أـ ما مَعنى قولِهِ : ﴿ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ﴾ ؟

ب ـ اذْكُرْ قَوْلَ الإمامِ مالِكٍ في تَفْسيرِ ذَلكَ .

٥ـ كَيْفَ عَرَفتِ المَلائِكَةُ أَنَّ الخَليفَةَ سَوْفَ يَكونُ مُفْسِداً في الأَرْضِ ؟

٦ـ أـ هَلْ كانَ إِخْبارُ اللهِ تَعالى لِملائِكَتِهِ بأَنّهُ جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفةً مِنْ قَبيلِ اسْتِشارَتِهِمْ في هذا الأَمْرِ ؟

ب ـ هَلْ كانَ قَوْلُ المَلائِكَةِ : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ مِنْ بابِ الاعْتِراضِ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ .

٧ـ ما مَعْنى : التَّسبيحِ والتَّقديسِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنْ صِفاتِ المَلائِكَةِ ، وخَمْساً مِنَ الوَظائِفِ الموكَلَةِ إِلَيْهِمْ ، وسَجِّلْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورةُ البَقَرَةِ - القِسْمُ الثّامِنُ

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تُبدونَ : تُظْهِرونَ .

تَكْتمونَ : تُخْفونَ .

اسْجُدوا : أَصْلُ السُّجودِ الانْحِناءُ حتَّى يَضَعَ المَرْءُ جَبْهَتَهُ على الأَرْضِ لِمنْ يُسْجَدُ لَهُ على جِهَةِ التَّعْظيمِ ، وهو بِمَعْنى التَّذَلُّلِ والخُضوعِ .

إِبْليسَ : مُشْتَقٌّ مِنَ الإِبْلاسِ ، وهو الحُزْنُ النّاشِيءُ مِنْ شِدَّةِ اليَأْسِ .

التَّفسيرُ :

بَعدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّهُ سَوْفَ يَجْعَلُ عَلى هَذهِ الأَرْضِ خَليفَةً ، وَهُوَ آدمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بيَّنَ لَنا جانِباً مِنْ حِكْمَةِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَجَعْلِهِ خَليفَةً في الأَرْضِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

علَّمَهُ سُبْحانَهُ أَسْماءَ كلِّ ما خَلَقَ مِنَ المُحْدَثاتِ مِنْ إنْسانٍ وَحيوانٍ وَطَيرٍ وغَيْرِ ذلك . قالَ ابنُ عبّاسٍ : « عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ حتّى القَصْعَةَ والمِغْرَفَةَ » ، وَعَرَضَ سُبْحانَهُ المُسَمَّياتِ والأَشْياءَ الَّتي عَرَّفَ آدَمَ بِأَسْمائِها عَلى الملائِكَةِ ، فقالَ لَهُمْ : أَنْبِئوني بِأَسْماءِ هَذهِ المُسَمَّياتِ ، والأَمْرُ هُنا يُفيدُ التَّعْجيزَ والتَّبْكيتَ ، أيْ : أَخْبِروني بِأَسْماءِ هَذهِ المَخْلوقاتِ الَّتي تَرَوْنَها إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في زَعْمِكُمْ أَنَّكُمْ أَحَقُّ بالخِلافَةِ مِنْ آدمَ ، وبِهذا بيَّنَتِ الآياتُ فَضْلَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ على المَلائِكَةِ ، حيثُ عَلَّمَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ما لَمْ يُعَلِّمِ المَلائِكَةَ ، وخَصَّهُ بالمَعْرِفَةِ دونَهُمْ ؛ مَعْرِفَةِ الأسْماءِ والأَشْياءِ والأَجْناسِ ، لهذا اعْتَرَفوا بالعَجْزِ والقُصورِ فَقالوا :

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

أيْ : نُقَدِّسُكَ وَنُنَزِّهُكَ عَنْ أَنْ يَكونَ عِلْمُكَ قاصِراً فَتَخْلُقَ الخَليقَةَ عَبَثاً ، أَوْ يُحيطَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِكَ إلاّ بما شِئْتَ ، وأَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ شَيْئاً إلاّ ما عَلَّمْتَهُ إياهُ ، ولا نَقْدِرُ عَلى الإِنْباءِ بهِ ، وبَعْدَ تَنْزيهِ الباري تَبَرَّأوا مِنْ عِلْمِهِمْ إلى عِلْمِهِ فَقالوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ ، ونَجِدُ أَنَّ الملائِكَةَ قالوا هُنا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ ولَمْ يَقولوا : لا عِلْمَ لَنا بأَسْماءِ هَذهِ المُسَمَّياتِ ، لأَنَّهم لَوْ أَجابوا بهذا الجَوابِ ، كانَ جوابُهُمْ عَلى قَدْرِ السُّؤالِ ، ولَكِنَّهُمْ أرادوا الاعْتِرافَ بالعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَةِ أسماءِ تلكَ المُسَمَّياتِ عَلى أَبْلَغِ وَجْهٍ ، فَنَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَعْلَموا شَيْئاً غَيْرَ ما يُعَلِّمُهُمُ اللهُ تَعالى .

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أيْ : أَنْتَ يا رَبَّنا العَليمُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا تَخْفى عَلَيْكَ خافِيَةٌ ، الحَكيمُ في خَلْقِكَ وأَمْرِكَ وفي تَعْليمِكَ ما تَشاءُ ، فَأَفْعالُكَ كُلُّها حِكْمَةٌ .

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وبَعْدَ أَنِ اعْتَرَفَتِ الملائِكَةُ بِعَجْزِها عَنْ مَعْرِفَةِ أسْماءِ المُسَمَّياتِ ، وجَّهَ سُبْحانَهُ وتَعالى الخِطابَ إلى آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيُنَبِّئَهُمْ بِأَسْمائِهِم ، تِلْكَ الأَسْماءِ الَّتي لم تَعْرِفْها الملائِكَةُ لِيَظْهَرَ لَهُمْ فَضْلُ آدمَ ، ولِيَزْدادوا اطْمِئْناناً إلى ذلكَ الَّذي أوكَلَ إليهِ سُبْحانَهُ وتَعالى الخِلافَةَ عَلى الأَرْضِ ، ونَبَّأَهُمْ آدَمُ بالأَسْماءِ ، فقالَ اللهُ تَعالى : ألمْ أَقُلْ لَكُمْ إنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ والأَرْضِ ، وأَعْلَمُ ما تُظْهِرونَ مِنْ أَقْوالٍ وأفْعالٍ ، وما تُسِرّونَ وتُضْمِرونَ في أَنْفُسِكُمْ .

وبَعْدَ ما عَرَّفَ سُبْحانَهُ وتَعالى الملائِكَةَ بمكانِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وسَبَبَ جَعْلِهِ خَليفةً في الأَرْضِ ، أَمَرَهُمْ سُبْحانَهُ بالسُّجودِ لَهُ :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وهذا السُّجودُ لَيْسَ سُجودَ عِبادةٍ ، فإنَّهُ لا يُعْبَدُ إلا اللهُ تَعالى . والسُّجودُ لُغةً : الخُضوعُ والانقيادُ ، ومِنْ مَظاهِرِهِ أنْ يَخِرَّ الإنْسانُ نَحْوَ الأَرْضِ ويَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلى الأَرْضِ ، وكانَ عِنْدَ بَعْضِ القُدَماءِ مِنْ تَحِيَّةِ النَّاسِ لِلمُلوكِ والعُظَماءِ ، ولمَّا جاءَ الإسلامُ بَيَّنَ أَنَّ التَّعظيمَ والسُّجودَ لا يَكونُ إلاَّ لِلحَقِّ المَعْبودِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، فكانَ السُّجودُ لآدَمَ تَعظيماً لَهُ بِأَمْرٍ مِنْ رَبِّهِ .

﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ أيْ : سَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعونَ إلاّ إبْليسَ ، فَقَدْ أَبى السُّجودَ والانْقيادَ لأَمْرِ اللهِ تَعالى ، واسْتَكْبَرَ فَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَ اللهِ تَعالى تَرَفُّعاً عَنْهُ ، وزَعْماً بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ مِنْ حَيْثُ العُنْصرُ الّذي خَلَقَهُ اللهُ مِنهُ ، فَقَدْ خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرابٍ ، بَيْنَما خَلَقَهُ هو مِنْ نارٍ ، ولِذا قالَ : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] ولَوْ لَمْ يُوَجِّهِ الأَمْرَ إليهِ بالسُّجودِ لَمْ يَكُنْ عاصِياً ، ولَما اسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ الخِزْيَ . فالأَمْرُ وُجِّهَ لِلمَلائِكَةِ كُلِّهِمْ ولإبْليسَ فَسَجَدوا ، وإبْليسُ أَبى السُّجودَ بِسَبَبِ اسْتِكْبارِهِ عَلى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وبِسَبَبِ هذا كُلِّهِ كانَ مِنَ الكافِرينَ الجاحِدينَ لِنِعْمَةِ اللهِ تَعالى ، والبَعيدينَ عَنْ رَحمةِ اللهِ ورضوانِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ مِنْها :

١ـ تَفْضيلُ اللهِ تَعالى لآدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وبالتَّالي للإنْسانِ كُلِّهِ ﴿ولَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ﴾ ولِذا فإنَّهُ لا بُدَّ مِنْ شُكْرِ اللهِ تَعالى عَلى هَذهِ النِّعْمَةِ العَظيمةِ . والشُّكْرُ لا يَكونُ إلاّ بالعِبادَةِ والطّاعةِ للهِ تَعالى .

٢ـ عَلى الإنْسانِ أنْ يَجْتَهِدَ في تَكْميلِ نَفْسِهِ بالعُلومِ المُفيدةِ ؛ لأنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَنا مُسْتَعِدّينَ لِتَلَقّي العِلْمِ ، وبهِ شرَّفَنا .

٣ـ واجبُ الإنسانِ بَعْدَ أنْ يَتَعَلَّمَ أنْ يُعَلِّمَ هذا العِلْمَ للآخَرينَ ، فهُوَ يَتَلَقّى العِلْمَ ويَفْهَمُهُ ويَهْضُمهُ ، ثُمَّ يُعَلِّمُهُ لآخَرينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما الأَسْماءُ التي عَلَّمَها اللهُ تعالى لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ماذا يُفيدُ فِعْلُ الأمْرِ في خِطابِ اللهِ الملائكةَ : ﴿أَنبِئُونِى﴾ ؟

٣ـ ما مَعْنى كَلِمَةِ : سُبْحانَكَ ؟

٤ـ لماذا قالتِ المَلائِكَةُ للهِ : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ؟

٥ـ لماذا طَلَبَ سُبْحانَهُ وتَعالى مِنْ آدَمَ أَنْ يُنْبِىءَ الملائِكَةَ بأَسْماءِ الأَشْياءِ ؟

٦ـ هلْ كانَ سُجودُ الملائِكَةِ لآدَمَ سُجودَ عِبادَةٍ ؟ وَلِماذا ؟

٧ـ ذَكَرَتِ الآياتُ لإبليسَ ثلاثَ صِفاتٍ . اذْكُرْها .

٨ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ فَضْلَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ . وضِّحْ ذلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

نَشاطٌ :

١ـ يُسْتَدَلُّ مِنَ الآياتِ عَلى أَنَّ المَلائِكَةَ لا تَعْلَمُ الغَيْبَ . وضِّحْ ذلكَ واكتُبْهُ في دَفتَرِكَ .

٢ـ هناكَ آيةٌ في سورَةِ الكَهْفِ بَيَّنَتْ أَنَّ إبْليسَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ كانَ مِنَ الجِنِّ . اسْتَخْرِجْها واكتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ البقرةِ - القِسْمُ التّاسِعُ

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

رَغَداً : سَعَةُ العَيْشِ .

أَزَلَّهُما : أَصْلُهُ مِنَ الزَّلَلِ ، وهُوَ عُثورُ القَدَمِ ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في ارْتِكابِ الخَطيئَةِ ، يُقالُ : زَلَّ الرَّجُلُ إذا أَخْطَأَ .

مُسْتَقَرٌّ : مَوْضِعُ الاسْتِقرارِ والثَّباتِ .

ومتاعٌ : ما يَتَمَتَّعُ بِهِ الإنْسانُ مِنَ الطَّعامِ والشَّرابِ واللِّباسِ وغَيْرِه .

فَتابَ : التَّوْبَةُ : هِيَ الرُّجوعُ ، وتَعني رُجوعَ العَبْدِ عَنِ المَعْصِيَةِ للهِ تَعالى .

التَّفسيرُ :

عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ أرادَ إيجادَ هذا النَّوْعِ الإنْسانيِّ للاسْتِخْلافِ في الأَرْضِ ، وأَنَّ اللهَ عَلَّمَهُ أَسْماءَ الأَشْياءِ ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لَهُ .

بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَتِ الآياتُ نِعْمَةً أُخْرى أَنْعَمَها اللهُ تَعالى عَلى آدمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وهِيَ إيواءُ آدَمَ وزَوْجِهِ في سَكَنٍ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

اتَّخِذِ الجَنَّةَ مَسْكَناً ، والمَقْصودُ بالجَنَّةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ تِلْكَ الّتي أعَدَّها اللهُ تَعالى للمُؤْمنينَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وبَيَّنَ لَهُما سُبْحانَهُ ، بأَنَّهُ قَدْ أباحَ لَهما الأَكْلَ مِنْ ثمارِ الجَنَّةِ أَكْلاً رَغَداً واسِعاً هَنيئاً ، مِنْ أيِّ مَكانٍ ، إلاّ شَيئاً واحِداً نَهاهُما سُبْحانَهُ وتَعالى عَنْهُ ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أيْ : لا تَدْنوا مِنْ هَذهِ الشَّجَرةِ ، والمَقْصودُ مِنْ عَدَمِ قُرْبانِها ، عَدَمُ الأَكْلِ مِنْها ، وعَبَّرَ بِعَدَمِ القُرْبِ ، لِلْمُبالَغَةِ ، ولِقَطْعِ كُلِّ وَسيلةٍ إلى ارْتِكابِ ما نُهوا عَنْهُ .

وقَدِ اخْتَلفوا في تَعيينِ نَوْعِ هَذهِ الشَّجَرةِ ، ولكنَّنا نَقولُ بأنَّهُ تَعالى أَبْهَم نَوْعَها لِعَدَمِ وُجودِ هَدَفٍ ومَقْصِدٍ مِنْ ذِكْرِهِ ، وربَّما كانَ في النَّهْي ابْتِلاءٌ وامْتِحانٌ منهُ تَعالى لِيُبيِّنَ أنَّ هذا الإنْسانَ عَلى اسْتِعدادٍ للمَيْلِ نحوَ الخَيْرِ أو نحوَ الشَّرِّ .

ثُمَّ بَيَّنَتِ الآياتُ ما وَقَعَ فيهِ آدمُ مِنْ خَطأ ، فقال تَعالى :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

حَوَّلَهُما الشَّيْطانُ وزَحْزَحَهُما عَنِ الجَنَّةِ ، أو أنَّهُ حَمَلَهُما على الزَّلَّةِ بِسَبَبِ أكْلِهِما مِنَ الشَّجَرةِ ، وقَدْ وَسْوَسَ إليْهِما إبليسُ عليهِ اللّعنةُ ، بأنْ يَأْكُلا مِنَ الشَّجَرةِ .

لَقَدْ وَجَدَ إبْليسُ اللَّعينُ فُرْصَةً سانِحَةً لَهُ لِيُنفِّذَ ما تَوعَّدَ بِهِ آدَمَ وذُرِّيَّتَهُ ، ولا شَكَّ في أنَّهُ كانَ عَلى عِلْمٍ بِأَنَّ مُخالَفَتَهُما أَمْرَ ربِّهِما سَيَذْهَبُ بِكَثيرٍ مِنَ الثِّمارِ الّتي أَكْرَمَهُما اللهُ تَعالى بِها ، وسَيُعَرِّضُهُما لِعقوباتٍ ، وهذا ما كانَ ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ ﴾ أَخْرجَهُما مِنْ ذَلِكَ المكانِ ، أوْ ذَلِكَ النَّعيمِ الّذي كانا فيهِ . أذْنَبَ آدمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وخالَفَ ربَّهُ فَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرةِ ، فَجاءَتِ العُقوبَةُ مُباشَرَةً ، وهِيَ إخْراجُهُ مِنَ الجَنَّةِ ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ ﴾ أي : آدمَ وزَوْجَهُ ، وإبْليسَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾ فالعَداوَةُ بَيْنَ آدمَ وذُرِّيَّتِهِ وإبْليسَ عَداوةٌ أَبَديَّةٌ ، لأَنَّها نَشَأَتْ عَنْ حَسَدٍ وتَكَبُّرٍ مُنْذُ أَنْ أَمَرَ اللهُ إبْليسَ بالسُّجودِ لآدَمَ ، فَأَبى واسْتَكْبَرَ وقالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ .

وبَيَّنَتِ الآياتُ لَهُمْ أنَّ مُسْتَقَرَّهُمْ وثَباتَهُمْ سَيَكونُ في الأَرْضِ ، وسَتَكونُ الأَرْضُ مَوْضِعَ تَمتُّعِهِمْ . وهَذا يَدُلُّ على أَنَّ اللهَ تَعالى مَهَّدَ الأَرْضَ وهَيَّأَها لِلْمَعيشةِ فيها والتَّمَتُّعِ بها ، ويَدُلُّ عَلى أَنَّ هَذِهِ الأَرْضَ لَيْسَتْ مَكانَ خُلودٍ لِلإنْسانِ ، وإنَّما الاسْتِقرارُ والتَّمَتُّعُ فيها سَيَكونُ إلى حينٍ ، وأَجَلٍ لا يَعْلَمُهُ إلاّ اللهُ تَعالى ، ولَكِنْ ما هُوَ مَوْقِفُ آدَمَ بَعْدَ هذهِ العُقوبةِ ؟ هَلْ تَرَكَهُ رَبُّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يائِساً

حَزيناً ؟ لا ، فإنَّ اللهَ تَعالى أرْحَمُ وأعْدَلُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ عَبْدَهُ هَكَذا ، فَقَدْ عَلَّمَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى كَلِماتٍ يَقولُها لِيَتوبَ عَلَيْهِ ، قالَ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

أَلْهَمَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنْ يَقولَ هذهِ الكَلِماتِ ، فَقالَها تائِباً مُنيباً إلى رَبِّهِ سُبْحانَهُ وتعالى ، أيْ قَبِلَ تَوْبَتَهُ ، لأَنَّهُ تعالى هُوَ التَّوابُ ، الّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبادِهِ ، الرَّحيمُ بِعبادِهِ الَّذينَ يُسيئونَ إليهِ ويُغْضِبونَهُ ؛ ولكنَّهُمْ يَرْجِعونَ عَنْ ذُنوبِهِمْ ويَتوبونَ . ثُمَّ يَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ وتعالى :

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

فَقَدْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ هُنا الهُبوطَ مَرَّةً ثانِيَةً ، وذلِكَ لأَنَّهُ سُبْحانَهُ أَرادَ أَنْ يُبيِّنَ لَنا حالَ المخُاطَبينَ ، حَيْثُ إنّهُمْ سَوْفَ يَنْقَسِمونَ إلى مُهْتَدينَ وضالّينَ . والهُدى هُوَ كُلُّ ما يَدُلُّ عَلى الحَقِّ ، وهو ما وَرَدَ في كِتابِ اللهِ تَعالى وسُنَّةِ الرَّسولِ ﷺ ، فَمَنِ اتَّبَعَ طَريقَ الحَقِّ ، تَكونُ نَفْسُهُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ، لا يُصيبُهُ فَزَعٌ ولا غَمٌّ ، أَمّا الّذينَ كَفَروا وكَذَّبوا بآياتِ اللهِ تَعالى ، فإنَّ لَهُمْ نارَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ عَداوةُ الشَّيطانِ للإنْسانِ عَداوةٌ أَبَدِيَّةٌ ، ولِذا عَلى المُسْلِمِ عَدَمُ الاسْتِجابَةِ لِوَساوِسِهِ ، والابْتِعادُ عَنْ طَريقِهِ .

٢ـ الإِنْسانُ كَثيرُ الخَطأ ، ولا يَخْلو مِنَ الذّنْبِ ، ولِذا عَلَيْهِ أَنْ يَتوجَّهَ دائِماً إلى اللهِ تَعالى بالتَّوْبَةِ الصّادِقَةِ والاسْتِغْفارِ مِنَ الذَّنْبِ .

٣ـ الَّذي يَتَّبِعُ طَريقَ الحَقِّ يَشْعُرُ دائِماً بِطُمَأْنينةِ النَّفْسِ وراحَتِها ، أَمّا مَنِ اتَّبَعَ طريقَ الضَّلالِ ، فَهُو دائِماً في حَيْرَةٍ وتيهٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ أنْعَمَ اللهُ تَعالى عَلى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِنِعْمَةٍ عَظيمَةٍ ، لِيَسْتَطيعَ القِيامَ بِخِلافَةِ الأَرْضِ . ما تِلْكَ النِّعْمَةُ ؟

٢ـ اخْتَرِ الإجابَةَ الصَّحيحَةَ فيما يَلي :

ـ الجَنَّةُ الّتي أُسْكِنَها آدمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وزَوْجُهُ :

أـ جَنَّةٌ كانَتْ عَلى الأَرْضِ .

ب ـ الجَنَّةُ الّتي أَعَدّها اللهُ تَعالى لِلْمُؤْمِنينَ .

ج ـ جَنَّةٌ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ .

د ـ لا شَيْءَ مِمّا ذُكِرَ .

ـ سُجودُ الملائِكَةِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ :

أـ سُجودَ عِبادَةٍ .

ب ـ سُجودَ تَكْريمٍ وتَشْريفٍ .

ج ـ سُجودَ تَذلُّلٍ وخُضوعٍ .

د ـ جميعَ ما ذُكِرَ .

ـ الشَّجَرَةُ الّتي أَكَلَ مِنْها آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ :

أـ شَجَرةُ تُفّاحٍ .

ب ـ شَجَرةُ بُرْتُقالٍ .

ج ـ شَجَرَةُ تينٍ .

د ـ لا نَعْلَمُ نَوْعَ الشَّجَرةِ ، لأنّ اللهَ تَعالى لَمْ يَذْكُرْها لَنا .

٣ـ ماذا كانَ مَوْقِفُ إبْليسَ عِنْدَما أُسْكِنَ آدَمُ وزَوْجُهُ الجَنَّةَ ؟

٤ـ كَيْفَ عاقَبَ اللهُ تَعالى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وزَوْجَهُ بِسَبَبِ أَكْلِهِما مِنَ الشَّجَرَةِ ؟

٥ـ املأ الفَراغَ بما يُناسِبُهُ في كُلٍّ ممّا يَلي :

أ ـ أَمَرَ اللهُ تَعالى . . . . . و . . . . و . . . . بالهُبوطِ مِنَ الجَنَّةِ .

ب ـ وَسْوَسَ الشَّيْطانُ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيُخْرِجَهُ مِنَ الجَنَّةِ بِسَبَبِ . . . . . .

ج ـ مَنِ اتَّبَعَ هُدى اللهِ تَعالى فإنَّ جَزاءَهُ. . . . . و . . . . .أَمَّا جَزاءُ الضّالينَ والكافِرينَ فَهُوَ. . . . .

٦ـ ماذا يترتَّبُ على العِلْمِ اليَقينيِّ النافعِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ (١٢٠) مِنْ سورةِ طه ، والآيَةَ (٢٠) مِنْ سورةِ الأَعْرافِ ، واذْكُرْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَهُما وبَيْنَ الآيةِ (٣٦) مِنْ هَذا الدَّرْسِ .

٢ـ ما شُروطُ التَّوْبَةِ الصَّحيحةِ ؟ اكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **إسْرائيلَ** : هُوَ يَعْقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .
- **أوْفوا بِعَهْدي** : الوفاءُ بِعَهْدِ اللهِ : اتِّباعُ أوامِرِهِ تَعالى واجْتِنابُ نواهيهِ .
- **فارْهَبونِ** : خافوا اللهَ تَعالى ، ولا تَخافوا غَيْرَهُ .
- **لِما مَعَكُمْ** : التَّوْراةُ .
- **تَلْبِسوا** : تَخْلِطوا .
- **أقيموا الصَّلاةَ** : أدّوها مُسْتَوْفِيَةً لأَرْكانِها وشُروطِها وآدابِها .
- **وآتوا الزَّكاةَ** : ادْفَعوها لِمُسْتَحِقّيها .
- **البِرِّ** : كُلِّ أعمالِ الخَيْرِ .

التَّفْسيرُ :

حَدَّثَتْنا الآياتُ السّابِقَةُ عَنْ خَلْقِ الإنْسانِ ، وبَيَّنَتْ أنَّهُ في هذهِ الدُّنْيا إمّا أنْ يَهْتَدِيَ فَيَسيرُ في طريقِ الحَقِّ ، أوْ يَضِلَّ فَيَسيرُ في طريقِ الباطِلِ ، وَبَدأتِ الآياتُ هُنا تُخاطِبُ الأُمَمَ والشُّعوبَ الّتي وُجِدَتْ

عَلى الأَرْضِ ، والَّتي بَعَثَ اللهُ تَعالى لَها الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَبَدَأَتْ بِذِكْرِ اليَهودِ ، لأَنَّهمْ أَقْدَمُ الشُّعوبِ الّتي حَمَلَتِ الكُتُبَ الإلهيَّةَ ؛ ولأَنَّهم كانوا أَشَدَّ النّاسِ عَلى المُؤْمِنينَ صَحابَةِ الرَّسولِ ﷺ ومَنْ بَعْدَهُمْ . يُناديهِمْ سُبْحانَهُ وتَعالى فَيَقولُ لَهُم :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

أيْ : يا أبناءَ يعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وذُرِّيَّتَهُ ، ويُذَكِّرُهُمْ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ ، بِأَنْ جَعَلَ النُّبوَّةَ فيهِمْ زَمَنا طويلاً ، ولِذلِكَ كانوا يُسَمّونَ أَنْفُسَهُمْ شَعْبَ اللهِ المُختارَ ، وهذِه النِّعْمَةُ تَتطلَّبُ مِنْهُمْ أَنْ يَشْكُروا اللهَ تَعالى ويُطيعوهُ ، ولَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ جَحَدوا نِعَمَهُ ، وآذوْا نَبيَّهُ مُحمَّداً ﷺ وأَصْحابَهُ . ويَأْمُرُهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بالوَفاءِ بِعَهْدِ اللهِ تَعالى ، حتّى يُوَفِّيَ لَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى عَهْدَهُمْ . وعَهْدُ اللهِ تَعالى الّذي عَهِدَهُ إِلَيْهِمْ ما وَرَدَ في الكُتُبِ المُنزَّلَهِ إِلَيْهِمْ ، بِأَنْ يَعْبُدوا اللهَ تَعالى ، ولا يُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً ، وأَنْ يُؤْمِنوا بِرُسُلِهِ ، إِذْ قامَتِ الأَدِلَّةُ عَلى صِدْقِ هَؤلاءِ الرُّسُلِ ، وأَنْ يُؤْمِنوا بالرَّسولِ الّذي سَيَبْعَثُهُ اللهُ تَعالى مِنْ بَني إِسْماعيلَ ، وهُوَ سَيِّدُنا مُحمَّدٍ ﷺ ، فإِنْ هُمْ فَعَلوا ذَلِكَ وفَّى اللهُ لَهُمْ ما وَعَدَهُمْ بِهِ ، وهُوَ تَمْكينُهُمْ في الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ ، ونَصْرُهُمْ عَلى الأُمَمِ الكافِرَةِ ، وعُلوِّ الشَّأْنِ في الدُّنْيا والسَّعادةِ في الآخِرَةِ ، ولَكِنَّهُمْ لَمْ يوفوا بِعَهْدِ اللهِ تَعالى .

ويقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ أيْ : اجْعَلوا خَوْفَكُمْ مِنَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، فلا تَخافوا عَلى مالٍ ولا مَتاعٍ ولا غَيْرِهِ ، وإِنَّما خَصّوا اللهَ تَعالى وَحْدَهُ بالخَوْفِ والرَّهْبَةِ ، وقَدْ تَقَدَّمَ ضَميرُ الفَصْلِ هُنا (وإِيّايَ) لِيُفيدَ الاخْتِصاصَ ؛ اخْتِصاصَ اللهِ وَحْدَهُ بالخَوْفِ .

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

ثُمَّ دَعاهُمْ سُبْحانَهُ إِلى أَنْ يُؤْمِنوا بالقُرْآنِ الكَريمِ الّذي جاءَ مُصَدِّقاً للتَّعاليمِ الّتي وَرَدَتْ عِنْدَهُمْ في التَّوراةِ مِنْ تَوْحيدِ اللهِ تَعالى ، والنَّهْيِ عَنِ الفَواحِشِ ، والأَمْرِ بالمَعْروفِ وغَيْرِ ذَلِكَ ، وأَنْ لا يُبادِروا إِلى الكُفْرِ بالقُرْآنِ الكَريمِ .

ووَجَّهَتْهُمُ الآياتُ الكَريمةُ إلى الإيمانِ بآياتِ القُرْآنِ الكَريمِ الدّالَّةِ عَلى نُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، وأَنْ لا يَسْتَبْدِلوا بِهِدايةِ القُرْآنِ هذا الثَّمَنَ القَليلَ ، وهو المالُ والجاهُ ، فَهُوَ قَليلٌ لأَنَّهُ شَيْءٌ بَعيدٌ عَنِ الحَقِّ ، فَهُوَ قَليلٌ حَقيرٌ ، ولأَنَّهُمْ إذا ابْتَعدوا عَنِ الحَقِّ خَسِروا عُقولَهُمْ وأَرْواحَهُمْ وخَسِروا آخِرَتَهُمْ ، حيثُ تَحِلُّ عَلَيْهِمْ عُقوبَةُ اللهِ تَعالى ، ويَنْبَغي أَنْ يَجْعلوا تَقْواهُمْ للهِ تَعالى ، فَيَمْتَثِلوا لأَوامِرِهِ ويَنْتَهوا عَنْ نَواهيهِ ، حتَّى يَحْذَروا عِقابَهُ وبَطْشَهُ .

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

وطَلَبَ مِنْهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنْ لا يَخْلِطوا الحَقَّ ، الَّذي بَيَّنَتْهُ الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ ، بالباطِلِ الَّذي يَخْتَرِعونَهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، إرْضاءً لأَهْوائِهِمْ ، وأَنْ لا يَكْتُموا الحَقَّ الَّذي يَعْرِفونَهُ ، لِكَيْ يَصْرِفوا النَّاسَ عَنِ اتِّباعِهِ ، وهَؤلاءِ اليَهودُ خَلَطوا الحَقَّ بِالباطِلِ ، وكَتَموا ذلكَ الحَقَّ ، وهُمْ يَعْلَمونَ بِأَنَّهُمْ يَسْلُكونَ طَريقاً مُعْوَجّاً .

وبَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ سُبْحانَهُ بما يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ دينَهُمْ ، فَقَدْ أَمَرَهُمْ بِرُكْنَيْنِ مِنْ أَرْكانِ الإِسْلامِ العَمَليَّةِ ، إذا قاموا بِهِما لانَتْ قُلوبُهُمْ لِلْحَقِّ ، وازْدادَتْ خَشْيَتُهُمْ للهِ تَعالى ، وهُما : الأَوَّلُ : إقامَةُ الصَّلاةِ ؛ أَيْ : أَداؤُها مُسْتَوْفِيَةً لأَرْكانِها وشُروطِها ، وتُؤْتي نَتيجَتَها وثَمَرَتَها وهِيَ النَّهْيُ عَنْ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، وهِيَ أَعْظَمُ العِباداتِ البَدَنيَّةِ . والثّاني : إيتاءُ الزَّكاةِ ، وهي أَعْظَمُ العِباداتِ الماليَّةِ .

ولا شَكَّ في أَنَّ مُحافَظَةَ الإنْسانِ عَلى هذهِ العِباداتِ فيها تَطْهيرٌ لِلْقُلوبِ ، وتَأْليفٌ للنُّفوسِ ، وتَزْكيَةٌ لِلْمَشاعِرِ ، وإذا قَصَّرَ الإنْسانُ فيهما لَحِقَهُ الخِزْيُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وبَعْدَ كُلِّ هذهِ الأَوامِرِ الَّتي أَمَرَهُمُ اللهُ تَعالى ، وَبَّخَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى فِعْلِهِمْ لأُمورٍ لا يُمْكِنُ أَنْ تَصْدُرَ عَنْ عاقِلٍ ، بَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ تِلْكَ النِّعَمِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

والاسْتِفْهامُ اسْتِنْكارٌ وتَوْبيخٌ لِهؤلاءِ اليَهودِ ، إذْ كَيْفَ يَليقُ بِهِمْ وهُمْ يَأْمُرونَ النّاسَ بالخَيْرِ أَنْ يَنْسوا أَنْفُسَهُمْ ، فلا يَفْعَلونَ ما يَأْمُرونَ النّاسَ بِهِ ، والحالُ أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ مِنْ كِتابِهِمُ التَّوراةِ عُقوبَةَ مَنْ يَقولُ الشَّيْءَ ولا يَفْعَلُهُ ؛ لِذا فإِنَّ الآياتِ تُخاطِبُ عُقولَهُمْ ، وتُوَجِّهُهُمُ التَّوْجيهَ الحَسَنَ ، فَتَنْهاهُمْ عَنْ فِعْلِ ذَلِكَ ، فتقولُ لَهُمْ : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ مِسْحَةُ عَقْلٍ لِتُفَكِّروا بما تَفْعَلونَ ، كَيْفَ تَأْمُرونَ بِشَيْءٍ ولا تَفْعَلونَهُ أَنْتُمْ ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ هُوَ الّذي يَتَّبِعُ كُلَّ ما وَرَدَ في كِتابِ اللهِ تعالى فَيَمْتَثِلُ لأوامِرِهِ ويَنْتَهي عمّا نَهاهُ اللهُ عَنْهُ ، ويُؤَدّي ما فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ .

٢ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ هُوَ الّذي يَخْشى اللهَ تَعالى وَحْدَهُ ، ولا يَخْشى عَلى مَنْصِبٍ ولا عَلى رِزْقٍ .

٣ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ هُوَ الّذي يَلْتَزِمُ بِكُلِّ ما شَرَعَهُ اللهُ تَعالى ، فلا يَتْرُكُ شَيْئاً لأَنَّهُ لا يَتَّفِقُ مَعَ رَغْبَتِهِ وهَواهُ .

٤ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ هُوَ الّذي وافَقَ قَوْلَهُ عَمَلُهُ ، فلا يَقولُ ما لا يَفْعَلُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ لماذا ابْتَدَأَتِ الآياتُ القُرْآنيَّةُ بالحَديثِ عَنِ اليَهودِ ؟

٢ـ ما النِّعَمُ الّتي أَنْعَمَها اللهُ تَعالى عَلى اليَهودِ كَما جاءَ في آياتِ الدَّرْسِ ؟

٣ـ ما عَهْدُ اللهِ تَعالى ؟

٤ـ أ ـ ما عَهْدُ اليَهودِ الّذي وَعَدَهُمُ اللهُ بِوَفائِهِ إنْ هُمْ وَفّوا بِعَهْدِهِ ؟

ب ـ هلْ وَفّى اليَهودُ بِعَهْدِ اللهِ تَعالى ؟

٥ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ مَوْقِفَ اليَهودِ مِنَ الحَقِّ الّذي بَعَثَهُ اللهُ إلَيْهِمْ . هاتِ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ .

٦ـ لِماذا أَمَرَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بإقامَةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ ؟

٧ـ ما مَعنى : إقامةِ الصّلاةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الّتي تَدُلُّ عَلى ما قالَهُ سَيِّدُنا عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِبَني إسْرائيلَ عَنْ بِعْثَةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ نَعى سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى أُولئِكَ الّذينَ يَقولونَ شَيْئاً ولا يَفْعَلونَهُ في سورَةِ الصَّفِّ ؟ ارْجِعْ إلى المُصْحَفِ واكْتُبْ هَذِهِ الآياتِ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثّالِثَ عَشَرَ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بالصَّبْرِ : بِحَبْسِ النَّفْسِ عَلى ما تَكْرَهُ .

الخاشِعينَ : الخاضِعينَ المُتَذَلِّلينَ للهِ تَعالى .

يَظنّونَ : يَتَيقَّنونَ .

اتَّقوا يَوْماً : احْذَروا يَوْمَ القِيامَةِ .

شَفاعَةٌ : وساطَةٌ إليْها عِنْدَ اللهِ لِيَدْفَعَ عَنْهُمُ الضُّرَّ .

عَدْلٌ : فِدْيَةٌ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السّابِقَةُ سوءَ هَؤلاءِ اليَهودِ ، الّذينَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ عَقْلُهُمْ للاهْتِداءِ إلى الحَقِّ ، ولَمْ تُذَكِّرْهُمْ تَوْراتُهُمْ وتَرْدَعْهُمْ عَنِ الباطِلِ ، أَرْشَدَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى إلى الطَّريقَةِ الصَّحيحَةِ للانْتِفاعِ بما جاءَ في كِتابِهِمْ ، ولِلْعَمَلِ بما هو نافِعٌ حتّى تَصِحَّ عَزائِمُهُمْ ، وتَطْهُرَ قُلوبُهُمْ ، لَقَدْ أَمَرَتْهُمُ الآياتُ بما يلي :

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

بالصَّبْرِ أَوَّلاً ، والَّذي هُوَ احْتِمالُ ما يُصيبُ الإنْسانَ مِنْ مَكْروهٍ ، فَيَصْبِرُ عَلى الطَّاعَةِ ، عَلى الرُّغْمِ ممّا يُلاقيهِ في أدائِها مِنْ مَشَقَّةٍ ، ويَصْبِرُ عَلى تَرْكِ المَعْصِيةِ ، فَيَكُفَّ نَفْسَهُ عنها . والصَّبْرُ يَكونُ بِتَذَكُّرِ الإنْسانِ دائِماً وَعْدَ اللهِ تَعالى بالجَزاءِ الحَسَنِ لِمَنْ صَبَرَ عَنِ الشَّهَواتِ المُحرَّمَةِ ، مَعَ أَنَّ النَّفْسَ تَميلُ إلَيْها ، وعَمَلِ الطّاعاتِ ، ويَكونُ بِتَفَكُّرِ الإنْسانِ دائماً بِأَنَّ المصائِبَ لا تَكونُ إلاّ بِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الخُضوعُ للهِ . والاسْتِعانَةُ بالصَّبْرِ تَكونُ باتِّباعِ الأَوامِرِ واجْتِنابِ النَّواهي .

وأَمَرَتْهُمْ كَذلِكَ بالصَّلاةِ ، لأنَّ فيها نَهْياً عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ ، وفيها مُراقَبَةُ اللهِ تَعالى في السِّرِّ والعَلَنِ ، وهذهِ الصَّلاةُ شاقَّةٌ وصَعْبَةٌ إلاّ عَلى الخاشِعينَ للهِ ، الخائِفينَ مِنْ عِقابِهِ الشَّديدِ ، قالَ ﷺ : « جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ »[1] وقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعالى هَؤلاءِ الخاشِعينَ بِأَنَّهُمْ يَظنّونَ أَنَّهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ مُلاقو رَبِّهِمْ ، وأَنَّهُمْ يَتيقَّنونَ أَنَّهُمْ راجِعونَ إليهِ وَحْدَهُ سُبْحانَهُ لِيُجازِيَهُمْ عَلى ما قَدَّموا مِنَ العَمَلِ الصّالِحِ ، وهُمُ الّذينَ لا تَشُقُّ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ ، فَيَسْتَعينونَ بها ، وَيَفْزَعونَ إلَيْها كُلَّما دَعَتْهُمُ الحاجَةُ إلى مُناجاةِ رَبِّهِمْ ، فَقَدْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إلى الصَّلاةِ »[2] .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

وانْتَقَلَتِ الآياتُ مَرَّةً أُخْرى لِمُناداةِ أُولئِكَ اليَهودِ ، وتَذْكيرِهِمْ بِنِعَمِ اللهِ تَعالى الكَثيرَةِ عَلَيْهِمْ ، وقَدْ ذَكَّرَتِ الآياتُ بَني إسْرائيلَ المُعاصِرينَ للرَّسولِ ﷺ بهذِهِ النِّعَمِ ؛ مَعَ أَنَّها كانَتْ لآبائِهِمْ ، لأنَّ النِّعَمَ عَلى الآباءِ نِعَمٌ عَلى الأَبْناءِ كَذلِكَ ، فَيقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ اذْكُروا تَفْضيلي إيَّاكُم عَلى العالَمينَ ، حيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِنِعَمٍ لَمْ يُنْعِمْها عَلى غَيْرِهِم ، وبَعَثَ فيهِمْ عَدَداً كبيراً مِنَ الأَنْبياءِ ، ونَجّاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ ، ولَمْ يُنْزِلْ بِهِمْ عُقوبَةَ الاسْتِئْصالِ مَعَ كَثْرَةِ مَعاصيهِمْ وعِظَمِ ذُنوبِهِمْ . قال تَعالى : ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ٢١١] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢٨ حديث رقم ١٢٣١٥ والنسائي في السنن، باب عِشرة النساء، حديث رقم ٨٨٨٧ وقال الحافظ في الفتح ٣/ ١٥ حديث صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي الأول في السنن ٤/ ٤٤ بحاشية عون المعبود، والثاني في الجامع ١٠/ ٢٦٧ بحاشية تحفة الأحوذي .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَّرَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بما أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمٍ كَثيرةٍ وفَضَّلَهُمْ على العالَمينَ في زمانِهِمْ ؛ حَذَّرَهُمْ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ العَظيمِ ، يَوْمِ القِيامَةِ ، مِنْ أَهْوالِهِ وعَذابِهِ ، هذا اليَوْمِ الّذي سَيَحْصُلُ فيهِ الحِسابُ والجَزاءُ ، حَيْثُ لا نَجاةَ مِنْ هذهِ الأَهْوالِ وهذا العَذابِ إلاّ بِتَقْوى اللهِ والإخْلاصِ لَهُ في كُلِّ الأَعْمالِ . وقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعالى هذا اليَوْمَ بِأَوْصافٍ عَظيمةٍ ، لَها وَقْعٌ شَديدٌ عَلى النَّفْسِ ، فَهذا اليَوْمُ لا تَجْزي فيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ، فالتَّصرُّفُ في ذَلِكَ اليَومِ والأَمْرُ كُلُّهُ للهِ ، ولَيْسَ فيهِ ما اعْتادَ عَلَيْهِ النّاسُ مِنْ دِفاعِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ .

ووَصَفَ اللهُ تَعالى هذا اليومَ بِوَصْفٍ ثانٍ : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ فلا يُقْبَلُ مِنْ هذهِ النَّفْسِ أَنْ تَأْتِيَ بِشَفيعٍ يتوسَّطُ لَها ، ويَشْفَعُ لَها عِنْدَ اللهِ لِيَدْفَعَ عَنْها الضَّرَرَ ويَجْلِبَ لَها المَنْفَعَةَ ، وهَذا بالنِّسْبَةِ للكافِرينَ ، أَمّا المُؤْمِنونَ فإِنَّ اللهَ تَعالى قَدْ يَأْذَنُ لِشافِعينَ أَنْ يَشْفَعوا لَهُمْ . قال تَعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه : ١٠٩] .

وفي هذا اليوم لا يُقْبَلُ مِنْ هذهِ النَّفْسِ كذلِكَ أَنْ تَدْفَعَ فِداءً أَوْ بَدَلاً ، إنْ هِيَ اسْتَطاعَتْ إحْضارَهُ ، ولَكِنّها لَنْ تَستطيعَ ذَلِكَ .

والكافِرونَ في هذا اليومِ (لا يُنْصَرونَ) فلا يَجدونَ مَنْ يُعينُهُمْ ويَمْنَعُهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالى .

وفي ما وَرَدَ في هذهِ الآياتِ ، رَدٌّ عَلى أُولئكَ اليَهودِ الّذينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ شَعْبُ اللهِ المُخْتارُ ، وأَنَّهُمْ في مَأْمَنٍ مِنْ عِقابِ اللهِ تَعالى بالرَّغمِ مِنْ فُسوقِهِمْ وعِصْيانِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى عَلى الإنْسانِ تَسْتَوْجِبُ شُكْرَهُ ، والشُّكْرُ لا يَكونُ إلاّ بالطّاعاتِ وامْتِثالِ أَوامِرِ اللهِ واجْتِنابِ نَواهيهِ .

٢ـ كُلُّ إنْسانٍ مُحاسَبٌ أَمامَ اللهِ تَعالى عَلى عَمَلِهِ ، فلا يُشْفَعُ لِنَفْسٍ إلاّ بِأَمْرِ اللهِ ، ولا يُقْبَلُ مِن نَفْسٍ فِدْيَةٌ لِتَفْتَدِيَ بِها مِنْ عَذابِ اللهِ .

٣ـ إنَّ اليَهودَ قومٌ اسْتوجَبوا غَضَبَ اللهِ وعِقابَهُ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِنِعَمِ اللهِ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ أَمَرَ اللهُ تَعالى اليَهودَ بالاسْتِعانَةِ بِأَمْرَيْنِ لِكَيْ يَتحمَّلوا مَشاقَّ الحَياةِ . ما هُما ؟

٢ـ أـ ما مَعنى الصَّبرِ ؟

ب ـ ما أنواعُ الصّبْرِ ؟

٣ـ كَيْفَ يَستعينُ الإنْسانُ بالصَّبْرِ والصَّلاةِ ؟

٤ـ أـ عَلى مَنْ فَضَّلَ اللهُ تَعالى بَني إسْرائيلَ ؟

ب ـ ما سَبَبُ تَفْضيلِهِمْ ؟

٥ـ ما معنى : شَفاعَةٌ ، عَدْلٌ ، يَظُنّونَ ؟

٦ـ وَصَفَتِ الآياتُ يَوْمَ القِيامةِ بِأُمورٍ ، ما هِيَ ؟

٧ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أنَّ الصَّلاةَ كبيرةٌ :

أـ ما معنى كَوْنِ إقامَةِ الصَّلاةِ كبيرةً ؟

ب ـ مَنِ الّذينَ لا تَكونُ الصَّلاةُ عَلَيْهِمْ كَبيرةً ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الآيَةَ الّتي تُبيِّنُ قَوْلَ اليَهودِ : نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وأَحِبّاؤُهُ .

٢ـ قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية : ١٦ـ١٧] . ارْجِعْ إلى أَحَدِ كُتُبِ التَّفْسيرِ ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَعنى الآيَتَيْنِ السّابِقَتَيْنِ مِنْ سورَةِ الجاثِيَةِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ البَقَرَةِ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَسومونَكُمْ	: يُذيقونَكُمُ العَذابَ ويُذِلّونَكُمْ .
يَسْتَحيونَ نِساءَكُمْ	: يَسْتَبْقونَ الإناثَ عَلى قَيْدِ الحياةِ .
بَلاءٌ	: اخْتِبارٌ وامْتِحانٌ .
فَرَقْنا	: فَصَلْنا ومَيَّزْنا .
واعَدْنا	: أَمَرْنا موسى أَنْ يَنْقَطِعَ لِمُناجاةِ رَبِّهِ .
اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ	: عَبَدْتُمُ العِجْلَ .

التَّفْسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السّابِقَةُ أَنَّ اللهَ تَعالى قَدْ أَنْعَمَ عَلى بَني إِسْرائيلَ بِنِعَمٍ كَثيرةٍ ، وقَدْ جاءَتِ الآياتُ هُنا لِتَفْصيلِ هَذِهِ النِّعَمِ ومِنْها :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

أوّلاً : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أيْ : اذْكُروا نِعْمَتي عَلَيْكُمْ ، وَقْتَ أَنْ أَنْجيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، الَّذينَ كانوا يُعَذِّبونَكُمْ أَشَدَّ العذابِ ، لِيُذِلّوكُمْ ويَحْتَقِروكُمْ ، فَيقتُلونَ أَوْلادَكُمُ الذُّكورَ ، ويَسْتَبْقونَ الإناثَ أَحياءً لِيَقُمْنَ بِخِدْمَتِهِمْ ، لإضْعافِكُمْ ، وإِذْلالِكُمْ ، إِذْ إِنَّ هذا الفِعْلَ يُؤَدّي إِلى قَطْعِ نَسْلِ بني إِسْرائيلَ ، وفي ذلِكُمُ العَذابِ وتِلْكُمُ النَّتيجَةِ امْتِحانٌ لَكُمْ وابْتِلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، لِتَشْكُروا اللهَ وتَتْرُكوا مَعْصِيَتَهُ ، وفي هَذا بيانٌ لِلْيَهودِ بِأَنَّهُمْ كانوا مِنْ قَبْلُ أَذِلاّءَ وكانَ عَدوُّهُمْ في عِزٍّ . كانوا عَلى حَقٍّ ، وكانَ عَدوُّهُمْ عَلى باطِلٍ ، ولكنَّ اللهَ خَذَلَ الباطِلَ ونَصَرَ الحَقَّ ، فلا تَغْتَرّوا بِكَثْرةِ أَمْوالِكُمْ ، ولا بِقُوَّةِ سُلْطانِكُمْ ، ولا تَسْتَهينوا بالمُسْلِمينَ ، فإنَّهُمْ عَلى حَقٍّ ، ومَنْ كانَ عَلى حَقٍّ ، فإنَّ اللهَ ناصِرُهُ لا مَحالَةَ .

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

ثانياً : والنِّعْمَةُ الثّانِيَةُ ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ أيْ : اذْكُروا أَيْضاً مِنْ نِعَمِ اللهِ الّتي أَنْعَمَها عَلَيْكُم ، نِعْمَةَ انْفِصالِ البَحْرِ حينَ ضَرَبَهُ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِعَصاهُ ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعالى موسى بِأَنْ يَرْحَلَ وقَوْمَهُ مِنْ مِصْرَ ، بَعْدَ تَعرُّضِهِمْ لِلأَذى ، فَخَرَجوا ، ولكِنَّ فِرْعَوْنَ ـ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ـ لَحِقَ بِهِمْ هُوَ وجُنودُهُ ، فَخافَ بَنو إِسْرائيلَ ولَجَأوا إلى موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَطَمْأَنَهُمْ بِأَنَّ مَعهُ ربَّهُ سَيَهديهِ إلى طَريقِ النَّجاةِ ، وأَمَرَهُ اللهُ بِأَنْ يَضْرِبَ بِعَصاهُ البَحْرَ ، فانْشَقَّ الماءُ ، وكانتْ كُلُّ جِهَةٍ مِنْ جِهَتي البَحرِ كالجَبَلِ العَظيمِ ، فَمَرَّ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ومَعَهُ بَنو إِسْرائيلَ مِنْ جِهَتَي البَحْرِ . فَأَنْجاهُمُ اللهُ تَعالى ، ولَمْ يَكْتَفِ بهذا فَقَط ، ولكنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً عَظيمةً أُخْرى ، وهِيَ أَنَّهُ تَعالى أَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ وأَغْرَقَهُ ، فأَغْرَقَ اللهُ سُبْحانَهُ فِرْعَوْنَ ومَنْ مَعَهُ جَميعاً ، وهُمْ يَنْظُرونَ ، ويُشاهِدونَ تِلْكَ المُعْجِزَةَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وأَحَسّوا عِنْدَ ذَلِكَ بالأَمْنِ والاطْمِئْنانِ ، وفي مُشاهَدَتِهِمْ لِهَلاكِ عَدُوِّهِمْ ما يَدْعوهُمْ لِلثَّباتِ والانْقِيادِ لأَوامِرِ اللهِ ، وبَيانٌ لَهُمْ بِأَنَّ الّذي أَعزَّهم ونَصرَهُمْ بَعْدَ أَنْ كانوا أَذِلّاءَ ، قادِرٌ عَلى أَنْ يُذِلَّهُمْ ويُعِزَّ غَيْرَهُمْ إِنْ هُمْ لَمْ يَعْمَلوا بِشَرْعِهِ ويَنْقادوا إِلَيْهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

ثالثاً : ذَكَّرَتْهُمُ الآياتُ بِنِعْمَةٍ أُخْرى أَنْعَمَها اللهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَدْ طَلَبوا مِنْ نَبيِّهِمْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بَعْدَ أَنْ نَجّاهُمُ اللهُ تَعالى ، أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، لِيَعْمَلوا بِأَحْكامِهِ ،

فَوَعَدَهُ اللهُ تعالى أنْ يُعْطِيَهُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَنْقَطِعَ لِعبادةِ اللهِ ومُناجاتِهِ أرْبَعينَ لَيْلَةً ، وذَهَبَ بَعْدَها لِميقاتِ رَبِّهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، فاسْتَبطَأَهُ بنو إسْرائيلَ واتَّخَذوا عِجْلاً مِنْ ذَهَبٍ ، فَعَبدوهُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى . ولا شَكَّ في أَنَّهُمْ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بِعبادةِ غَيْرِ اللهِ تَعالى ، ومَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يُعاجِلْهُمْ بالعُقوبَةِ ، بَلْ قَبِلَ تَوْبَتَهُمْ وعَفا عَنْهُمْ ، لِيَكونوا مِنَ الشّاكِرينَ المُوَحِّدينَ للهِ تَعالى الطّائِعينَ لَهُ .

وقَدْ ذَكَّرَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بهذِهِ النِّعْمَةِ ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ بِأَنَّ تَكْذيبَهُمْ بسيِّدِنا مُحمَّدٍ ﷺ ، ومُعانَدَتَهُمْ لِلحَقِّ ، لَيْسَ أَمْراً جَديداً عَلَيْهِمْ ، بَلْ هُوَ مَعهودٌ مِنْهُمْ مَعَ رُؤْيَتِهِمْ للآياتِ الواضِحَةِ .

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

رابعاً : وقَدْ ذَكَّرَتْهُمُ الآياتُ بنعمةٍ رابعةٍ فيها صَلاحُ أُمورِهِمْ ، وهِيَ مِنَّةٌ عَظيمةٌ امْتَنَّها اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَهِيَ إيتاؤُهُمُ الكِتابَ ، وما فيهِ مِنَ الشَّرائِعِ والأَحْكامِ المفرِّقَةِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، والحلالِ والحَرامِ ، لِيَكونَ سَبَباً في هِدايَتِهِمْ وعِبادَتِهِمْ للهِ تَعالى وحْدَهُ ، وإنَّ مِنْ كَمالِ اهْتِدائِهِمْ أَنْ يَعْرِفوا أنَّ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ هُدىً ونورٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ يُسَلِّمُ بِقَضاءِ اللهِ تَعالى وقَدَرِهِ ، ويَتوكَّلُ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوكُّلِ .

٢ـ قُدرَةُ اللهِ عَلى إهْلاكِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ لِطُغْيانِها وتَكَبُّرِها .

٣ـ إيمانُ أَهْلِ الكِتابِ لا يَكْمُلُ إلاّ بإيمانِهِمْ بِنُبُوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٤ـ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلى الإنْسانِ ما أنْزَلَهُ عَلَيْه مِنْ كُتُبٍ لِيَهْتَدِيَ بِها إلى طَريقِ الحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلَةِ التّاليةِ :

١ـ كَيْفَ عامَلَ آلُ فِرْعَوْنَ بني إسْرائيلَ ؟

٢ـ ما الضَّرَرُ الّذي يُمْكِنُ أَنْ يَلْحَقَ ببني إسْرائيلَ نَتيجَةَ قَتْلِ أَوْلادِهِمُ الذُّكورِ ؟

٣ـ كَيْفَ نَجّى اللهُ تَعالى بَني إسْرائيلَ مِنْ فِرْعَونَ وجُنودِهِ ؟

٤ـ ضَعْ دائِرةً حَوْلَ رَمْزِ الإجابَةِ الصَّحيحةِ :

ـ واعَدَ اللهُ تَعالى موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ :

أ ـ خَمْسينَ ليلةً .

ب ـ ثَلاثينَ ليلةً .

ج ـ أرْبَعينَ ليلةً .

د ـ خَمْساً وعِشْرينَ ليلةً .

ـ مَعنى : يَسْتَحْيون نِساءَكُمْ :

أ ـ يَقْتُلونَ النِّساءَ .

ب ـ يُحيونَهنَّ حَياةً طيِّبةً .

ج ـ يُعيدونَ النِّساءَ إلى أَوْطانِهِنَّ .

د ـ يَتْرُكوهُنَّ أحياءً لِلْخِدْمَةِ .

٥ ـ كَيْفَ قابَلَ اللهُ تَعالى جُحودَ أُولئكَ اليَهودِ باتِّخاذِهِمُ العِجْلَ مَعْبوداً لَهُمْ ؟

٦ ـ ما الفُرْقانُ الّذي أَعْطاهُ اللهُ لِموسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؟

نَشاطٌ :

ـ وَرَدَتْ آيةٌ في كِتابِ اللهِ تُبيِّنُ ما فَعَلَ اللهُ تَعالى بِجَسَدِ فِرْعَوْنَ ، اسْتَخْرِجْها ، ذاكِراً اسْمَ السّورةِ ورَقْمَ الآيةِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورة البقرة - القسم الثالث عشر

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **بارئِكُمْ** : خالِقِكُمْ ، الخالِقُ لِلْمَخْلوقاتِ بلا تَفاوُتٍ بَيْنَها .
- **جَهْرَةً** : مُعايَنَةً وعَلانِيَةً .
- **الصّاعِقَةُ** : كُلُّ أَمْرٍ هائِلٍ وعَظيمٍ يَراهُ الرّائي فَيَكونُ فيهِ هَلاكُهُ وذَهابُ عَقْلِهِ .
- **بَعَثْناكُمْ** : أَحْيَيْناكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ .
- **الغَمامَ** : السَّحابَ .
- **المَنَّ** : مادةٌ صِمْغِيَّةٌ تَسْقُطُ عَنِ الشَّجَرِ ، طَعْمُها حُلْوٌ يُشْبِهُ طَعْمَ العَسَلِ .
- **السَّلْوى** : طائِرٌ بَرِّيٌّ طَيِّبُ اللَّحمِ ، سَهْلُ الصَّيْدِ .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

ما زالتِ الآياتُ تُحاوِرُ بني إسْرائيلَ وتُذَكِّرُهُمْ بما أَنْعَمَهُ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ ، فَيَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ

وتعالى : اذكُروا وَقتَ أَنْ قالَ نَبيُّكُم موسى عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِمَنْ عَبَدَ العِجْلَ مِنْكُمْ : يا قوم إنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بعبادَةِ غَيْرِ اللهِ تعالى ، حَيْثُ عَبْدتُمُ العِجلَ الّذي لا يَتكلَّمُ ، ولا يَسْمَعُ ولا يَعي ، وهُوَ مِنْ صُنْعِكُمْ أَنْتُمْ ، فإذا أَرَدْتُمْ أَنْ تُكَفِّروا عَنْ خَطيئَتِكُمْ ، فَيَنْبَغي عَلَيْكُمْ أوّلاً أَنْ تَتوجَّهوا إلى رَبِّكُمْ بالتَّوْبَةِ الصّادِقَةِ الخالِصَةِ ، ومِنْ أَوَّلِ ما تَتطلَّبُهُ هذه التَّوْبَةُ تَرْكُ عِبادَةِ العِجْلِ الّذي عَملوهُ بِأَيْديهِمْ ، والالْتِزامُ بعبادَةِ اللهِ تَعالى وحْدَهُ ، الّذي خَلَقَهُمْ وصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَهُمْ .

وَأَمَرَهُمْ ثانياً : أَنْ يَقتُلوا أَنْفُسَهُمْ ، حتّى تَكونَ تَوْبَتُهُمْ مَقبولَةً ، أي : أَنْ يَقْتُلَ مَنْ لَمْ يَعْبُدِ العِجْلَ مَنْ عَبَدَهُ ، فالمَعْنى لِيَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، فإنَّ قَتْلَ المَرْءِ لأَخيهِ كَقَتْلِهِ لِنَفْسِهِ ، وهذا الّذي أَمَرَكُمْ بِهِ سُبْحانَهُ خَيْرٌ لَكُمْ ، لأَنَّهُ يُطَهِّرُكُمْ مِنْ رِجْسِ الشِّرْكِ الّذي دَنَّسْتُمْ بِهِ أَنْفُسَكُمْ ، ويَجْعَلُكُمْ أَهْلاً لما وَعَدَكُمْ بِهِ سُبْحانَهُ في الدُّنْيا ، وأَهْلاً لِثوابِهِ يَوْمَ القِيامَة . قالَ تَعالى عَلى لِسانِ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ فَذَكَرَ كَلِمَةَ (بارىء) مرَّةً ثانِيَةً ، لِيُشْعِرَهُمْ بِأَنَّ عِبادَةَ مَنْ بَرَأَهُمْ وخَلَقَهُمْ في أَحْسَنِ تَقويمٍ خَيْرٌ لَهُمْ في دُنياهُمْ وآخِرَتِهِمْ .

ثُمَّ قالَ لَهُمْ سُبْحانَهُ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ وهذهِ الجُمْلَةُ مِنْ كَلام اللهِ ، والجُمْلَةُ مَعْطوفَةٌ عَلى مَحذوفٍ ، تَقْديرُهُ : فَفَعَلْتُمْ ما أَمَرَكُمْ بِهِ موسى ، فَتابَ عَلَيْكُمْ ، إنَّهُ هُوَ التَّوابُ الرَّحيمُ . وفي هذا إخْبارٌ وثَناءٌ عَلى اللهِ تَعالى ، وما اتَّصَفَ بِهِ مِنْ عَفْوٍ ورَحْمَةٍ . وقَدْ أَكَّدَ لَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى ، حتّى لا يَشُكّوا في قَبولِ اللهِ تَعالى لِتَوْبَتِهِمْ ، وذلِكَ لِعِظَمِ جَريمَتِهِمْ ، ولولا رَحْمَةُ اللهِ تَعالى بِهِمْ لَعَجَّلَ بإهْلاكِهِمْ ، بِسَبَبِ ذُنوبِهِمْ الّتي مِنْ أَعْظَمِها الشِّرْكُ بِهِ .

وتَذْكُرُ الآياتُ نِعْمَةً أُخرى أَسْبَغَها اللهُ عَلى بَني إسْرائيلَ ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ مَطالِبِهِمُ المُتَعَنِّتَةِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

اذْكُروا وَقْتَ أَنْ كابَرْتُم وجَحَدْتُمْ ، وتَجاوَزْتُمْ حُدودكُمْ ، فَقُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : لَنْ نُؤمِنَ لَكَ ، ولَنْ نُقِرَّ بما جِئْتَنا بِهِ ، أَوْ نَعْمَلَ بما تَأْمُرُنا ، حتّى نَرى اللهَ عَياناً وعَلانيةً ، فَيَظْهَرُ أَمامَنا ويَأْمُرُنا بالإيمانِ بِكَ وبما جِئْتَ بِهِ . وفي طَلَبِهِمْ دليلٌ عَلى تَمرُّدِهِمْ وعِصْيانِهِمْ ، وقِلَّةِ اكْتِراثِهِمْ بما آتاهُمُ اللهُ مِنْ نِعَمٍ ، وما شاهَدوهُ مِنْ مُعْجزاتٍ ، فهاهُمْ يَطْلُبونَ رُؤيَةَ اللهِ عَياناً ، ولا يَكْتَفونَ بما يُشاهِدونَهُ مِنْ آثارٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَهُمْ لا يُؤْمِنونَ إلاّ بما يُشاهِدونَهُ ويَحُسّونَهُ ، وهذا لا شَكَّ دليلٌ عَلى غِلْظَةِ قُلوبِهِمْ .

ولِمُكابَرَةِ بَنى إسْرائيلَ وعِنادِهِمْ فاجَأَتْهُمْ عُقوبَةُ اللهِ تَعالى ، ففورَ طَلَبِهِمْ هذا الطَّلَبَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ ، وهذا تَدُلُّ عَلَيْهِ (الفاءُ) في : (فَأَخَذَتْكُم) ، لأَنَّها تَدُلُّ عَلى التَّعقيبِ ، فَحَلَّتْ بِهِمُ العُقوبَةُ الّتي صَعَقَتْهُمْ وهُمْ يُشاهِدونَها بِعُيونِهِمْ ، وحَلَّ بِهِمُ الرُّعْبُ والخَوْفُ ،

قَبلَ أَنْ يُصيبَهُمُ العَذابُ في أَجْسادِهِمْ ، وَتَدُلُّ الآيَةُ على أَنَّ المَوْتَ قَدْ حَلَّ بِهِمْ بَعْدَ تِلْكَ الصّاعِقَةِ ، لِسوءِ أَدَبِهِمْ .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

ومَعَ ذلكَ كُلِّهِ فإِنَّ اللهَ تَعالى مِنْ رَحْمَتِهِ بِعبادِهِ ، أَحْياهُمْ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، قالَ تَعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ ، وثُمَّ : تَدُلُّ على التَّراخي الزَّمَنِيِّ ، أَحْياهُمُ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، لَعَلَّهُمْ بَعْدَ هذهِ النِّعْمَةِ يَشْكُرونَ اللهَ ، فَيُقْبِلونَ عَلى عِبادَتِهِ وطاعَتِهِ ، وطاعَةِ نَبِيِّهِ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وهذهِ الآياتُ جاءَتْ لِتُحَذِّرَ اليَهودَ الّذينَ كانوا مُعاصِرينَ للرَّسولِ ﷺ حتّى لا يَكونوا مِثْلَ آبائِهِمْ في سُوءِ الأَدَبِ مَعَ اللهِ ، فلا تَحِلَّ بِهِمُ العُقوبَةُ .

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وتَنْتَقِلُ الآياتُ لِتُحَدِّثَنا عَنْ نِعْمَةٍ أُخْرى أَنْعَمَها اللهُ عَلى بَني إِسْرائيلَ ، فَبَعْدَ أَنْ بَعَثَهُمُ اللهُ مِنَ المَوْتِ ، تاهَ بَنو إِسْرائيلَ ما بَيْنَ مِصْرَ والشّامَ ، كَما قالَ تَعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢٦] ، وكانوا في هَذهِ المُدَّةِ يُظَلِّلُهُمْ الغَمامُ لِيَقيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ ، وحَرارةَ الجَوِّ ، وأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالطَّعامِ اللَّذيذِ ، مِنْ دونِ تَعَبٍ مِنْهُمْ في تَحْصيلِهِ ، وهُوَ المَنُّ والسَّلْوى ، وقالَ لَهُمْ كُلوا مِنْ هَذهِ الطَّيِّباتِ الّتي رَزَقْناكُمْ ، واشْكُروا اللهَ الّذي رَزَقَكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ ، إِذْ لَوْلاها لَهَلَكْتُمْ ، ولَكِنَّكُمْ مَعَ ذَلِكَ كَفَرْتُمْ بِها ، فَظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ؛ لأَنَّكُمْ أَبْعَدْتُموها عَنْ طَريقِ الحَقِّ ، وهُمْ في هَذا لَمْ يَضرّوا اللهَ شَيْئاً ، فإِنَّ اللهَ تَعالى لا تَضرُّهُ مَعصيةُ عاصٍ ولا تَنْفَعُهُ طاعَةُ مُطيعٍ ، ولا يَزيدُ في مُلْكِهِ عَدْلُ عادِلٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ أَنْعَمَ اللهُ تَعالى عَلى الإنْسانِ بالعَقْلِ ، لِيُرْشِدَهُ إلى عِبادَتِهِ وَحْدَهُ ، وإِلى أَنَّ كُلَّ ما سِوى اللهِ هُوَ مِنْ صُنْعِ اللهِ تَعالى فلا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ .

٢ـ التَّوْبَةُ الصّادِقَةُ هِيَ الّتي تُنَقّي المُؤْمِنَ مِنْ ذُنوبِهِ .

٣ـ الآياتُ المَبْثوثَةُ في الكَوْنِ ، كُلُّها تَدُلُّ عَلى وُجودِ الخالِقِ سُبْحانَهُ .

٤ـ لُطْفُ اللهِ ورَحْمَتُهُ بِعبادِهِ ، فلا يُعاجِلُهُمْ بالعُقوبَةِ ، بَلْ يُمْهِلُهُمْ عَلَّهُمْ يَرْشُدونَ .

٥ـ نِعَمُ اللهِ عَلى الإنْسانِ كَثيرةٌ ، وهِيَ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ ، وبالشُّكْرِ تَدومُ النِّعَمُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما مَعنى كلمةِ البارِىء ؟

٢ـ أَرْشَدَ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَوْمَهُ ، بَعْدَ عِبادَتِهِمُ العِجْلَ ، إلى أَمْرَيْنِ ، ما هُما ؟

٣ـ لماذا أَكَّدَ سُبْحانَهُ وتَعالى قَبولَهُ التَّوْبَةَ ؟

٤ـ ما المَقْصودُ بِقولِهِ : (اقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ) ؟

٥ـ لِماذا طَلَبَ اليَهودُ مِنْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَنْ يَروْا اللهَ جَهْرَةً ؟

٦ـ ما العِقابُ الّذي حَلَّ بِهِمْ نَتيجةَ طَلَبِهِمْ رُؤْيَةَ اللهِ ؟

٧ـ ما معنى : ثُمَّ بَعَثْناكُمْ ؟ وهلْ كانَ هذا مُباشَرَةً بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؟

٨ـ أَنْعَمَ اللهُ عَلى بَني إسْرائيلَ بَعْدَ بَعْثِهِمْ بِنِعْمَتَيْنِ ، ما هُما ؟

نَشاطٌ :

١ـ مِنْ سوءِ أَدَبِ اليهودِ مَعَ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُمْ نادوْهُ باسْمِهِ (يا موسى) كَيْفَ كانَ يُنادي الصَّحابَةُ رسولَ اللهِ ﷺ ؟ اذْكُرِ الآيَةَ الّتي عَلَّمَتْهُمْ كَيْفَ يُخاطِبونَ الرَّسولَ ﷺ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أُمورٍ طَلَبَها مُشْرِكو العربِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ بَيَّنَتْ آياتٌ أُخْرى مِنْ كِتابِ اللهِ ، أَنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ كَذلِكَ بالماءِ ، ما الَّذي فَعَلَهُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَأْتِيَهُمْ بالماءِ ؟ اذْكُرِ الآيَةَ القُرْآنِيَّةَ الدّالَّةَ عَلى ذلِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

رَغَداً : هَنيئاً ذا سَعَةٍ .

حِطةٌ : حُطَّ عنّا ذُنوبَنا ، أيْ اغفِرْ لَنا خَطايانا .

المُحْسِنينَ : مَنْ يَفْعلونَ ما يَجْمُلُ في نظَرِ العَقْلِ ، ويُحْمَدُ في لِسانِ الشَّرْعِ .

رِجْزاً : عَذاباً .

القَرْيَةَ : مكانَ مُجْتَمعِ النّاسِ .

اسْتَسْقى : طَلَبَ السُّقْيا عِنْدَ عَدَمِ وُجودِ الماءِ أوْ حَبْسِ المَطَرِ .

تَعْثَوْا : تُفْسِدوا .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

تَذْكُرُ الآياتُ نِعْمَةً عَظيمَةً أَنْعَمَها اللهُ عَلى بَني إسْرائيلَ ، وهِيَ تَخْليصُهُمْ مِنَ التّيهِ الّذي كانوا

فيهِ ، وإدْخالُهُمْ بَلْدَةً فيها الرَّغَدُ والعَيْشُ الهَنيءُ ، فَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ تَعالى بِدُخولِ القَرْيَةِ ، الَّتي يُرَجِّحُ المُفَسِّرونَ أَنَّها بَيْتُ المَقْدِسِ ، وأَباحَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلوا مِنْ خَيْراتِها الوَفيرةِ ، أَكْلاً هَنيئاً ، وأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلوا بابَ القَرْيَةِ خُشَّعاً ناكسي رُؤوسِهِمْ للهِ تَعالى ، ساجدينَ لَهُ شُكْراً عَلى خَلاصِهِمْ مِنَ التّيهِ ، وعلى ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمٍ ، مُتَوَسِّلينَ إليهِ سُبْحانَهُ أَنْ يَحُطَّ عَنْهُمْ ذُنوبَهُمْ ، ويَغْفِرَ لَهُمْ خَطاياهُمْ ، ويُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ، فإنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ما أَمَرَكُمْ اللهُ بِهِ وهوَ عَمَلٌ يَسيرٌ عَلَيْكُمْ ، وإنْ قُلْتُمْ ما أَمَرَكُمْ اللهُ بِقَوْلِهِ ، غَفَرَ اللهُ لَكُمْ وكَفَّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ، وزادَ المُحْسِنَ مِنْكُمْ خَيْرَ الجَزاءِ ، ولَكِنْ ، هَلْ فَعَلَ اليَهودُ ما أَمَرَهُمْ اللهُ بِهِ ؟

لا ، لَمْ يَفْعَلوا ، فَمِنْ حَيْثُ الأَقوالُ بَدَّلوا القَوْلَ الّذي أَمَرَهُمْ اللهُ بِهِ ، وبَدَّلوا الفِعْلَ كَذلِكَ ، فَأَتوا بِقَوْلٍ آخَرَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ عَلى وَجْهِ العِنادِ والاسْتِهْزاءِ بِأَوامِرِ اللهِ تَعالى ، ودَخَلوا عَلى غَيْرِ الهَيْئَةِ الّتي أَمَرَهُمُ اللهُ بِها .

أَخْرَجَ البُخاريُّ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ قالَ : « قيلَ لِبَني إسْرائيلَ : ادْخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ ، فَبَدَّلوا ودَخَلوا يَزْحَفونَ عَلى أَسْتاهِهِمْ ، وقالوا : حَبَّةٌ في شَعيرةٍ »[1] .

ونَتيجَةً لِمُخالَفَتِهِمْ لأَمْرِ اللهِ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ رِجْزاً ، أَيْ : عذاباً مِنَ السَّماءِ ، وقَدْ كانَ هذا العَذابُ مِنَ السَّماءِ ، أَيْ : مِنْ فَوْقِهِمْ ، حتّى لا يَسْتَطيعوا دَفْعَهُ أَوِ التَّخَلُّصَ مِنْهُ ، وهَذا العَذابُ نَزَلَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ وظُلْمِهِمْ وفِسْقِهِمْ ، أي : خُروجِهِمْ عَنْ طاعَةِ اللهِ تَعالى .

سِقايَةُ بني إسْرائيلَ :

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

ومِنَ النِّعَمِ الّتي أَنْعَمَها اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ ، أَنَّهُمْ بَعْدَ أَنِ اشْتَدَّ عَطَشُهُمْ عِنْدَما كانوا في الصَّحراءِ القاحِلَةِ حيثُ لا ماءَ ولا ظِلَّ ولا شَجَرَ ، طَلَبوا مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ الماءَ ، فَتَوَسَّلَ إلى اللهِ تَعالى في خُشوعٍ وخُضوعٍ وتَضَرُّعٍ ، أَنْ يَمُدَّهُمْ بالماءِ ، فَأَوْحى اللهُ لَهُ حينَ ذلكَ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصاهُ الحَجَرَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فانْفَجَرَتْ مِنَ الحَجَرِ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ، بِعَدَدِ أَسْباطِهِمْ ، فَقَدْ بَيَّنَتْ سورَةُ الأَعْرافِ أَنَّ اللهَ تَعالى قَدْ قَطَّعَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سِبطاً أَيْ : فِرْقَةً ، وهذا هُوَ عَدَدُ أَولادِ سَيِّدِنا يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ولِذا أَعْطاهُمُ اللهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْناً ، مَعَ العِلْمِ أَنَّ عَيْناً واحِدَةً كانَ يُمْكِنُ أَنْ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : (وإذ قلنا ادخلو هذه القرية) .

تَكْفيهُمْ . وقَدْ عَلِمَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْهُمْ مَكانَ العَيْنِ الّتي يَشْرَبُ مِنها ، وهذا لا شَكَّ يَدُلُّنا عَلى ما جُبِلَ عَلَيْهِ بَنو إسْرائيلَ مِنَ الحَسَدِ والنَّعْرَةِ العِرْقِيَّةِ الّتي يَمْقُتُها اللهُ ، أي : التَّعَصُّبُ ، إذْ كُلُّ فَرْدٍ مُتَعَصِّبٌ لِسِبْطِهِ ، فلا يَشْرَبُ إلاّ مِنَ العَيْنِ الّتي هِيَ لَهُ ، ويَدُلُّنا عَلى أَنَّهُمْ أُمَّةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، فَمَعَ أَنَّهُم مِنْ أبٍ واحِدٍ هُوَ يَعقوبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إلاّ أَنَّهُمْ تَفَرَّقوا إلى اثْنَتَي عَشْرَةَ سِبْطاً .

وبَعْدَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بالماءِ أَمَرَهُمْ أَنْ يَأْكُلوا مِمّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنٍّ وسَلْوى ، ولِيَشْرَبوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى ، ولا يَعْثَوْا في هذهِ الأَرْضِ فَساداً ، حتّى لا تَتحوَّلَ تِلْكَ النِّعَمُ الّتي بَيْنَ أَيْديهِمْ إلى نِقَمٍ ، بِسَبَبِ بَطَرِهِمْ وغُرورِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الّذي يُبَدِّلُ أَوامِرَ اللهِ تَعالى ويُغيِّرُها هُوَ مِنَ الظّالِمينَ ، ويُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِسوءِ المَصيرِ .

٢ـ النِّعْمَةُ لابُدَّ وأَنْ تُقابَلَ بالشُّكْرِ . والبَطَرُ والغُرورُ هُوَ اسْتِعْمالُ النِّعْمةِ في غَيْرِ ما وُضِعَتْ لَهُ .

٣ـ اليَهودُ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ مَجْبولونَ عَلى حُبِّ المُخالَفَةِ لأوامِرِ اللهِ تَعالى ، وعلى التَّمْييزِ العُنْصُرِيِّ فيما بَيْنَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ أَيُّ قَرْيَةٍ تِلْكَ الّتي أَمَرَ اللهُ بني إسْرائيلَ دُخولَها ؟

٢ـ ما الّذي أَمَرَهُمْ بِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى حينَ يَدْخُلونَ القَرْيَةَ ؟

٣ـ هَلِ اسْتَجابوا لأَمْرِ اللهِ تَعالى فَفَعلوا وقالوا كَما أَمَرَهُمْ ؟

٤ـ ما النَّتيجَةُ الّتي لَقِيَها بَنو إسْرائيلَ لِتَبْديلِهِمْ أوامِرَ اللهِ ؟

٥ـ لِماذا كانَ العَذابُ الّذي حَلَّ بِهِمْ نازِلاً مِنَ السَّماءِ ؟

٦ـ ما مَعنى : اسْتَسْقى موسى لِقَوْمِهِ ؟

٧ـ بِمَ أَمَرَ اللهُ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسّلامُ لإسْقاءِ قَوْمِهِ ؟

٨ـ لِماذا أنْعَمَ اللهُ عَلى بَنى إسْرائيلَ باثْنَتي عَشْرَةً عَيْناً ؟

٩ـ ما الَّذي نَسْتَنْتِجُهُ مِنْ إعْطاءِ بَني إسْرائيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْناً ؟

١٠ـ ما الأوامِرُ الّتي أمَرَهُمْ بِها سُبْحانَهُ وتَعالى بَعْدَ أنْ أنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالماءِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ قارِنْ بَيْنَ مَوْقِفِ اليَهودِ في طَلَبِهِمْ لِلنِّعَمِ مِنَ اللهِ تَعالى ، ومَوْقِفِ الصَّحابَةِ مَعَ الرَّسولِ ﷺ ، هَلْ كانوا يَطْلُبونَ ، أَوْ أَنَّهُمْ كانوا يُقَدِّمونَ ما عِنْدَهُمْ ؟

٢ـ صِفْ حالَ اليَهودِ عِنْدَ دُخولِهِمُ القَرْيَةَ ، واكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ عَلى طَلَبِ الرَّسولِ ﷺ الماءَ مِنْ رَبِّهِ لِيَشْرَبَ أصْحابُهُ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ البَقرةِ - القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَقْلِها	: ما تُنْبِتُهُ الأَرْضُ مِنَ الخُضَرِ مِمّا يَأْكُلُهُ النّاسُ والأَنْعامُ .
قِثّائِها	: القِثّاءُ نباتٌ يُشْبِهُ الخيارَ ، ويُسميّهُ العامّةُ (القِثَّة) و(الفَقّوس) .
فومِها	: يُقالُ هِيَ الثَّوْمُ المَعروفُ .
الذِّلَّةُ	: خُلُقٌ خَبيثٌ في النَّفْسِ ، وهُوَ ضِدُّ العِزَّةِ ، وهُوَ الهَوانُ والحَقارَةُ .
المَسْكَنَةُ	: الضَّعْفُ النَّفْسيُّ والفَقْرُ القَلْبيُّ الّذي اسْتَوْلى عَلى بَني إِسْرائيلَ .
باءوا بِغَضَبٍ	: رَجَعوا مَصْحوبينَ بِغَضَبٍ منَ اللهِ .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

لَقَدْ جُبِلَ بَنو إِسْرائيلَ عَلى البَطَرِ ، فَقَدْ مَلَكَ هذا البَطَرُ أَهْواءَهُمْ حتّى كانوا يَسْتَخِفّونَ بالأَمْرِ

العَظيم الّذي هَيّأَهُمُ اللهُ لَهُ ولا يُقيمونَ لَهُ وَزْناً ، وهُوَ التَّمَكُّنُ في الأَرْضِ المَوْعودَةِ ، والخُروجُ مِنَ الذُّلِّ الّذي كانوا فيهِ في مِصْرَ ، ومَعَ كَثْرَةِ ما شاهَدوا مِنْ آياتِ اللهِ الّتي تَدُلُّ عَلى صِدْقِ وَعْدِ اللهِ لَهُمْ ، إلاّ أَنَّهُمْ كانوا في رَيْبٍ مِنْ تِلْكَ الآياتِ ، وكانوا يَظُنّونَ أَنَّ سَيِّدَنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ خَدَعَهُمْ بإخْراجِهِمْ مِنْ مِصْرَ ، وجاءَ بِهِمْ إلى البَرِّيَةِ لِيُهْلِكَهُمْ ، فَلِذلِكَ اسْتَمرّوا عَلى الإكْثارِ مِنَ الطَّلَبِ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، حتّى يَيْأَسَ مِنْهُمْ ، فَيعودَ بِهِمْ إلى مِصْرَ .

وها هُمُ الآنَ يُواجِهونَ نَبِيَّهُمْ بِبَطَرٍ وبِسوءِ أَدَبٍ : ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ وهو ما أَنْعَمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ المَنِّ والسَّلْوى ، وهُمْ لَمْ يَقولوا هذا لأَنَّهُمْ مَلّوا مِنَ الطَّعامِ الواحِدِ ، ولكنَّهُمْ لِبَطَرِهِمْ وتَعَنُّتِهِمْ وجُحودِهِم ، بَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بالنِّعَمِ الكَثيرةِ ، قالوا لِنَبِيِّهِمْ ﴿لَن نَّصۡبِرَ﴾ بِكَلِمةِ ﴿لَن﴾ الّتي تُفيدُ تَأْكيدَ النَّفْيِ ، فَكَأَنَّهُمْ يَقولونَ لَهُ مُهَدِّدينَ هذا التّهديدَ الدّالَّ عَلى سُوئِهِمْ ، لِيُلْجِئوهُ إلى دُعاءِ رَبِّهِ سَريعاً .

وانْظُرْ إلى سوءِ أَدَبِهِمْ في قَوْلِهِمْ لموسى عَلَيْهِ السَّلامُ : ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ولَمْ يَقولوا : (ربَّنا) ، وهو يَدُلُّ عَلى عَدَمِ رُسوخِ الإيمانِ في قُلوبِهِمْ ، إذْ لَوْ أَنَّهم آمَنوا لَكَفَتْهُمُ الآياتُ ، ولَحَمِدوا اللهَ عَلى أَنْ نَجّاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وجُنودِهِ . قالوا لَهُ : سَلْ رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وقِثّائِها وفومِها وعَدَسِها وبَصَلِها ، ادْعُ ربَّكَ أَنْ يُخْرِجَ لَنا مِمّا تُنْبِتُهُ الأَرْضُ مِنْ خُضَرٍ وفاكِهَةٍ وثَوْمٍ وعَدَسٍ وبَصَلٍ ، فقالَ لَهُمْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ بالاسْتِفْهامِ التَّوْبيخِيِّ ، أَتَتْرُكونَ شَيْئاً فيهِ خَيْرٌ لَكُمْ ، وتَطْلُبونَ ما هُوَ أَخَسُّ وأَصْغَرُ قَدْراً . فالمَنُّ والسَّلْوى أَكْثَرُ فائِدَةً ولَذَّةً لَهُمْ .

وقالَ لَهُمْ تَوْبيخاً : ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ فإذا كانَ هذا ما تُريدونَهُ ، وَمِثْلُ هَذِهِ الأَطْعِمَةِ لا تَكونُ في البَوادي والصَّحاري ، وإنّما تَكونُ في القُرى والأَمْصارِ ، فاهْبِطوا مِصْراً مِنَ الأَمْصارِ تَجِدونَ فيهِ ما تُريدونَ ، وهذا المكانُ غَيْرُ مُعَيَّنٍ ، وموسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمْ يَسْأَلْ رَبَّهُ إجابَةَ طَلَبِهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ كانوا مُتَعنِّتينَ بَطِرينَ .

العُقوبةُ الّتي حَلَّتْ بِهِمْ :

بَيَّنَتِ الآيةُ بَعْدَ ذلِكَ العُقوباتِ التي حَلَّتْ بِهِمْ ، بِسَبَبِ سوءِ أَدَبِهِمْ وفُجورِهِمْ :

أولاً : ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ وهَذا في الدُّنْيا ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ الذِّلَّةَ والمَسْكَنَةَ مُحيطةً بِهِمْ ، والذُّلَّ والصَّغارَ والهَوانَ . والمَسْكَنَةُ : الضَّعْفُ النَّفْسيُّ والفَقْرُ القَلْبيُّ الّذي يَسْتَوْلي عَلى الشَّخْصِ فَيَجْعَلُهُ يَحُسُّ بالهَوانِ . والفَرْقُ بَيْنَ الذِّلَّةِ والمَسْكَنةِ ، أَنَّ الذِّلَّةَ هوانٌ تَكونُ أَسْبابُهُ خارِجَةً عَنْ الإنْسانِ ، كَأَنْ يُغْلَبَ على أَمْرِهِ ، فَيَنْتَصِرَ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ فَيَغْلِبُهُ ، أَمّا المَسْكَنَةُ ، فَهِيَ هَوانٌ يَنْشَأُ مِنْ داخِلِ النَّفْسِ نَتيجةَ بُعْدِها عَنِ الحَقِّ واسْتيلاءِ الشَّهواتِ عَلَيْها .

وهؤلاءِ اليَهودُ عاشوا زَمَناً طَويلاً مُسْتَعْبَدينَ مِنْ كَثيرٍ مِنَ الأُمَمِ ، فَأَكْسَبَهُمْ هذا الاسْتعبادُ ضَعْفاً نَفْسيّاً ، بحيثُ صاروا لا يُفرِّقونَ بَيْنَ الحياةِ الذَّليلةِ والحياةِ الكَريمةِ .

ثانياً : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وهَذا في الآخِرَةِ ، فَهُمْ في الدُّنْيا أَذِلّاءُ حَقيرونَ ، وفي الآخِرَةِ سَيَرْجعونَ مَصْحوبينَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، بِسَبَبِ أَفْعالِهِمُ القَبيحَةِ .

أَمّا سَبَبُ هذهِ العُقوبَةِ فَقَدْ فَعَلَ بِهِمْ سُبْحانَهُ ذَلكَ بِسَبَبِ جُحودِهِمْ لآياتِ اللهِ ، وبِسَبَبِ قَتْلِهِمُ لِلنَّبيّينَ وقَدْ جاءَتِ الأَفْعالُ بِصيغَةِ المُضارِعِ ، لِيَدُلَّ عَلى تَجَدُّدِ هَذا الأَفْعالِ مِنْهُمْ ، فَهِيَ دَأْبُهُمْ كُلَّما جاءَهُمْ نَبيٌّ كَفَروا بِهِ وقَتَلوهُ . وقَدْ ذَكَرَتِ الآيَةُ أَنَّ قَتْلَهُمْ لِلأَنْبياءِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وذَلِكَ أَنَّ قَتْلَهُمْ لَهُمْ كانَ بِغَيْرِ وَجْهٍ يُعْتَدُّ بِهِ في شَريعَتِهِمْ ، حيثُ وَرَدَ في شَريعَتِهِمْ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَميعاً ، فَهُمْ قَدْ فَعَلوا هذا الفِعْلَ عَنْ عَمْدٍ وإصْرارٍ مَعَ عِلْمِهِمْ بِقُبْحِهِ .

فَما حَلَّ باليَهودِ مِنْ عُقوبَةٍ إذاً ، كانَ أوّلاً بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بآياتِ اللهِ ، وهذا هُوَ بِدايَةُ شُرورِهِمْ وآثامِهِمْ ، وبِسَبَبِ قَتْلِهِمْ لأَنْبياءِ اللهِ ثانياً . وثالثاً : لِعِصْيانِهِمْ وخُروجِهِمْ عَنْ طاعةِ اللهِ تَعالى . ورابِعاً : لاعْتِدائِهِمْ وتَجاوُزِهِمُ الحُدودَ ، وعَدَمِ مُبالاتِهِمْ بِعُهودِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المصائبُ لابُدَّ وأَنْ تُعَلِّمَ الإنْسانَ وتُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنَ التَّعلُّقِ بالدُّنْيا وما فيها .

٢ـ الرِّضا والقَناعَةُ بِكُلِّ ما يُنْعِمُ اللهُ بِهِ عَلى العَبْدِ فيهِ خَيْرُ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٣ـ مَنْ ساءَ أَدَبُهُ مَعَ اللهِ أَذَلَّهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما الَّذي طَلَبَهُ بَنو إسْرائيلَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ما السَّبَبُ الّذي جَعَلَهُمْ يَطلُبونَ أَصْنافَ الطَّعام هذهِ ؟

٣ـ هَلْ كانَ ما طَلَبوهُ أَفْضَلَ ممّا أَعْطاهُمُ اللهُ مِنْ قَبْلُ ؟

٤ـ ما مَوْقِفُ سَيِّدِنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْ طَلَبِهِمْ هَذا ؟

٥ـ ما المَقصودُ بقولِهِ : اهْبطوا مِصْراً ؟

٦ـ هَلْ دعا لَهُمْ موسى ربَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُمْ ما طَلَبوهُ ؟

٧ـ أعَدَّ اللهُ لِلْيَهودِ عَقوبةً دُنْيَوِيَّةً وأُخْرى أُخْرَوِيَّةً ، ما هُما ؟

٨ـ ما الأَسْبابُ الّتي جَعَلَتِ العُقوبَةَ تَحِلُّ بِهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ كَيْفَ تَستنتِجُ أنَّ المِصْرَ الّذي أُمِروا الهُبوطَ إليهِ لَيْسَ بلادَ مِصْرَ الّتي خَرَجوا مِنْها ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً عَنْ تَآمُرِ اليَهودِ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ ومُحاوَلَةِ قَتْلِهِ ، وضَعْهُ في مجلةِ الحائِطِ في المَدْرَسَةِ .

* * *

الدَّرسُ الثّامِنَ عشَرَ

سورةَ البَقرةِ ـ القِسْمُ السّادِسَ عشَرَ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هادوا : صاروا يَهوداً .

الصّابئونَ : قَوْمٌ مُوَحِّدونَ يَعتقدونَ بِتَأْثيرِ النُّجومِ ، ويُقِرّون بِبَعْضِ الأَنْبياءِ .

الطّورَ : جَبَلٌ ناجى موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْهِ ربَّهُ .

خاسِئينَ : الخُسوءُ : الطَّرْدُ والإِبْعادُ والزَّجْرُ .

التَّفْسيرُ :

بَيَّنَتِ الآياتُ السّابِقَةُ حالَ أُولئِكَ اليَهودِ ، وما حَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقوباتٍ بِسَبَبِ جُحودِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، فَضَرَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ والمَسْكَنَةَ ، بِسَبَبِ ما اقْتَرَفَتْهُ أَيْديهِمْ ، وبِسَبَبِ عِصْيانِهِمْ واعْتِدائِهِمْ على حُدودِ ما شَرَعَ اللهُ تَعالى . وجاءَتِ الآياتُ هُنا لِتَسْتَثْنِيَ مِنْ حُكْمِ الآياتِ السّابِقَةِ بَعْضَ النّاسِ ، فإِنَّ فَريقاً لَمْ يَفْعَلوا فِعْلَ يَهودٍ ، فَلَمْ تَنَلْهُمْ عُقوبَةُ اللهِ تَعالى . يقولُ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

وقَدْ تَحدَّثَتِ الآياتُ عَنْ أَرْبَعِ فِرَقٍ مِنْ هَؤلاءِ النّاسِ :

الأولى : فِرْقَةُ الذينَ آمَنوا بالنَّبيِّ ﷺ وصَدَّقوهُ . وابْتَدَأَ بِهذِهِ الفِرْقَةِ ، لِيُبيِّنَ أَنَّ الفَوْزَ بِرِضا اللهِ تَعالى لا يُمْكِنُ أَنْ يَنالَهُ الإنْسانُ إلاّ بالإيمانِ الصّادِقِ ، والعَمَلِ الصّالِحِ .

الثّانيَةُ : الذينَ هادوا : أيْ دَخَلوا في اليَهوديَّةِ ، والمَقْصودُ الفِرْقَةُ الّتي عُرِفَتْ بِهذا الاسْمِ ، مِمّنِ اتَّبعوا الأَنْبياءَ السّابِقينَ وآمَنوا بِهِمْ ، وعَبَدوا اللهَ وَحْدَهُ وساروا عَلى شَريعَتِهِ .

الثّالِثَةُ : النَّصارى : وهُمْ أَتْباع سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ويُرادُ بِهِمْ كَذلِكَ الفِرْقَةُ الّتي عُرِفَتْ بِهذا الاسْمِ ،واتَّبَعَتِ الأَنْبياءَ السّابِقينَ .

الرّابِعَةُ : فِرْقَةُ الصّابِئينَ : فِرْقَةٌ قَريبَةٌ إلى النَّصارى ، تُوَحِّدُ اللهَ تَعالى ، كانَتْ تَعْتَقِدُ بِأَنَّ الكَواكِبَ لَها تَأْثيرٌ .

وقَدْ ذَكَرَ القُرْآنُ هذهِ الفِرَقَ ، لِيُنَبِّهَ عَلى أَنَّ الإيمانَ الصَّحيحَ والعَمَلَ الصّالِحَ يَرْفَعانِ صاحِبَهُما إلى أَعْظَمِ دَرَجاتِ الفَلاحِ ، حتّى لَوْ كانَ مِنْ قَبْلُ قَدْ بَلَغَ دَرَجَةً عَظيمَةً في الكُفْرِ والفُجورِ ، فإنَّ الإيمانَ يَجُبُّ ، أيْ : يَمْحو ما قَبْلَهُ .

هَؤلاءِ كُلُّهُمْ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ باللهِ تَعالى إيماناً صَحيحاً ، وآمَنَ كَذلِكَ باليَوْمِ الآخِرِ ، وعَمِلَ العَمَلَ الصّالِحَ ، الّذي يُصْلِحُ بِهِ نَفْسَهُ ، وشُؤونَهُ ـ والعَمَلُ الصّالِحُ مَعْروفٌ عِنْدَ اليَهودِ والنَّصارى وغَيْرِهِمْ ـ فَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنونَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يُعامِلُهُمْ مُعامَلَةً واحِدَةً ، وهُوَ يُعامِلُهُمْ بِسُنَّةٍ واحِدَةٍ ، لا يُحابي فَريقاً عَنْ فَريقٍ ، ولا يَظْلِمُ فَريقاً كَذلِكَ ، وسُنَّتُهُ تَعالى هذهِ بِأَنَّ لَهُمْ أَجْرَهُمُ المَعْلومَ الّذي وَعَدَهُمُ اللهُ تَعالى عَلى لِسانِ رَسولِهِمْ ، ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالى في هذا اليَوْمِ ، الّذي يَخافُ فيهِ الكُفّارُ والفُجّارُ ، ولا هُمْ يَحْزَنونَ عَلى شَيْءٍ فاتَهُمْ .

وبَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّ سَبيلَ النَّجاةِ لِجميعِ النّاسِ هُوَ الإيمانُ باللهِ والعَمَلِ الصّالِحِ ، ومِنْ جُمْلَتِهِمُ اليَهودُ ؛ فإنَّ الآياتِ تُواصِلُ حَديثَها مَعَ بَني إسْرائيلَ لِتُذَكِّرَهُمْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعالى بِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُمْ يَسْتَحِقّونَ عِقابَهُ ، ولَكِنَّ اللهَ رَحِمَهُمْ فَأَمْهَلَهُمْ . قالَ تَعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

اذْكُروا يا بني إسْرائيلَ وَقْتَ أَنْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْكُمُ العَهْدَ بِأَنْ تَعْبدوهُ وَحْدَهُ ، وتَتَبَّعوا ما جاءَ بِها

الرُّسُلُ . وما تَدُلُّ عَلَيْهِ الآيَةُ أنَّهُمْ قَبلوا الإيمانَ وعاهدوا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْهِ ، فَرَفَعَ الطّورَ فَوْقَهُمْ كأنّهُ ظُلَّةٌ تُظِلّهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ، فَكانَتْ آيَةً عَظيمَةً تُقوّي الإيمانَ في نُفوسِهِمْ ، ولِذلكَ قالَ لَهُمْ سُبْحانَهُ : ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ أيْ تَمَسَّكوا بما آتاكُمُ اللهُ تَعالى مِنَ التَّوْراةِ واعْمَلوا فيهِ بِجدٍّ ونَشاطٍ ، وتَقَبَّلوهُ بِحُسْنِ اسْتِعدادٍ بِحِفْظِهِ والمُحافَظَةِ عَلى العَمَلِ بِهِ ، لأنَّ العَمَلَ هو الّذي يُرَسِّخُ العِلْمَ في النَّفْسِ ، فإنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ عَمَلٌ لَمْ تَكُنْ فائِدَةٌ مِنَ العِلْمِ .

رُوِيَ عَنْ عَليٍّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجْهَهُ أنّهُ قالَ : (يَهْتِفُ العِلْمُ بالعَمَلِ فإنْ أجابَهُ وإلاّ ارْتَحَلَ) . ولا شَكَّ في أنَّ المواظَبَةَ عَلى العَمَلِ بما أرْشَدَ إلَيْهِ الكِتابُ تَجْعَلُ النَّفْسَ مُتَّصِلَةً باللهِ تَعالى ، وتُشْعِرُ بِرَقابَةِ اللهِ تَعالى عَلَيْها ، فَتَصِلُ إلى دَرَجَةِ التَّقْوى .

ما مَوْقِفُ اليَهودِ مِنْ هذهِ النِّعْمَةِ ؟

ولكنْ ماذا كانَ مَوْقِفُ بني إسْرائيلَ ؟ هَلْ عَمِلوا بالكِتابِ ؟ لا ، واللهِ ما عَمِلوا بِهِ ، لأنَّ قُلوبَهُمْ صارَتْ كالحِجارَةِ ، وصارَ مِنْ دينِهِمْ دَيْدَنُهُمُ القَوْلَ والإعْراضَ ، وهاهُمْ كَما تُبيِّنُ الآياتُ يَقولونَ ويُعْرِضونَ عَنْ طاعةِ اللهِ تَعالى ، ولِذلِكَ اسْتَحَقّوا عِقابَ اللهِ تَعالى ، ولكنَّ فَضْلَ اللهِ عَلى بَني إسْرائيلَ ورَحْمَتَهُ بِهِمْ حالَتْ دونَ نُزولِ العِقابِ بِهِمْ ، ولَوْلا ذلكَ لَخَسِروا سَعادةَ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

وقَدْ أباحَ اللهُ تَعالى لِبَني إسْرائيلَ العَمَلَ في أيّامِ الأُسْبوعِ السِّتَّةِ ، عدا يوم السَّبْتِ ، حيثُ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أنْ يَتفرَّغوا في هذا اليَوم للطّاعَةِ والعِبادَةِ ، ولكنَّهُمْ تَجاوزوا حَدَّهُمْ ، فَقَدْ وَرَدَ في سورَةِ الأعْرافِ أنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الصَّيْدَ يومَ السَّبْتِ ، وقدْ أَلْهَمَ اللهُ تَعالى السَّمَكَ هذا الأمْرَ بِأنَّهُمْ لا يَصيدونَ يَوْمَ السَّبْتِ ، فكانَتِ الأَسْماكُ تَأْتي إلى السَّواحِلِ القَريبَةِ مِنْهُمْ ، ولا تَأْتي بَقيَّةَ أيّامِ الأُسْبوعِ ، وكانَ هذا ابْتِلاءٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، ولَكنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَدَوْا في السَّبْتِ ، وصاروا يَصْطادونَ فيهِ ، ولَمْ يُؤثِّرْ فيهِمْ وَعْظُ الواعِظينَ ، فَكانَتْ عُقوبَتُهُمْ أنْ قالَ اللهُ لَهُم : ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ إنَّ مَنْ يَعْتَدي عَلى شَرْعِ اللهِ تَعالى ويَجْرؤُ عَلى المَعاصي والمُنْكَراتِ بِلا حياءٍ ولا خَجَلٍ ، يَنْزِلُ عَنْ صِفَةِ الإنْسانِ ويَصيرُ في مَرْتَبَةِ الحَيواناتِ الّتي لا تَفْقَهُ شَيْئاً ، وهذهِ العُقوبةُ كانَتْ عِبْرَةً ورَدْعاً لِكُلِّ مَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ وارْتَكَبَ أَفْعالَهُمْ ، عِبْرَةً زاجِرَةً لِمنَ كانَ في زَمَنِ الّذينَ لَحِقَتْ بِهِمُ العُقوبَةُ ، ولِمَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ ، ومَوْعِظَةً لِمَنْ يَتَّقي اللهَ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الإيمانُ باللهِ تَعالى والعَمَلُ الصّالِحُ نَتيجَتُهُ دائِماً الأَمْنُ والطُّمَأْنينةُ وعَدَمُ الحُزْنِ على ما فاتَ .

٢ـ العِلْمُ بالأُمورِ لابُدَّ وأَنْ يَتْبَعَهُ العَمَلُ بها ، فَلَوْلا العَمَلُ لَذَهبَ العِلْمُ .

٣ـ مَنِ اجْتَرَأَ عَلى حُرُماتِ اللهِ تَعالى نَزَلَ إلى مَرْتَبَةِ الحَيواناتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أمْرَيْنِ يُمْكِنُ أَنْ يَرْفعا الإنْسانَ عِنْدَ اللهِ تَعالى . ما هُما ؟

٢ـ مَنِ الّذينَ هادوا والنَّصارى ؟ ولِماذا ذَكَرَتْهُمُ الآياتُ ؟

٣ـ ما المِيثاقُ الّذي أَخَذَهُ اللهُ تَعالى عَلى بَني إسْرائيلَ ؟

٤ـ ما الآيَةُ والمُعْجِزَةُ الّتي أراها اللهُ لِبَني إسْرائيلَ نَتيجَةَ إيمانِهِمْ ؟

٥ـ بِمَ أَمَرَهُمُ اللهُ تَعالى بَعْدَ أَنْ أراهُمْ آيَةَ رَفْعِ الجَبَلِ ؟

٦ـ هل بَقِيَ بنو إسْرائيلَ عَلى إيمانِهِمْ ؟ بَيِّنْ ذلِكَ .

٧ـ لِماذا لَمْ يُعاقِبْهُمُ اللهُ تَعالى نَتيجَةَ نَقْضِهِمْ لِلْميثاقِ ؟

٨ـ أيُّ أيامِ الأُسبوعِ حُرِّمَ عَلى بَني إسْرائيلَ العَمَلُ فيهِ ؟

٩ـ ما الّذي فَعَلَهُ بَنو إسْرائيلَ يَوْمَ السَّبْتِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الحيلةَ الّتي سَلَكَها اليَهودُ للصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سُورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هُزُواً : سُخْرِيَةً .

الجاهِلينَ : الجَهْلُ : فِعْلُ ما لا يَنْبَغي فِعْلُهُ .

فارِضٌ : المُسِنَّةُ الّتي انْقَطَعَتْ وِلادَتُها .

بِكْرٌ : الصَّغيرةُ الّتي لم تَحْمِلْ بَعْدُ .

عَوانٌ : المُتوسِّطَةُ في السِّنِّ .

لا ذلولٌ : لا تَحْرُثُ الأَرْضَ ولا تَسْقي الزَّرْعَ .

مُسَلَّمَةٌ : سَلِمَتْ مِنَ العُيوبِ .

لا شِيَةَ : الشِّيَةُ : العَلامَةُ ، أي لا لَوْنَ فيها يُخالِفُ لَوْنَها .

الحَرْثَ : الأَرْضَ المُهيَّأَةَ للزَّرْعِ .

تُثيرُ : تَقْلِبُ الأَرْضَ للزِّراعَةِ .



التَّفسيرُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

يقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى : اذْكُروا وَقْتَ أنْ كانَ هُناكَ في أسْلافِكُمْ قَتيلٌ ، وأَرادوا مَعْرِفَةَ قاتِلِه ، فقالَ لَهُمْ نَبيُّهُمْ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ ﴾ هكذا قالَ لَهُمْ ، فالأَمْرُ مِنَ اللهِ تَعالى ولَيْسَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، ولكنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ اسْتَهْجَنوا ذلِكَ ، ودُهِشوا بِسَفاهَةٍ وحَماقَةٍ وقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ ﴾ أيْ : أتَجْعَلُنا مَوْضِعَ سُخْرِيَتِكَ يا موسى ؟ وهَذِهِ الجُمْلَةُ تَدُلُّنا على أَنَّ أُولئِكَ لَيْسَ للهِ مَكانَةٌ في قُلوبِهِمْ ، فَضْلاً على أنْ تكونَ لِنبيِّهِ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ إذْ كَيْفَ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَقولوا هَذا القَوْلَ لِمَنْ عَرَفوا صِدْقَهُ ، ولِمَنْ كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ كَبيرٌ بَعْدَ اللهِ تَعالى ؟ ولكنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَعَ ذَلِكَ ، يُجيبُهُمْ بِكُلِّ رِفْقٍ : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فالمَقامُ لَيْسَ مَقامَ سُخْرِيَةٍ واسْتِهْزاءٍ ، وإنَّما هُوَ مَقامُ تَبْليغ أحْكام اللهِ تَعالى ؛ لِذا فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يَلْتَجِىء إلى اللهِ ، ويَبْرأُ إليْهِ أنْ يَكونَ مِنَ السُّفَهاءِ الَّذينَ يَرْوونَ عَنْهُ الكَذِبَ والباطِلَ .

وهَذا الَّذي أَرْشَدَهُمْ إليهِ نَبيُّهُمْ كانَ كافِياً لِحَمْلِهِمْ عَلى أنْ يَذْبَحوا أيَّ بَقَرةٍ ، تَنْفيذاً لأَمْرِ ربِّهِمْ ، فَقَدْ أَمَرَهُمْ بِذَبْحِ أيِّ بَقَرةٍ ، ولَكنَّهُمْ طُبِعوا عَلى المَكْرِ والخِداعِ والتَّلاعُبِ بالأَلْفاظِ ، حتّى مَعَ مَنْ كانَ لَهُ أَعْظَمُ الفَضْلِ عَلَيْهِم ، ولِذا عادوا يَقولونَ لِنَبيِّهِمْ :

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ﴾ اطْلُبِ مِنْ ربِّكَ ، ولَمْ يَقولوا : مِنْ ربِّنا ، وهَذا مِنْ سوءِ الأَدَبِ ، كما قُلْنا ، ولأَنَّهُ لَيْسَ للهِ تَعالى في نُفوسِهِمْ أيُّ وَزْنٍ ، يَقولونَ : اطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يُبيِّنَ حالَها ، فَأَكْثَروا مِنَ الأَسْئِلَةِ ، فقالَ لَهُمْ نَبيُّهُمْ : إنَّها بَقَرَةٌ لَيْسَتْ بالكَبيرةِ ولا بالصَّغيرةِ ، بَلْ هِيَ وَسَطٌ بَيْنَهُما . وفي هذه الإجابَةِ دَليلٌ على غَباوةِ المُخاطَبينَ ، وعَدَم فَهْمِهِمْ للأَساليبِ المُوجَزَةِ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ (إِنَّهَا بَقَرَةٌ عَوَانٌ) واكْتَفى ، بَلْ قالَ : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ ولِذا افْعَلوا ما يَأْمُرُكُمْ بِهِ اللهُ ، ونَفِّذوهُ ، ولا تُضَيِّقوا على أَنْفُسِكُمْ وتُكْثِروا مِنَ الأَسْئِلَةِ .

فَهَلِ اكْتَفَوْا بِذَلِكَ ؟ لا ، ولكِنَّهُمْ عادوا يَسْأَلونَ عَنْ لَوْنِها ، حتّى يَسْهُلَ تَحْديدُها تَحْديداً دَقيقاً ـ كما يدَّعونَ ـ فأَجابَهُمْ بِأَنَّها بَقَرَةٌ صَفراءُ فاقِعٌ لَوْنُها ، أي شَديدةُ الصُّفْرَةِ ، تُعْجِبُ في هَيْأَتِها ومَنْظَرِها وشَكْلِها النّاظِرينَ إِليْها . وهكذا عَرَفوا ما فيهِ الكِفايةُ عَنْ صِفاتِ هَذهِ البَقَرَةِ مِنْ حيثُ سِنُّها ولَوْنُها ، ومَعَ ذَلِكَ لَمْ تُكْفِهِمْ تِلكَ الأَوْصافُ ، فَعادوا للسُّؤالِ مَرَّةً أُخْرى أَنْ يَزيدَهُم إِيضاحاً عَنْ هذهِ البَقَرةِ وحالِها ، فإِنَّ البَقَرَ المَوْصوفَ بالصِّفاتِ الّتي ذَكَرَها لَهُمْ كَثيرٌ ، وقَدْ تَشابَهَ عَلَيْهِمْ ، ولا يَعْرِفونَ أَيَّ بَقرةٍ يَذْبَحونَ كما يَدَّعونَ ؛ ولِذا قالَ لَهُمْ : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أيْ : هِيَ بَقَرَةٌ سائِمَةٌ نَفيسةٌ ، لَيْسَتْ مُذَلَّلَةً ولا مُدَرَّبَةً عَلى حَرْثِ الأَرْضِ أو سَقْيِ الزَّرْعِ ، سالمةٌ مِنَ العُيوبِ ، لَيْسَ فيها لَوْنٌ يُخالِفُ لَوْنَها الّذي هُوَ الصُّفْرَةُ الفاقِعَةُ .

وكأَنَّهُمُ اكْتَفوا بما سَمِعوا إِذْ قالوا لِنَبِيِّهِمْ : ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ أَيِ : الوَصْفِ الواضِحِ الّذي لا اشْتِباهَ فيهِ ، فَقَدْ تَمَيَّزَتِ البَقَرةُ مِنْ حَيْثُ سِنُّها ولَوْنُها ، وكَونُها لَيْسَتْ عامِلَةً ، وعِنْدَ ذَلِكَ ظَفَروا بِها فَذَبَحوها بَعْدَما قارَبوا أَنْ يَتْرُكوا ذَبْحَها ، ويَتْرُكوا ما أُمِروا بِهِ لِتَشَكُّكِهِمْ في ما يُرْشِدُهُمْ إِليهِ نَبِيُّهم موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ولِكَثْرَةِ مُماطَلَتِهِمْ .

وجاءَتْ كَلِمةُ (كادَ) لِتَدُلَّ عَلى هذا التَّطويلِ المُفْرِطِ مِنْهُمْ ، وكَثْرَةِ أَسْئِلَتِهِمْ ومُماطَلَتِهِمْ وتَعَنُّتِهِمْ . والخُلاصَةُ أَنَّهُمْ ذَبَحوها بَعْدَ تَوَقُّفٍ وبُطْءٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إِلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الاسْتِهزاءُ بِأَمْرٍ مِنْ أُمورِ الدّينِ جَهْلٌ كَبيرٌ يُؤدّي إِلى عَذابِ اللهِ تَعالى .

٢ـ اليَهودُ لا يُحْسِنونَ الظَّنَّ بِنَبِيِّهِمْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ولا بِرَبِّهِمْ وخالِقِهِمْ كذلِكَ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَنا أَنْ نُحْسِنَ الظَّنَّ بِهِمْ ؟

٣ـ الدّينُ دينُ يُسْرٍ ، فلا يَنْبَغي أَنْ نُشَدِّدَ عَلى أَنْفُسِنا حتّى لا يُشَدِّدَ اللهُ عَلينا .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى بني إِسْرائيلَ بِذَبْحِ بَقرةٍ ؟

٢ـ علامَ يَدُلُّ قَوْلُهم : أَتَتَّخِذُنا هُزُواً ؟

٣ـ ما مَعنى قولِهِ تَعالى : أعوذُ باللهِ أنْ أَكونَ مِنَ الجاهِلينَ ؟

٤ـ لِماذا طَلَبوا مِنْ نَبيِّهِمْ أوَّلاً أَنْ يُبيِّنَ لَهُمْ ما هِيَ هذهِ البَقَرَةُ ؟

٥ـ ما أوصافُ هذهِ البَقَرةِ مِنْ حيثُ سِنُّها ، ولَوْنُها ؟

٦ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : إنّها بَقَرةٌ لا ذَلولٌ تُثيرُ الأَرْضَ ولا تَسْقي الحَرْثَ .

٧ـ ما مَعنى قَوْلِهِ تَعالى : مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فيها ؟

٨ـ لِماذا جاءَ التَّعبيرُ بقولِهِ : وما كادوا يَفْعلونَ ؟

* * *

الدَّرْسُ العِشْرونَ

سورةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الثّامِنَ عَشَرَ

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ادّارَءْتُم : تَدافَعْتُم وتَخاصَمْتُمْ .

التَّفسيرُ :

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَتِ الآياتُ السّابِقَةُ هنا الجِدالَ الّذي أَثارَهُ بَنو إِسْرائيلَ في مَعْرِفَةِ صِفاتِ البَقَرَةِ الّتي أُمِروا بِذَبْحِها ، تُحَدِّثُنا الآياتُ عَنِ السَّبَبِ الّذي أُمِروا لأَجْلِهِ أَنْ يَذْبَحوا هَذهِ البَقَرَةَ ، فَيقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى : اذْكُروا يا بَني إِسْرائيلَ وَقْتَ أَنْ قَتَلْتُمْ نَفْساً ، واخْتَلَفْتُمْ وتَنازَعْتُمْ في قاتِلِها ، ودَفَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمُ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ .

ولَقَدْ جاءَ في الآياتِ أَنَّ اللهَ تَعالى ذَكَرَ الأَمْرَ بِذَبْحِ البَقَرَةِ ، ثُمَّ ذَكَرَ قَضِيَّةَ قَتْلِ النَّفْسِ ، فَلماذا لَمْ تُذْكَرِ القِصَّةُ على تَرْتيبِها ؟

والجَوابُ عَنْ ذَلِكَ ، أَنَّ الآياتِ قَصَّتْ عَلَيْنا قَصَصَ بَني إِسْرائيلَ لِيُعَدِّدَ ما كانَ مِنْهُمْ مِنْ

جناياتٍ ، وَلِيُقَرِّعَهُمْ عَلَيْها ، وقَدْ تَقدَّمَ الأَمْرُ بِذَبْحِ البَقَرةِ لِيُشَوِّقَ النُّفوسَ إلى مَعْرِفَةِ الحِكْمَةِ مِنْ وَراءِ الأَمْرِ بِذَبْحِها ، ثُمَّ جاءَ ذِكْرُ القَتيلِ وقِصَّةُ إِحْيائِهِ ، فَهُما قِصّتانِ في قِصَّةٍ واحِدَةٍ .

وقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ ﴾ مَعَ أَنَّ القاتِلَ واحِدٌ ، لأَنَّ الأُمَّةَ في مَجْموعِها كالشَّخْصِ الواحِدِ . وأَسْنَدَ القَتْلَ إلى اليهودِ المُعاصِرينَ للنَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ ، لأَنَّهُمْ مِنْ سُلالَةِ أُولئِكَ الّذينَ قَتلوا ، وهُمْ مِثْلُهُمْ تَماماً في الانْحِرافِ والضَّلالِ .

ويَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ : ﴿ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أيْ : أَنَّهُ سُبْحانَهُ مُظْهِرٌ ومُعْلِنٌ ما كانوا يُخْفونَهُ مِنْ أَمْرِ القَتيلِ الّذي قُتِلَ بَيْنَهُمْ . وقَدْ أَرْشَدَهُمُ اللهُ تَعالى إلى الوَسيلَةِ الّتي يَعْرِفونَ بِها القاتِلَ ، إذْ قالَ لَهُمْ تَعالى :

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

﴿ ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ أيْ : اضْرِبوا هذا الشَّخْصَ القَتيلَ بِبَعْضِ أَجْزاءِ البَقَرةِ الّتي ذَبَحْتُموها ، أيّاً كانَ هَذا الجُزْءُ ، دونَ تَعْيينٍ ، وفي هذا تَيْسيرٌ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ كَذلِكَ ، فَلمّا ضَرَبوهُ بِها ، أَحْياهُ اللهُ فَتَكَلَّمَ ، وأَخْبَرَ نَبيَّ اللهِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ وقَوْمَهُ بِقاتِلِهِ .

ويَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ ، ومِثْلَ ذَلِكَ الإحياءِ العَجيبِ يُحيي اللهُ الموتى يَومَ القِيامَةِ ، ويُريكُمْ آياتِهِ الدّالَّةَ عَلى أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، والّتي مِنْها ما شاهَدوهُ بِأُمِّ أَعْيُنِهِمْ مِنْ إِحْياءِ القَتيلِ بِمجرَّدِ ضَرْبِهِ بِجُزْءٍ مِنَ البَقَرةِ المَذْبوحَةِ ، وإِخْبارِهِمْ باسْمِ قاتِلِهِ ، وهذا كُلُّهُ كَيْ تَسْتَعْمِلوا عُقولَكُمْ فيما فيهِ خَيْرٌ ، وتُطيعوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ ، وتَمْنَعوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اتِّباعِ أَهْوائِكُمْ .

مَوْقِفُ بَني إِسْرائيلَ مِنَ المُعْجِزاتِ :

وبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى هَذِهِ المُعْجِزَةَ العَظيمةَ ، الّتي تَهُزُّ القُلوبَ ، وتَبْعَثُ في النُّفوسِ الإيمانَ ، ذَكَّرَ هؤلاءِ الذينَ لَمْ تُحَرِّكْ تِلْكَ الآياتُ في أَنْفُسِهِمْ ساكِناً ، لأَنَّ قُلوبَهُمْ قاسِيَةٌ ، يَقولُ تَعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

ثُمَّ صَلُبَتْ قُلوبُكُمْ وغَلُظَتْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمُ اللهُ تِلْكَ المُعْجِزاتِ الباهِرةَ ، الّتي مِنْها إِحْياءُ القَتيلِ أَمامَ أَعْيُنِكُمْ ، فَهِيَ كالحِجارةِ في قَساوَتِها وصَلابَتِها ، بَلْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوةً وصَلابةً مِنَ الحِجارَةِ ، وذَلِكَ أَنَّ الحِجارةَ ، مِنْها ما فيهِ ثُقوبٌ وخُروقٌ تَجْعَلُ الماءَ يَتدفَّقُ مِنْها كالأَنْهارِ ، فَتَعودُ بالمَنافِعِ العَظيمةِ عَلى النّاسِ والحَيوانِ والزَّرْعِ ، ومِنْها ما يَتصدَّعُ تَصدُّعاً قَليلاً ، فَتَنْبُعُ مِنْهُ العُيونُ واليَنابيعُ

فَتعودُ كَذلكَ بالمَنْفَعَةِ عَلى النّاسِ ، ومِنْها ما يَتردّى ويَسْقُطُ مِنْ رَأسِ الجَبَلِ إلى الأَرْضِ مِنْ شِدّةِ خَشْيَتِها للهِ تَعالى .

هَذهِ هِيَ حالُ الحِجارةِ مَعَ قَساوتِها ؛ فإنّها تَعودُ بالمَنافِعِ عَلى الأَحياءِ ، أَمّا أَنْتُمْ يا بَني إسْرائيلَ فَقُلوبُكُمْ لا تتأثَّرُ بالمَواعِظِ ، والحِكَمِ الّتي مِنْ شَأْنِها أَنْ تَتغلْغَلَ في نُفوسِ سامِعيها ؛ إنَّهُمْ لا أَثَرَ في قُلوبِهِمْ لِعِبْرَةٍ ، ولا مَوْعِظَةٍ فهي فَقَدَتِ التَّأَثُّرَ والانْفِعالَ ، وكأَنَّ أَصْحابَها هَبَطوا مِنْ دَرَجةِ الحَيوانِ إلى دَرجاتِ الجَمادِ .

ونَتيجةً لِذلِكَ ، فإنَّ اللهَ لِهؤلاءِ ولِمَنْ سارَ عَلى دَرْبِهِمْ بالمِرْصادِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالى حافِظٌ لأَعْمالِهِم مُحْصيها عَلَيْهِمْ ، سَيُحاسِبُهُمْ عَلَيْها ، وسَيَذيقُهُمْ ما يَسْتَحِقّونَ مِنْ عَذابِ جَزاءَ جُحودِهِمْ لِنِعَمِ اللهِ ، وعِصْيانِهِمْ لأَمْرِهِ ولِقَسْوَةِ قُلوبِهِمْ ، فلا يَتدبَّرونَ ولا يَتَّعِظونَ بما يُشاهِدونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ سُنَّةُ اللهِ تَعالى في الكَوْنِ أَنَّ الظّالِمَ والمُتَعدّي عَلى غَيْرِهِ ، لابُدَّ وأَنْ يُفْضَحَ ويَأْخُذَ جَزاءَهُ .

٢ـ اللهُ تَعالى قادِرٌ عَلى إحْياءِ المَوْتى .

٣ـ عَلى المُسْلِمينَ أَلاّ يَكونوا كَبَني إسْرائيلَ في قَسْوَةِ قُلوبِهِمْ وإعْراضِهِمْ عَنِ الحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما صِلَةُ هذهِ الآيةِ : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ ، بالآياتِ الواردة في الدَّرْسِ السّابِقِ ؟

٢ـ لِماذا ذَكَرَ اللهُ تَعالى قِصّةَ قَتْلِ النَّفْسِ بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّةِ ذَبْحِ البَقَرةِ ؟

٣ـ لِماذا جاءَ التَّعبيرُ في الآيةِ : (وإِذْ قَتَلْتُمْ) ، مَعَ أَنَّ القاتِلَ واحِدٌ ؟

٤ـ ما الَّذي أَمَرَهُمْ بِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى لِمَعْرِفَةِ القاتِلِ ؟

٥ـ ما المُعْجِزَةُ الّتي حَدَثَتْ بَعْدَ ضَرْبِهِمُ المَيِّتَ بِجُزْءِ مِنْ أَجْزاءِ البَقَرةِ ؟

٦ـ هَلْ أَثَّرتْ تِلْكَ المُعجزةُ في قُلوبِ بَني إسْرائيلَ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ .

٧ـ بِمَ شَبَّهَتِ الآياتُ قُلوبَ بني إسْرائيلَ ؟

٨ـ أيُّهما أشَدُّ قَسْوةً ، الحِجارةُ أمْ قُلوبُ بَني إسْرائيلَ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

٩ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أَنْواعاً لِلْحِجارَةِ ، لِتُبيِّنَ أَنَّها أَلْيَنُ مِنْ قُلوبِ بَني إسْرائيلَ . ما تِلْكَ الأَنْواعُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورةِ الحَشْرِ الدّالَّةَ عَلى تَصَدُّعِ الجِبالِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والعِشرونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَفَتَطْمَعونَ : الطَّمَعُ : تَعَلُّقُ النَّفْسِ بِالحُصولِ عَلى أمْرٍ تُحبُّهُ .

يُحَرِّفونَهُ : التَّحريفُ : الخُروجُ عَنِ الحَقِّ .

خَلا : انْفَرَدَ .

فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ : حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ وقَضاهُ فيكُمْ .

التَّفسيرُ :

كانَ النَّبيُّ ﷺ وأَصْحابُهُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، يَرَوْنَ أَنَّ أَوْلى النّاسِ بالإيمانِ هُمُ اليَهودُ ، لأَنَّهُمْ مُوَحِّدونَ ومُصَدِّقونَ بالوَحْيِ والبَعْثِ ؛ ولِذلِكَ كانوا يَطْمَعونَ بِدُخولِهِمْ في الإِسْلامِ ، فَدينُهُمْ أَقْرَبُ الأَديانِ إِلى تَعاليمِ الإِسْلامِ ، فَجاءَتِ الآياتُ لِتُبيِّنَ للرَّسولِ ﷺ وصَحابَتِهِ ؛ بأَنَّهُمْ لا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنوا ، ودليلُ ذلِكَ ما كانَ يَحْدُثُ مِنْ أَسْلافِهِمْ مَعَ نَبيِّهِمْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْ تَمرُّدٍ وعِنادٍ ، وجُحودٍ وإنْكارٍ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الآياتُ الكَثيرةُ ، وحَلَّ بِهِمُ العِقابُ لِعَدَمِ امْتِثالِهِمْ لأَوامِرِ اللهِ ، وكانوا يَلْجَأُونَ لِنَبيِّهِمْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِيَرْفَعَ عَنْهُمُ العَذابَ ، ويَسْتَجيبَ لَهُمْ ،

فَيَدْعو اللهَ أنْ يَرْفَعَ عَنْهُمُ العَذابَ ، وفَوْرَ أنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ يَعودونَ إلى سيرَتِهِمُ الأُولى مِنَ الجُحودِ والعِنادِ ، تَقولُ الآياتُ مُخاطِبَةً النَّبيَّ وصَحابَتَهُ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِمْ .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

أَتَطْمَعونَ وتَرْجونَ أَيُّها المُؤْمِنونَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ لَكُمْ حالَ أُولئِكَ اليَهودِ ، وما بَيَّنْتُهُ لَكُمْ مِمّا جُبِلوا عَلَيْهِ مِنْ جُحودٍ ونُكْرانٍ ، أنْ يَدْخُلوا في الإسْلامِ ، والحالُ أَنَّهُ كانَ فريقٌ مِنْ عُلَمائِهِمْ وأَحْبارِهِمْ يَسْمعونَ كلامَ اللهِ ، ثُمَّ يُحرِّفونَهُ عَنْ وَجْهِهِ الصَّحيحِ بَعْدَ ما حَفِظوهُ وفَهِموهُ ، وعَرَفوا صِحَّتَهُ ، فَهُمْ حَرَّفوا كلامَ اللهِ عَنْ تَعَمُّدٍ وإصْرارٍ وسوءِ قَصْدٍ مِنْهُمْ ، فَحالُهُمْ أَنَّهُمْ يَعْلَمونَ الصَّوابَ ، وهذا فيهِ ما فيهِ مِنَ النَّعْيِ عَلى هؤلاءِ ، لِتَعَمُّقِ الفُسوقِ والعِصْيانِ فيهِمْ . والهَمْزَةُ في قَوْلِهِ : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ للاسْتِنْكارِ ؛ اسْتِنْكارِ أنْ يُؤْمِنوا ، وعِلَّةُ ذلكَ :

أوّلاً : ما بَيَّنَتْهُ الآياتُ مِنْ سوءِ حالِهِمْ وتَعَنُّتِهِمْ وجُحودِهِمْ .

ثانياً : تَحريفُهُمْ لِكلامِ اللهِ عَنْ عِلْمٍ وتَعَمُّدٍ .

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

ثُمَّ أخبَرَتِ الآياتُ عَنْ رذيلةٍ أُخْرى مِنْ رَذائِلِهِمْ ، إضافَةً إلى تَحريفِ الكِتابِ ، وهِيَ ما جُبِلوا عَلَيْهِ مِنَ النِّفاقِ والخِداعِ ، فَهُمْ إذا لَقوا الّذينَ آمَنوا ، قالوا لَهُمْ نِفاقاً وخِداعاً ، إنَّنا آمَنّا وصَدَّقْنا بما تُؤْمِنونَ مِنْ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ ، أُنْزِلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ الكَريمُ ، ولَكِنَّهُمْ إذا انْفَرَدوا بَعْضُهم بِبَعْضٍ ، قالَ الّذينَ لَم يُنافِقوا ، لِلّذينَ نافَقوا ، وخَدَعوا المُؤْمِنينَ مُعاتِبينَ : أَتُخْبِرونَ المُؤْمِنينَ بما بَيَّنَهُ اللهُ لَكُمْ في كِتابِكُمْ بما يَشْهَدُ بِأَنَّهُمْ عَلى حَقٍّ ، وأَنَّ رَسولَهُمْ حَقٌّ ، وكِتابَهُمْ حَقٌّ ، لِتَكونَ لَهُمُ الحُجَّةُ عَلَيْكُمْ يومَ القِيامَةِ ، أَتَفْعلونَ هَذا فلا تَعْقِلونَ أَنَّ هذا الّذي تَقولونَ لِلمُؤْمِنينَ مِنْ أَنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِدينِهِمْ يُقيمُ الحُجَّةَ لَهُمْ عَلَيْكُمْ ؟ فَهُمْ لا يُريدونَ أَنْ يَعترِفَ أَحَدُهُمْ بِصِدْقِ دَعوةِ النَّبيِّ ﷺ ، والاسْتِفهامُ في قَوْلِهِ : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ للإنْكارِ التَّوبيخيِّ .

ثُمَّ وَبَّخَهُمُ اللهُ تَعالى عَلى جَهْلِهِمْ بِحَقيقَةِ عِلْمِهِ تَعالى ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

إنّهُمْ لَوْ كانوا مُؤْمنينَ إيماناً صادِقاً بأَنَّ عِلْمَ اللهِ قَدْ أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ : سِرِّهِمْ ، وعَلانِيَتِهِمْ ، لما نَهَوْا إخْوانَهُمُ اليَهودَ عَنْ تَحديثِ المُؤْمِنينَ بما وَرَدَ في التَّوْراةِ مِنْ صِفاتِ النَّبيِّ ﷺ ، ومِنْ حَقائِقَ أَمْرَهُمُ اللهُ بِبيانِها ونَهاهُمْ عَنْ كِتْمانِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ التَيْئيسُ مِنْ إيمانِ بَني إسْرائيلَ ودُخولِهِمْ في دينِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ النِّفاقُ يَكونُ مِنَ الأُمَمِ في حالِ ضَعْفِ الإرادةِ وضَعْفِ العِلْمِ .

٣ـ الَّذي يُبَدِّلُ شَرْعَ اللهِ تَعالى ويُغيِّرُهُ عَنْ عَمْدٍ وقَصْدٍ فَجزاؤُهُ جَهنَّمُ خالِداً فيها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما مَعْنى قولِهِ تَعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُون﴾ ؟

٢ـ ما الّذي طَمِعَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وصَحابَتُهُ مِنَ اليَهودِ ؟

٣ـ ما مَعْنى الهَمْزَةِ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُون﴾ ؟

٤ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّ اليَهودَ لا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنوا بدينِ مُحمَّدٍ ﷺ لِسَبَبَيْنِ ، ما هُما ؟

٥ـ هَلْ كانَ اليَهودُ يُحرِّفونَ الآياتِ دونَ عِلْمٍ مِنْهُمْ ؟ بَيِّنْ ذَلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

٦ـ اشْرَح قَولَهُ تَعالى : ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ﴾ .

٧ـ اسْتَنْتِجْ ما يَدُلُّ عليهِ قولُهُ تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

نَشاطٌ :

١ـ ما حُكْمُ التَّوْراةِ المَوجودَةِ الآنَ بَيْنَ أيدي اليَهودِ ؟ هَلْ هِيَ الّتي نَزَلَتْ عَلى موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؟

٢ـ ارْجِعْ إلى كُتُبِ السّيرةِ وتَدبَّرْ قِصَّةَ إسْلامِ عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ ومَوْقِفَ اليَهودِ مِنْها ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثّاني والعِشْرونَ

سورةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُمِّيون : لا يُحْسِنونَ القِراءَةَ والكِتابَةَ .

أمانِيّ : أكاذيبُ .

وَيْلٌ : دُعاءٌ عَلَيْهِمْ بالهَلاكِ .



التَّفْسيرُ :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

تَحدَّثَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ عَنْ عُلَماءِ بَني إسْرائيلَ الّذينَ يُحَرِّفونَ كِتابَ اللهِ تَعالى . وتُحدِّثُنا الآياتُ هُنا عَنْ عامَّةِ بَني إسْرائيلَ ، فَهُمْ لا عِلْمَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ كِتابِ اللهِ تعالى ، ولا مَعْرِفَةَ لَهُمْ بِأَحْكامِهِ ، فَهُمْ لا يَعْلَمونَ مِنْ كِتابِهِمْ سِوى أَكاذيبَ اخْتَلَقَها لَهُمْ عُلَماؤُهُمْ ، أوْ أُمْنِيّاتٍ باطِلَةٍ ، فَهُمْ يَتَوهَّمونَ أنَّ اللهَ لا يُؤاخِذُهُمْ بِخَطاياهُمْ ، وهُمْ لا يَعْرِفونَ مِنَ التَّوراةِ إلاّ ما يَقْرَؤونَهُ مِنْ قِراءاتٍ خالِيَةٍ مِنَ التَّدبُّرِ وعارِيَةٍ مِنَ الفَهْمِ ، وها نَحْنُ نَرى اليَهودَ والنَّصارى يَقْرَؤونَ كُتُبَهُمْ ، لا يَفْهَمونَ مِنْها شَيْئاً .

وهذهِ الأمانيُّ توجَدُ في كُلِّ الأُمَمِ في حالِ الضَّعْفِ والانْحِطاطِ ، يَفْتَخِرونَ بما بَيْنَ أَيْديهِمْ مِنَ الشَّريعةِ وبِسَلَفِهِمُ الّذينَ كانوا مُهْتَدينَ ، ويَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، وهذا حالُ الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ اليَوْمَ .

إنَّ أُمْنِيّاتِ بَني إسْرائيلَ ما هِيَ إلاّ مِنْ بابِ الأَوْهامِ الّتي لا تَسْتَنِدُ إلى دليلٍ ، فَهِيَ مِنْ بابِ الظَّنِّ ، والظَّنُّ لا يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ، ومَعْرِفَةُ أُمورِ الدّينِ الّتي تَقومُ عَلى الإيمانِ الصَّحيحِ لا يَكْفي فيها مُجَرَّدُ الظَّنِّ ، فلابُدَّ فيها مِنَ العِلْمِ اليَقينيِّ .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

عُقوبَةُ الّذينَ يُحَرِّفونَ كَلامَ اللهِ :

انْتَقَلَتِ الآياتُ لِتُحَدِّثَنا عَنْ سوءِ مَصيرِ أولئِكَ الّذينَ يُحَرِّفونَ كَلامَ اللهِ تَعالى ، يَقولُ سُبْحانَهُ : ويْلٌ وهَلاكٌ عَظيمٌ وخِزْيٌ لأُولئِكَ الأَحْبارِ مِنَ اليَهودِ ، الّذينَ يَكْتُبونَ الكُتُبَ بِأَيْديهِمْ ويُضيفونَ إلَيْها آراءَهُمُ الفاسِدَةَ ، وتَأْويلاتِهِمُ المُحرَّفَةَ ، ثُمَّ يُجْبِرونَ النّاسَ عَلى التَّعَبُّدِ بِها ، والعَمَلِ بما يَكْتُبونَ ، مُدَّعينَ أَنَّ ما وَرَدَ في هذهِ الكُتُبِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، وهُوَ أَمْرٌ يَفْهَمونَهُ هُمْ وَحْدَهُمْ ، ولا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَهْمَهُ ، وبالتّالي يُقْبِلُ النّاسُ عَلَيْهِ ، لِجَهْلِهِمْ وغَباوَتِهِمْ ، وقَدْ فَعَلَ الأَحْبارُ ما فَعَلوا مِنَ التَّحريفِ والكَذِبِ لِيَحْصَلوا عَلى عَرَضٍ زائِلٍ مِنْ أَعْراضِ الدُّنْيا ، وذَلِكَ مِثْلَ أَخْذِ المالِ مِنَ النّاسِ ، أَوِ الطَّمَعِ في الرِّئاسَةِ والجاهِ ، أَوِ الادِّعاءِ بِأَنَّهُمْ مِنَ العُلَماءِ ، وهذا كُلُّهُ ثَمَنٌ قَليلٌ ، اسْتَوْجَبَ أَصْحابُهُ العذابَ مِنَ اللهِ تَعالى ، ولِذا قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

فَهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالى يُهدِّدُهمْ عَلى فِعْلِهِمْ ويَقولُ : الوَيْلُ والهَلاكُ لَهُم لِما حَرَّفوهُ وكَتَبوهُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ولأَنَّهُمْ أَكَلوا أَمْوالَ النّاسِ بالباطِلِ فالهَلاكُ لَهُمْ ، لأَنَّ وَسيلَتَهُمُ الّتي اسْتَخْدَموها وهِيَ الكِتابَةُ باطِلَةٌ ، والغايةُ الّتي أرادوها كَذلِكَ باطِلَةٌ ، وهِيَ العَرَضُ الدُّنْيَويُّ الزّائِلُ .

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

وتَنْقُلُ الآياتُ لَنا شَيْئاً مِنْ أَباطيلِ اليَهودِ الّتي تَدُلُّ عَلى غُرورِهِمْ ، إذْ إنَّهُمْ قالوا : إنَّ النّار لَنْ تُصيبَنا ، ولَنْ نَذوقَ حَرَّها إلاّ أيّاماً قلائِلَ ، لا نَعْرِفُ عَدَدَ هذهِ الأَيّامِ ، فَقَدْ تَكونُ سَبْعَةَ أَيّامٍ ، وقَدْ تَكونُ ثَلاثينَ يَوْماً أَوْ أَربعينَ ، فالقُرآنُ لَمْ يُبيِّنْ عَدَدَها ، المُهِمُّ أَنَّها تَدُلُّ عَلى صَلَفِ اليَهودِ وغُرورِهِمْ ، ولِذلِكَ يَأْمُرُ سُبْحانَهُ نَبيَّهُ مُحمَّداً ﷺ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ ويَقولَ لَهُمْ : هَلِ اتَّخَذْتُمْ مِنَ اللهِ تَعالى عَهْداً وَوَعْداً بِذلكَ ، حتّى يُوَفِّيَهِ لَكُمْ ؟ فإنَّ اللهَ تَعالى إذا وَعَدَ وَفّى ، أَمْ أَنَّكُمْ تَقولونَ عَلى اللهِ

الباطلَ ، فتقولونَ شَيْئاً لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، والعِلْمُ بِمِثْلِ هذا الأَمْرِ لا يَكونُ إلا عَنْ طَريقِ الوَحْيِ . والقَوْلُ عَلى اللهِ بِغيرِ عِلْمٍ جُرْأَةٌ وافْتِراءٌ وكَذِبٌ وكُفْرٌ .

ثُمَّ أَبْطَلَ سُبْحانَهُ وتَعالى هَذا الادّعاءَ الّذي ادَّعوهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ .

وَبلى : حَرْفُ جَوابٍ يَجيءُ لإثباتِ فِعْلٍ ، ونَفْيِ ما قَبْلَهُ ، فَجاءَتْ لِتَنْفِيَ قَوْلَهُمْ أَنَّ النَّارَ لَنْ تَمَسَّهُمْ إلا أيّاماً مَعدودةً ، ولِتُثْبِتَ أَنَّ هذهِ النّارَ سَوْفَ تَمسُّهُمْ ، وسَوْفَ يَخْلُدونَ فيها كَذلِكَ .

فَتقولُ لَهُمُ الآيَةُ : لَيْسَ الأَمْرُ كَما ادَّعيْتُمْ أَيُّها اليَهودُ مِنْ أَنَّ النّارَ لَنْ تَمسَّكُمْ إلاّ أيّاماً مَعْدودةً ، بَلْ إنَّكُمْ سَتَخْلُدونَ فيها ، إذْ إنَّ كُلَّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ، وتَمادى وأَصرَّ واسْتَمرَّ عَلَيْها ، فإنَّ مَصيرَهُ إلى جَهَنَّمَ خالِداً فيها .

وعليهِ فَمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالِحاً فإنَّ اللهَ تَعالى يُكَرِّمُهُ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، فَهُمْ أَصْحابُها الّذينَ أَعدَّها اللهُ لَهُمْ ، وسَوْفَ يَخْلُدونَ فيها بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ ورَضوانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ قِراءَةُ كِتابِ اللهِ تَعالى بتدبُّرٍ وفَهْمٍ وَوَعْيٍ لما يَرِدُ فيهِ .

٢ـ الاقْتِداءُ بالسَّلَفِ الصّالِحِ في العَمَلِ بِشَريعَةِ اللهِ تَعالى .

٣ـ الحَقُّ هُوَ أَثْمَنُ الأَشْياءِ وأَغْلاها ، وكُلُّ ما يُباعُ بِهِ الحَقُّ فَهُوَ ثَمَنٌ قَليلٌ زائِلٌ .

٤ـ إذا أَذْنَبَ العَبْدُ ـ وكُلُّ ابنِ آدَمَ خَطّاءٌ ـ عَلَيْهِ الإقْلاعُ عَنِ الذَّنْبِ ، والتَّوبةُ النَّصوحُ حَتّى لا تُحيطَ بِهِ خَطاياهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما حالُ عوامِّ بَني إسْرائيلَ ؟

٢ـ ما مَعنى كَلِمَةِ : أمانِيّ ؟

٣ـ ما واجِبُ المُسْلِمينَ تُجاهَ كِتابِهِمْ ؟

٤ـ كَيْفَ كانَ عُلماءُ بَني إِسْرائيلَ يَكْتُبونَ الكُتُبَ ؟

٥ـ ما هَدَفُ عَلماءِ بَني إِسْرائيلَ مِنْ تَحريفِهِمْ كُتُبَهُمْ ؟

٦ـ ذَكَرَتِ الآياتُ شَيئاً مِنْ أباطيلِ بَني إِسْرائيلَ ، ما تِلْكَ الأَباطيلُ ؟

٧ـ كَمِ المُدَّةُ الّتي ادَّعَتْ بَنو إِسْرائيلَ أَنَّها سَتتعذَّبُها في النّارِ ؟

٨ـ كَيْفَ رَدَّ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى هَؤلاءِ اليَهودِ في الادِّعاءِ ؟

٩ـ مَنْ هُمْ أَصْحابُ الجَنَّةِ ؟

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سُورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ميثاقَ : الميثاقُ : العَهْدُ الشّديدُ المُؤكَّدُ .

اليَتامى : مُفْرَدُها : اليتيمُ ، وهُوَ مَنْ ماتَ أبوهُ مِنْ بني الإنْسانِ صَغيراً .

المَساكينِ : الّذينَ عَجِزوا عَنِ الكَسْبِ ولَيْسَ عِنْدهُمْ ما يَكْفيهِمْ .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

ذَكَرَتِ الآيَةُ السّابِقَةُ ما أعدَّهُ اللهُ تَعالى لأُولئِكَ اليَهودِ ، ولِكُلِّ مَنْ سارَ عَلى نَهْجِهِمْ ، فأَشْرَكَ باللهِ تَعالى وأحاطَتْ بِهِ خَطاياهُ ، وماتَ عَلى ذَلِكَ ، فَهؤلاءِ قَدْ أَعَدَّ لَهُمُ النّارَ الّتي سَيُخَلَّدونَ فيها ، وهذهِ الآيَةُ تَذْكُرُ أَهْلَ الإيمانِ والتَّقْوى ، وهَذا نَهْجُ القُرْآنِ الكَريمِ في الرَّبْطِ بَيْنَ المُتَضادّاتِ ، فَقَدْ ذَكَرَ وَصْفَ أَهْلِ النّارِ وفي المُقابِلِ يَذْكُرُ وَصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وهَذا أَيْضاً مِنْ بابِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ ؛ التَّرْهيبِ مِنْ أَنْ نَكونَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ ، والتَّرغيبِ في أَنْ نَكونَ مِنْ أَصْحابِ الجَنَّةِ .

تَحدَّثَتِ الآيَةُ الكَريمَةُ عَنِ الّذينَ آمَنوا باللهِ ورُسُلِهِ ، ولَمْ يَكْتَفوا بِهذا فَقَط ، ولَكنَّهُمْ أَتْبَعوا

إيمانَهُمْ بالعَمَلِ الصّالحِ ، فأَطاعوا أوامِرَ اللهِ تَعالى ، واجْتَنبوا نَواهيهِ ، فَهؤلاءِ هُمْ أَصْحابُ الجَنَّةِ وحْدَهُمُ الّذينَ سَيَخْلُدونَ فيها .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

وانْتَقَلَتِ الآياتُ لِتُحَدِّثَنا عَنْ رَذيلةٍ مِنْ رَذائِلِ أُولئِكَ اليَهودِ ، الّتي طُبِعوا وجُبلوا عَلَيْها وهِيَ نَقْضُ المواثيقِ ، وقَدْ ذَكَرَتْ سورَةُ البَقَرةِ في آياتِها الّتي مَرَّتْ بِنا كَيْفَ كانوا يَنْقُضونَ عُهودَ اللهِ ولا يُوفونَها .

وفِي هذهِ الآيةِ يَذْكُرُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى لِنَبيِّهِ ﷺ ولِلْمُسْلِمينَ خَبَرَ أُولئِكَ اليهودِ الّذينَ أَخَذَ اللهُ العَهْدَ عَلَيْهِمْ ، ويَتَمثَّلُ هذا العَهْدُ في أُمورٍ عِدّةٍ :

١ـ أنْ لا يَعْبُدوا إلاّ اللهَ تَعالى وحْدَهُ ، ولا يُشْرِكوا مَعَهُ أَحَداً ، وهذا هُوَ التَّوحيدُ للهِ ، الذي لابُدَّ لَهُ مِنْ هَذيْنِ الأَمْرَيْنِ :

أ ـ عِبادةُ اللهِ تَعالى .

ب ـ عَدَمُ الإشْراكِ مَعَ اللهِ تَعالى أَحَداً .

٢ـ ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وأَخَذَ عَلَيْهِمُ العَهْدَ أَنْ يُحْسِنوا إلى الوالِدَيْنِ إحْساناً . والإحْسانُ هُوَ البرُّ ، أيْ : أنْ يَعْطِفَ الإنْسانُ عَلَيْهِما ، ويَرْعاهُما حَقَّ الرِّعايةِ ، ويُطيعَهُما في غَيْرِ مَعْصيَةِ اللهِ تَعالى ، فَهُما قَدْ بَذَلا لِلْمَوْلودِ كُلَّ عِنايةٍ وعَطْفٍ ، وقاما على شُؤونِهِ عِنْدَما كانَ ضَعيفاً جاهِلاً عاجِزاً لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً ، ولا يَسْتَطيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْها ضُرّاً ، وقَدْ كَفِلاهُ حتَّى قَدِرَ على الاسْتِقْلالِ ، والقِيامِ بِشُؤونِ نَفْسِهِ ، وهَذا هُوَ الإحْسانُ مِنَ الوالِدَيْنِ تُجاهَ وَلَدِهِما ، ولِذا لابُدَّ مِنْ مُقابَلَةِ هذا الإحْسانِ بالإحْسانِ إليْهِما ، ولابُدَّ للإنْسانِ مِنْ أَنْ يَشْكُرَ كُلَّ مَنْ ساعَدَهُ ، ولَيْسَ هُناكَ أَحَدٌ أَحَقُّ بالشُّكْرِ مِنَ الوالِدَيْنِ بَعْدَ اللهِ تَعالى .

٣ـ وأَخَذَ عَلَيْهِمُ العَهْدَ بِأَنْ يُحْسِنوا إلى ذي القُرْبى ، لأنَّ الإحْسانَ إلَيْهِمْ يُقَوّي الرَّوابِطَ بَيْنَ النّاسِ ، إذْ إنَّ الأُمّةَ تَتَكَوَّنُ مِنْ مَجموعةِ الأُسَرِ ، وصَلاحُ هذهِ الأُسَرِ يَعْني صَلاحَ الأُمّةِ ، وفَسادُ الأُسَرِ يَعْني فَسادَ الأُمّةِ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ لا تَكونُ لَهُ أُمّةٌ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ خَيْرٌ لِوالِدَيْهِ وأَقْرِبائِهِ ، فلا يُرْجى مِنْهُ خَيْرٌ لأُمّتِهِ . ونِظامُ الفِطْرَةِ يَقْضي بِأَنَّ صِلَةَ القَرابةِ هِيَ أَمْتَنُ الصِّلاتِ ؛ لِذا جاءَ الدّينُ لِيُبيِّنَ حُقوقَ الأَقْربينَ .

٤ـ الإحسانُ لِلْيَتامى ؛ لأَنَّ الأَيْتامَ أعضاءٌ في جِسْمِ الأُمّةِ ، فإذا فَسَدَتْ أَخْلاقُهُمْ وساءَتْ أَحوالُهُمْ ، لا شَكَّ وصَلَ الفَسادُ إلى الأُمّةِ كُلِّها .

٥ـ وأَخَذَ عَلَيْهِمُ العَهْدَ بِأَنْ يَحْسِنوا إلى المَساكينِ ، وهُمُ العاجزونَ عَنْ كَسْبِ كِفايَتِهِمْ . والإحْسانُ إليْهِمْ يَكونُ بالصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ ومُواساتِهِمْ في البَأْساءِ والضَّرّاءِ ، ومَدِّ يَدِ العَوْنِ والمُساعَدَةِ لَهُمْ .

وهَكذا جاءَ أَمْرُ اللهِ بالإحْسانِ إلى الوالِدَيْنِ لِما لَهُما مِنْ فَضْلٍ على الإنْسانِ ، ثُمَّ الأَقارِبِ الّذينَ تَجْمَعُهُمْ بالإنْسانِ صِلَةُ قَرابَةٍ مِنْ جِهَةِ الأُمِّ أو مِنْ جِهَةِ الأبِ ، ثُمَّ اليتامى لأنَّهُمْ بأمسِّ الحاجَةِ إلى العَوْنِ ، لِفَقْدِهِمُ الأبَ الحاني ، ثُمَّ المساكينِ لِعَجْزِهِمْ عَنْ كَسْبِ ما يَكْفيهِمْ . بَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ سُبْحانَهُ بِأَنْ يَقولوا للنّاسِ حُسْناً ، وهَذا حَقُّ النّاسِ عامَّةً وهُوَ النَّصيحَةُ لَهُمْ ، والأَمْرُ بالمَعروفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ ، وحُسْنُ العِشْرَةِ ، والقَوْلُ الجَميلُ فيهِمْ .

٦ـ وأَمَرَهُمْ سُبْحانَهُ بإقامَةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ ، فلابُدَّ مِنَ المُداوَمَةِ على الصَّلاةِ بِخُشوعٍ ، والإخْلاصِ للهِ تَعالى ، ولابُدَّ مِنَ المُحافَظَةِ على أداءِ الزَّكاةِ لما فيها مِنْ تَطهيرٍ لِلْمالِ ، وإصْلاحٍ لِشُؤونِ المُجْتَمعاتِ . وهاتانِ العِبادتانِ إحْداهُما بَدَنِيَّةٌ والأُخْرى ماليةٌ ، ذَكَرَهُما سُبْحانَهُ وتَعالى لِعِظَمِهِما ، ولِكَوْنِهِما تُعينانِ الإنْسانَ على إحْسانِ صِلَتِهِ بالخالِقِ والمَخْلوقِ .

هَلِ الْتَزَمَ اليَهودُ بِهذِهِ العُهودِ ؟

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ هذِهِ العُهودَ الّتي أَخَذَها على بَني إسْرائيلَ بَيَّنَتِ الآيَةُ أَنَّهُمْ نَقَضوا عَهْدَ اللهِ ، وهَذِهِ هِيَ عادَتُهُمْ ، ولِذلِكَ قالَ تَعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ما كانَ مِنْكُمْ أيُّها اليَهودُ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْكُمُ الميثاقَ الّذي يُحَقِّقُ لَكُمُ السَّعادَةَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، ما كانَ مِنْكُمْ إلاّ أنَّكُمْ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ العَمَلِ بِهِ ، وأَنْتُمْ في حالَةِ الإعْراضِ عَنْهُ وعَدَمِ الاهْتِمامِ بِشَأْنِهِ ، تَوَلَّيْتُمْ إلاّ قَليلاً مِنْكُمْ ، وهذا فيهِ ما فيهِ مِنَ الإنْصافِ لأُولئِكَ الّذينَ حَفِظوا عَهْدَ اللهِ تَعالى وعَمِلوا بِهِ . ولا تَخْلو أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ مِنَ المُخْلِصينَ الّذينَ يُحافِظونَ على الحَقِّ ، ولَكِنَّ وُجودَ هذهِ القِلَّةِ لا يَمْنَعُ نُزولَ العِقابِ على الأُمَّةِ إذا فَشا فيها المُنْكَرُ وطَغى الأَكْثَرونَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ التَّوْحيدُ الخالِصُ يَعْني عِبادَةَ اللهِ تَعالى ، وَعَدَمَ الإشْراكِ بِهِ شَيْئاً .

٢ـ أَحَقُّ النّاسِ بالإحْسانِ هُمُ الوالِدانِ ، لما لَهُما مِنْ فَضْلِ الوِلادةِ والعَطْفِ والتَّرْبِيَةِ .

٣ـ الإحْسانُ إلى الأَقْرِباءِ يُقَوّي المَحبَّةَ والمودَّةَ بَيْنَ النّاسِ .

٤ـ صَلاحُ المُجْتَمعاتِ يَكونَ في العِنايةِ باليَتامى والحِفاظِ عَلى حُقوقِهِمْ ، والقِيامِ بِشُؤونِهِمْ ومُساعَدَةِ المَساكينِ .

٥ـ الأَمْرُ بالمَعْروفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ مِنْ واجِباتِ كُلِّ فَرْدٍ في المَجْتَمعِ المُسْلِمِ .

٦ـ بَقاءُ الأُمَّةِ عَزيزةً مَرْهوبةَ الجانِبِ يَكونُ بِمُحافَظَةِ الأُمَّةِ عَلى الأَخْلاقِ الفاضِلَةِ والعَمَلِ الصّالحِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما الصِّفاتُ الّتي يَتَّصِفُ بِها أَهْلُ الجَنَّةِ ؟

٢ـ هَلْ يَنْفَعُ الإنْسانَ إيمانٌ بلا عَمَلٍ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ الآياتِ .

٣ـ تَحدَّثَتِ الآياتُ عَنْ صِفَةٍ جُبِلَ عَلَيْها اليَهودُ ، ما تِلْكَ الصِّفَةُ ؟

٤ـ أَمَرَ اللهُ تَعالى بَني إسْرائيلَ بِتَوْحيدِهِ ، ما الّذي يَتضمَّنُهُ هذا التَوْحيدُ ؟

٥ـ لِماذا جاءَ الأَمْرُ بالإحْسانِ لِلْوالِدَيْنِ بَعْدَ الأَمْرِ بعبادةِ اللهِ مُباشَرَةً ؟

٦ـ مَنْ هَمُ المساكينُ واليَتامى ؟ وبِماذا أَمَرَنا القُرْآنُ تُجاهَهُمْ ؟

٧ـ ما المَقصودُ بِقولِهِ تَعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ ؟

٨ـ هَلِ الْتَزَمَ اليَهودُ بالعُهودِ الّتي أخَذَها اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ قارِنْ بَيْنَ ما جاءَ في حَقِّ بَني إسْرائيلَ ، وما جاءَ في حَقِّ المُؤْمِنينَ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ، مِنْ حيثُ : الإيمانُ ، والأعْمالُ ، والمَصيرُ . واكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورةِ الإسْراءِ الّتي تَأْمُرُ الإنْسانَ بالإحْسانِ إلى والديهِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَقْرَرْتُمْ : اعْتَرَفْتُمْ .

تَظاهَرونَ : تَتَعاونونَ .

الإِثْمِ : الفِعْلِ الَّذي يَستَحِقُّ صاحِبُهُ الذَّمَّ .

العُدوانِ : مُجاوَزَةُ الحدِّ في الظُّلْمِ .

أُسارى : جَمعُ أسيرٍ .

التَّفْسيرُ :

عَرَفْتَ مِنَ الآياتِ السّابِقَةِ ما أَمَرَ اللهُ تَعالى بِهِ بَني إسْرائيلَ ، وَهَذِهِ الآياتُ تُبَيِّنُ ما نَهى اللهُ تَعالى بَني إسْرائيلَ عَنْهُ ، وَأَخَذَ الميثاقَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ لا يَقرَبوا تِلْكَ المَنهِيّاتِ ، وَلَكِنَّهُمْ نَقَضوا العَهْدَ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

يَقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ ﴾ يُخاطِبُ اليَهودَ الّذينَ كانوا في عَهْدَ النَّبيِّ ﷺ ، يُذَكِّرُهُمْ بِما كانَ مِنْ سَلَفِهِمْ ، وَما أصابَهُمْ ، وَهُمْ إِنْ ساروا عَلى نَهْجِ السَّلَفِ فَسَيُصيبُهُمْ ما أصابَهُمْ كَذلِكَ ، إِنْ خَيراً فَخَيرٌ وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ .

أَخَذَ اللهُ الميثاقَ على بَني إسْرائيلَ ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ أَيْ : لا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، وَلا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ دارِهِ ، فَقَدْ جَعَلَ سُبْحانَهُ دَمَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِ الأُمَّةِ كَأَنَّهُ دَمُ الآخَرِ ، حَتّى إذا سَفَكَهُ كَأَنَّهُ قَتَلَ نَفْسَهُ ، وإذا أَخْرَجَهُ مِنْ دارِهِ كَأَنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ ، فَلا فَرْقَ بَيْنَ روحِهِ هُوَ وَدَمِهِ ، وروحِ أَخيهِ وَدَمِهِ .

وَيُبَيِّنُ سُبْحانَهُ بِأَنَّهُمْ قَدْ قَبِلوا العَمَلَ بِهذا الميثاقِ وَالتَزَموا بِهِ ، فَقَدِ اعْتَرَفوا بِهِ وَأَقَرّوهُ وَلَمْ يُنْكِروهُ ، فَكانَ مِنَ الواجِبِ عَلَيْهِمْ أَنْ يوفوا بِهذا العَهْدِ ، وَلكِنَّهُمْ نَقَضوهُ ، فَماذا فَعَلوا ؟

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

بَيَّنَ القرآنُ ما فَعَلوهُ ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ ﴾ ها أَنْتُمْ يَقْتُلُ بَعضُكُمْ بَعْضاً كَما كانَ يَفْعَلُ الّذينَ كانوا قَبْلَكُمْ ، فَقَدْ كانَ يَهودُ بَني قَيْنُقاع حَلَفاءَ لِلأَوْسِ وَأَعداءً لإخوانِهِمْ في الدِّينِ بَني قُرَيْظَةَ وَبَني النَّضيرِ ، فَكانوا يَقْتَتِلونَ ، وَكانَ كُلُّ فَريقٍ مِنَ اليَهودِ يُظاهِرُ حُلَفاءَهُ مِنَ العَرَبِ ، وَيُعاوِنُهُمْ عَلى إخوانِهِ مِنَ اليَهودِ بِالإِثْمِ كَالقَتْلِ والسَّلْبِ ، وَبِالعُدوانِ كَالإِخراجِ مِنَ الدِّيارِ .

وَالعَجيبُ في أَمْرِ هؤُلاءِ اليَهودِ أَنَّهُمْ كانوا إذا اتَّفَقوا عَلى فِداءِ الأَسْرى ، يَفْدي كُلُّ فَريقٍ مِنَ اليَهودِ أَسْرى أَبْناءِ جِنْسِهِ مِنَ اليَهودِ ، وَإِنْ كانوا مِنْ أَعْدائِهِ ، وَيَعْتَذِرونَ عَنْ هذا بِأَنَّهُمْ مَأْمورونَ في الكِتابِ بِفِداءِ أَسْرى شَعْبِ إِسْرائيلَ ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ ﴾ فَإِنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ يَأْسِروا عَدُوَّهُمْ مِنَ اليَهودِ ، يَفُكّونَ أَسْرَهُ بِدَفْعِ فِدائِهِ ، مَعَ أَنَّ هذا مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ ، لِكَوْنِهِمْ حالَفوا فَريقاً مِنَ العَرَبِ ، وَالحِلْفُ يَقْضي عَدَمَ خِداعِ مَنْ حالَفوهُ ، وَالقِتالَ مَعَهُمْ ، وَإِخْراجَ أَعْدائِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ . وَلِذلِكَ يَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ وَهُوَ قَضِيَّةُ فِداءِ الأَسرى ، ﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾ وَهُوَ ما نَهاهُمُ اللهُ عَنْهُ مِنْ قَتْلِ أَبْناءِ جِنْسِهِمْ وَإِخراجِهِمْ مِنْ دِيارِهِمْ . وما أَسْخَفَ هؤُلاءِ اليَهودَ ، وما

أَشَدَّ حماقَتَهُمْ ، فَهُمْ يَدَّعونَ الإيمانَ بِأُمورٍ هَيِّنَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ مَعْ ذلكَ يَكْفُرونَ بأمورٍ عَظيمَةٍ . إنَّ الإيمانَ لا يُمكِنُ أَنْ يَتَجَزَّأَ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِبَعْضِ ما وَرَدَ في كِتابِ اللهِ فَكَأَنَّهُ كَفَرَ بِكُلِّ ما في الكِتابِ . أَوْ يَكونُ مَعْنى : ﴿تُفادُوهُم﴾ تَأْخُذونَ الفِدْيَةَ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُم إِخراجُهُمْ أَصْلاً وَبِالتّالي افْتِداؤُهُمْ . واللهُ أَعْلَمُ .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وَيُبَيِّنُ سُبْحانَهُ وتَعالى العِقابَ الدُّنْيَوِيَّ والأُخْرَوِيَّ الّذي يَسْتَحِقُّهُ أُولئِكَ اليَهودُ الّذينَ يُؤْمِنونَ بِبَعْضِ الكِتابِ ، وَيَكْفُرونَ بِبَعْضٍ ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فَمَنْ يَنْقُضُ مَواثيقَ اللهِ تَعالى لَهُ الخِزْيُ والهَوانُ والعُقوبَةُ في هذِهِ الدُّنيا . وَقَدْ قَضَتْ سُنَّةُ اللهِ تَعالى بِأَنَّهُ ما مِنْ أُمَّةٍ خَرَجَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها إلاّ وَيَحِلُّ بِها الخِزْيُ وَالهَوانُ ويَتَفَرَّقُ شَمْلُها ، وَلَيْسَ هذا فَقَط ، وَلِكنَّ العُقوبَةَ الشَّديدَةَ تَنْتَظِرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ جَزاءَ طُغْيانِهِمْ وَإِصرارِهِمْ عَلى السَّيِّئاتِ ، وَتَفْريقِهِمْ لأَحكامِ دينِهِمْ ، وَلِكَوْنِهِمْ باعوا آخِرَتَهُمْ بِثَمَنٍ قَليلٍ زَهيدٍ في هذِهِ الدُّنْيا ، وَلِذلِكَ اسْتَحَقّوا العَذابَ الشَّديدَ ، وَلَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمُ العَذابُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَلَنْ يَجِدوا وَلِيّاً وَلا نَصيراً يَنْصُرُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الإيمانُ يَقْتَضي أَنْ يُؤْمِنَ الإنْسانُ بِكُلِّ ما جاءَ في كِتابِ اللهِ تَعالى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ دونَ تَفْريقٍ .

٢ـ الأُمَّةُ الَّتي تَخْرُجُ عَنْ شَرْعِ اللهِ تَعالى ، يُصيبُها الخِزْيُ وَالذُّلُّ وَالهَوانُ في الدُّنيا ، وَالعَذابُ في الآخِرَةِ .

٣ـ الأُمَّةُ المُسْلِمَةُ كَأَنَّها جَسَدٌ واحِدٌ ، إذا اشْتَكى مِنْهُ عَضْوٌ تَداعى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بَيِّنْ مَعنى المُفْرَداتِ التّاليةِ :

أَقْرَرْتُم ، تَظاهَرون ، العُدوانِ .

٢ـ ما مَعنى : ﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾ ؟

٣ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ قَوْلِهِ تعالى : ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ ؟ وهَلْ يُخْرِجُ الإِنسانُ نَفْسَهُ مِنْ دارِهِ ؟

٤ـ هَلْ قَبِلَ اليَهودُ العَمَلَ بِما أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِن ميثاقٍ ؟

٥ـ بَيَّنَتْ الآياتُ ما الَّذي كانَ مِنَ اليَهودِ بَعْدَ أَنْ قَبلوا العَمَلَ بالميثاقِ . وَضِّحْ ذلِكَ .

٦ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ تعالى : ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ ؟

٧ـ ما الجَزاءُ الَّذي أَعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِبَني إسْرائيلَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ ما رأيُكَ في المَرْأَةِ الَّتي تُصَلّي وتَخْرُجُ سافِرَةً مُتَبَرِّجَةً ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كِتابِ سيرَةِ ابْنِ هِشامٍ ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما حَلَّ بِيَهودِ بَني قَيْنُقاعٍ وَبَني النَّضيرِ وَبَني قُرَيْظَةَ مِنْ خِزْيٍ في الدُّنيا .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سُورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قَفَّيْنا : أَتْبَعنا .

البَيِّناتِ : الحُجَجَ الواضِحَةَ .

أَيَّدناهُ : قَوَّيناهُ .

روح القُدُسِ : جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

غُلْفٌ : جَمْعُ غِلافٍ ، أَو أَغْلَفٌ ، وَهُوَ القَلْبُ الّذي لا يَعي وَلا يَفْهَمُ .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعالى وَرَحْمَتِهِ بِالبَشَرِ ، أَنْ يَبْعَثَ لِلأُمَّةِ مَنْ يَعِظُها وَيُنْذِرُها ، لِتَتَّعِظَ وتَتَدبَّرَ ، فَإذا طالَ عَلَيْها الزَّمَنُ ، قَسَتْ قُلوبُ النّاسِ ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَوْعِظَةِ أَثَرٌ في نُفوسِهِمْ ، وَنَسوا ما أَمَرَهُمْ بِهِ اللهُ تَعالى ، وَحَرَّفوا كَلامَهُ ، وَهذا ما بَيَّنَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى في كِتابِهِ .

ولِهذا فَإِنَّهُ سُبْحانَهُ كانَ يُرْسِلُ الرُّسُلَ في كُلِّ أُمَّةٍ ، حَتَّى لا يَطولَ عَلى النّاسِ الزَّمَنُ دونَ بَشيرٍ وَنَذيرٍ ، وَلا يَعْرِفُ التَّاريخُ أُمَّةً جاءَها رُسُلٌ مُتَتابِعونَ بَعْضُهُمْ وَراءَ بَعْضٍ مِثْلَ بَني إِسْرائيلَ ، فَهُمُ الأُمَّةُ الّتي بُعِثَ لَها الرُّسُلُ الكَثيرونَ لَعَلَّهُمْ يَرْعَوونَ وَيَعودونَ إِلى شَرْعِ اللهِ تَعالى وَالعَمَلِ بِهِ ، وَلِذا جاءَتِ الآياتُ تُبَيِّنُ هذا الأَمْرَ ، بِأَنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنْزَلَ عَلى سَيِّدِنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ الكِتابَ وَهُوَ التَّوْراةُ ، لِهِدايَةِ بَني إِسْرائيلَ ، وَلِكنَّهُمْ حَرَّفوها ، وَبَدَّلوها ، وَخالَفوا أَمْرَ اللهِ ، فَأَتْبَعَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِرُسُلٍ كَثيرينَ .

وبَعَثَ لَهُمْ سَيِّدَنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَأَيَّدَهُ اللهُ تَعالى بِالحُجَجِ وَالبَراهينِ وَالآياتِ الّتي تَدُلُّ عَلى صِدْقِهِ ، وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ، وَأَكْرَمَهُ بِإِنزالِ الإِنْجيلِ ، وَأَيَّدَهُ بروحِ القُدُسِ سَيِّدِنا جِبْريلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ : فَأَضافَهُ إِلى أُمِّهِ رَدّاً عَلى الّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّ سَيِّدَنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَهُ أَبٌ .

هل آمَنَ بَنو إِسْرائيلَ بِالرُّسُلِ ؟

لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ لِبَني إِسْرائيلَ كَثيراً مِنَ الرُّسُلِ ، وَلِكنْ هَلْ آمَنوا بِهِمْ ؟ وَما مَوْقِفُهُمْ مِنَ الرُّسُلِ ؟ تُوَبِّخُ الآياتُ بَني إِسْرائيلَ لأَنَّهُمْ كُلَّما جاءَهُمْ رَسولٌ يُبَلِّغُهُمْ أَوامِرَ رَبِّهِمْ ، الّتي لا تَهواها نُفوسُهُمْ ولا تُحِبُّها ، اسْتَكْبَروا عَنِ اتِّباعِ هذا الرَّسولِ وَالإِيمانِ بِهِ ، وَلَمْ يَكْتَفوا بهذا فَقَط ، وَلكِنَّهُمْ كَذَّبوا بِبَعْضِ الرُّسُلِ ، وَقَتَلوا بَعْضَهُمْ ، فَلَقَدْ كَذَّبوا سَيِّدَنا عيسى وَمُحَمَّداً عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَقَتَلوا سَيِّدَنا زَكَرِيّا وَيَحْيى عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَغَيْرَهُما الكَثيرُ .

وَقَدْ عَبَّرَ القُرآنُ الكَريمُ عَنْ القَتْلِ بِصيغَةِ المُضارعِ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لاسْتِحضارِ هذِهِ الصُّورَةِ الفَظيعَةِ ، وَتَمثيلِها لِلقارِىءِ وَالسَّامِعِ حَتّى يَتَصَوَّرَها كَأَنَّها تَحْدُثُ أَمامَهُ الآنَ ، فَيَسْتَبْشِعُ وَيَسْتَنْكِرُ هذا الفِعْلَ مِنْ هؤلاءِ اليَهودِ .

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

لَقَدْ طُبِعَ هَؤلاءِ اليَهودُ عَلى المُحاجَّةِ والمُعانَدَةِ ، وَلِذلِكَ سَجَّلَ عَلَيْهِمُ القُرآنُ قَوْلَهُمْ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ﴾ يَعْنونَ بِذلِكَ أَنَّهُمْ لا يَعْقِلونَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ ولا يَفْهَمونَهُ ، كَأَنَّ عَلى قُلوبِهِمْ غِطاءٌ يَحولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الفَهْمِ ؛ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بِقَوْلِهِ : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ وَبَلْ : لِلإِضْرابِ ، أَيْ :أَنَّ قُلوبَهُمْ لَيْسَتْ غُلْفاً لا تَفْهَمُ الحَقَّ بِطَبْعِها ، وَلكِنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الّذي لَعَنَهُمْ ، أَيْ : أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَذلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بالأَنْبياءِ السَّابِقينَ ، وَبِالكِتابِ الّذي أُمِروا بِالعَمَلِ بِهِ ، فَتَرَكوهُ وَحَرَّفوهُ اتِّباعاً لأَهْوائِهِمْ ، وَهذا العَمَلُ كانَ سَبَباً لِقِلَّةِ إيمانِهِمْ ، فَهُمْ يُؤْمِنونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وَيُحَرِّفونَ بَعْضَهُ الآخَرَ ، وَيَتْرُكونَ العَمَلَ بِهِ ، وإيمانُهُمْ إِنَّما هُوَ قَوْلٌ بِلِسانِهِمْ تُكَذِّبُهُ أَعْمالُهُمْ ، فَلَيْسَ لِهذا

الإيمانِ سُلطانٌ عَلى قُلوبِهِمْ ، حَتّى يَكونَ المُحَرِّكَ لَهُمْ فَتَكونَ أَعمالُهُمْ صالِحَةً ، وَلكِنَّ الّذي يُحَرِّكُهُمْ هَواهُمْ وَشَهواتُهُمْ ، وَهذا الإيمانُ لا قيمةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِالبَشَرِ ، أَنَّهُ يَبْعَثُ لَهُمُ الرُّسُلَ ويُنَزِّلُ لَهُمُ الكُتُبَ لِهِدايَتِهِمْ ، وَلإِخْراجِهِمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ .

٢ـ الإيمانُ الَّذي يَكونُ قَوْلاً فَقَط ، وَلَمْ يُقِرَّهُ القَلْبُ ويُصَدِّقْهُ العَمَلُ ، إيمانٌ لا قيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعالى .

٣ـ المكَذِّبونَ لأَنْبياءِ اللهِ ، وَلِما وَرَدَ في كِتابِ اللهِ تَعالى مَلْعونونَ مَطْرودونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بَيِّنْ معنى المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، أَيَّدْناهُ بِروحِ القُدُسِ ، قُلوبُنا غُلْفٌ ، لَعَنَهُمْ .

٢ـ ما سُنَّةُ اللهِ تَعالى لِهِدايَةِ البَشَرِ ؟

٣ـ اذْكُرِ اسْمَ رَسولَيْنِ جاءا بَعْدَ سَيِّدِنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

٤ـ لِماذا أَضافَ سُبْحانَهُ وتَعالى عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى أُمِّهِ ؟

٥ـ بَيَّنَتِ الآياتُ مَوْقِفَ اليَهودِ مِنْ رُسُلِ اللهِ تَعالى . وَضِّحْهُ مِنْ خِلالِ الآياتِ .

٦ـ طُبِعَ اليَهودُ عَلى المُجادَلَةِ وَالمعانَدَةِ ، بَيِّنْ صورَةً لِذلِكَ مِنَ الآياتِ .

٧ـ ما مَعنى قَولِهِ تَعالى : ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ؟



١ـ ارْجِعْ إلى سورَةِ الحَديدِ ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الَّتي تَأْمُرُ المُؤْمِنينَ ألاّ يَكونوا مِثْلَ أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ طالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَنُ وقَسَتْ قُلوبُهُمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خَمْسَةً مِنْ أَنْبياءِ بَني إِسْرائيلَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثاً مِنَ المُعْجِزاتِ الَّتي أَيَّدَ اللهُ بِها سَيِّدَنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سُورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ والعِشْرونَ

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَسْتَفْتِحونَ : يَسْتَنْصِرونَ .

اشْتَرَوْا : باعوا .

بَغْياً : ظُلْماً وَحَسَداً .

باءوا : رَجَعوا .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ حَقيقَةِ ما عَلَيْهِ يَهودُ ، فَجاءَتْ هذِهِ الآياتُ تُبَيِّنُ رَذيلَةً أُخْرى مِنْ رَذائِلِهِمْ ، ألا وَهِيَ كَراهِيَّتُهُمُ الخَيْرَ لِلنّاسِ ، وَذلِكَ لِما يَتَمَتَّعونَ بِهِ مِنَ الأَنانِيَّةِ وَحُبِّ النَّفْسِ ، وَسَبَبُ هذا كُلِّهِ جُحودُهُمْ لِلْحَقِّ .

فالآياتُ الكَريمَةُ تُبيّنُ أَنَّهُ لَمّا جاءَ النَّبيُّ ﷺ وَمَعَهُ القُرآنُ الكريمُ الَّذي أَكرَمَهُ بِهِ اللهُ تَعالى وَأَكْرَمَ بِهِ النّاسَ ، وَكانَ هذا القُرآنُ مُصَدِّقاً لِما وَرَدَ في التَّوراةِ الَّتي مَعَهُمْ ، أَيْ : جاءَ يُؤَيِّدُها وَيُوافِقُها في أُصولِ الدينِ ، وما يَخْتَصُّ بِبِعْثَةِ النَّبيِّ ﷺ وَصِفَتِهِ ، حَيْثُ وَرَدَ في التَّوراةِ صِفاتُ النَّبيِّ المَبْعوثِ فَعَرَفَها اليَهودُ ، وَقَدْ كانوا إِذا حَصَلَ نِزاعٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدائِهِمْ مِنَ الوَثَنِيّينَ يَسْتَنْصِرونَ عَلَيْهِمْ بِالنَّبيِّ المُنْتَظَرِ ، الَّذي وَرَدَ وَصْفُهُ في التَّوراةِ ، وَيَدْعونَ اللهَ تَعالى أَنْ يَنْصُرَهُمْ بِهذا النَّبيِّ عَلى أَعدائِهِمْ .

وَمَعَ مِنْ أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ بِأَنَّ هُناكَ نَبيّاً سَيَجيءُ ، وَمَعَهُ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، مَعَ ذلِكَ لَمّا جاءَهُمْ هذا الَّذي عَرَفوهُ كَفَروا بِهِ وَجَحَدوهُ ، وَالواجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَيِّدوا هذِهِ المَعْرِفَةَ بِالإيمانِ بِهِ ، وَلكِنَّ خَوْفَهُمْ وَحِرْصَهُمْ على الجاهِ والمالِ ، وَلأَنَّ الرَّسولَ جاءَ مِنَ العَرَبِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ ، كُلُّ هذا جَعَلَهُمْ يَكْفُرونَ بِهِ ، وَلِذا وَبِسَبَبِ كُفْرِهِمْ حَلَّتْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ مِنَ اللهِ ، واسْتَحَقّوا الإِبْعادَ والطَّرْدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى .

وَقَدْ وَرَدَتْ في الآيَةِ كَلِمَةُ (كِتابٌ) في قَوْلِهِ : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾ نَكِرَةً ، وَالتَّنْكيرُ هُنا زِيادَةٌ في التَّعْظيمِ وَالتَّشْريفِ لِهذا القُرآنِ الكَريمِ . وَقالَ تَعالى في وَصْفِ الكِتابِ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ زِيادَةً في مَذَمَّةِ اليَهودِ ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكْفُروا بِما يُخالِفُ كِتابَهُمْ ، وَلكِنَّهُمْ كَفَروا بِما يُوافِقُ الكِتابَ .

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

وَهؤلاءِ اليَهودُ هُيِّئَتْ لَهُمُ الأَسْبابُ لِيَكونوا مِنَ المُؤْمِنينَ ، وَلكِنَّهُمُ اسْتَمَرّوا في الكُفْرِ بَغْياً وَحَسَداً وَحُبّاً في الرِّياسَةِ ، وَتَعَصُّباً لِجِنْسِهِمْ ، وَلِذا كانَ اخْتِيارُهُمْ لِلْكُفْرِ عَلى الإيمانِ ، بِمَنْزِلَةِ اخْتِيارِهِمُ الثَّمَنَ المَقْبوضَ عَلى السِّلْعَةِ ، فَأَنْفُسُهُمْ بِمَنْزِلَةِ السِّلْعَةِ ، وَكُفْرُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الثَّمَنِ المَقْبوضِ ، وَهُمُ اخْتاروا هذا الثَّمَنَ ، فَبِئْسَ ما اخْتاروهُ .

وقَدْ عَبَّرَ سُبْحانَهُ بِصيغَةِ المُضارِعِ ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ لِيَدُلَّ عَلى هذِهِ الطَّبيعَةِ الَّتي فيهِمْ ، فَكُفْرُهُمْ مُتَجَدِّدٌ وَمُسْتَمِرٌّ ، وما زالوا مُنْحَرِفينَ عَنِ المَسْلَكِ الصَّحيحِ . وهذا الكُفْرُ كانَ بِدافِعِ الحِقْدِ وكَراهِيَّةِ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ الوَحيَ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، والحَسَدُ هُوَ تَمَنّي زَوالِ النِّعْمَةِ عَنِ الآخَرينَ وَهؤلاءِ حَسَدوا النَّبيَّ ﷺ عَلى نِعْمَةِ النُّبُوَّةِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وكانَ مِنَ العَرَبِ .

ما مَصيرُهُمْ إِزاءَ تَكْذيبِهِمْ بِالرَّسولِ ﷺ ؟

يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ وتَعالى في الآياتِ مَصيرَ هؤلاءِ اليَهودِ ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أَيْ : رَجَعوا مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ وحَسَدِهِمْ لِلنَّبيِّ ﷺ مَصحوبينَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، إِضافَةً إِلى الغَضَبِ الَّذي لَحِقَهُمْ مِنْ قَبْلُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِموسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَقَدْ ذَكَرَتْ آياتُ سُورَةِ البَقَرَةِ هذا الغَضَبَ الَّذي

لَحِقَهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

هذا الغَضَبُ المُزْدَوَجُ مِنَ اللهِ تَعالى يُصاحِبُهُ إهانَةٌ وَذلٌّ بِسَبَبِ كُفْرِهِم ، ولِذا قالَ ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ : (وَلَهُمْ) ، لِيُسَجِّلَ سَبَبَ هذا العَذابِ وعِلَّتَهُ ، وَهُوَ الكُفْرُ . وَهذا العَذابُ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَإذا أَذْنَبَتْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ أُتْبِعَ هذا الذَّنْبُ بِالعُقوبَةِ مِنَ اللهِ ، لِكَيْ يَعْتَبِرَ المُتَأَخِّرونَ بِما أَصابَ المُتَقَدِّمينَ .

حُجَجُ اليَهودِ لِعَدَمِ إيمانِهِمْ بِالقُرآنِ الكَريمِ :

إنَّ مِنْ عادَةِ اليَهودِ العِنادَ وَتَقديمَ الحُجَجِ والاعتِذاراتِ ، وَقَدْ عَرَفْنا مِنْ قَبْلُ بِأَنَّهُمْ اعْتَذَروا بِأَنَّ قُلوبَهُمْ غُلْفٌ لا تَعي ، ولا تَفْهَمُ شَيْئاً ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بِقَوْلِهِ :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) ﴾ .

وهُنا يُبْدونَ عُذْراً آخَرَ لِعَدَمِ إيمانِهِمْ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ يَقولُ سُبْحانَهُ وَتَعالى : إذ قيلَ لِهؤلاءِ اليَهودِ آمِنوا بِالقُرْآنِ الكَريمِ الَّذي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى عَلى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، والآياتُ ذَكَرَتْ المُنْزِلَ وَهُوَ اللهُ ، وَلَمْ تَذْكُرِ المُنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، لِكَوْنِ الأَمْرِ مَعلوماً لِلجَميعِ ، أَوْ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الَّذي يُؤْمِنُ بِالكِتابِ لابُدَّ وأَنْ يُؤْمِنَ بِالمُنْزَلِ عَلَيْهِ كَذلِكَ . هؤُلاءِ إذا قيلَ لَهُمْ ذلِكَ ، اعْتَذَروا بِقَوْلِهِم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ أَيْ : نَحْنُ نُؤْمِنُ بِالتَّوْراةِ ، لأَنَّها أُنْزِلَتْ عَلَيْنا ، وَلكِنّا لا نُؤْمِنُ بِالقُرْآنِ المُنْزَلِ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ ، لأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلى العَرَبِ وَلَيْسَ عَلَيْنا ، وَلِذا يُوَبِّخُهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أَيْ : وَالحالُ أَنَّهُمْ يَكْفُرونَ بِما سِوى التَّوْراةِ ، وَبِما جاءَ بَعْدَها مِنْ كُتُبِ اللهِ تَعالى وَهُوَ القُرْآنُ الكَريمُ ، مَعَ أَنَّ القُرْآنَ الكَريمَ جاءَ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ ، أَيْ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلى نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، لأَنَّ التَّوْراةَ بَشَّرَتْ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَهؤُلاءِ اليَهودُ إذَنْ كاذِبونَ في دَعْواهُمْ ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ الَّذي بَشَّرَتْ بِهِ تَوراتُهُمْ ، فَكَيْفَ يَكونُ الإيمانُ بِكِتابِهِمْ باعِثاً عَلى الإيمانِ بِما هُوَ حَقٌّ مِثْلُهُ ؟ لا بَلْ هُوَ الحَقُّ كُلُّهُ ، هَلْ يُعارِضُ الحَقُّ الحَقَّ ، حَتّى يَكونَ الإيمانُ بِأَحَدِهِما موجِباً لِلكُفْرِ بِالآخَرِ ؟ ؟

ولِذا يَأْمُرُ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُوَبِّخَ أُولئِكَ اليَهودَ الَّذينَ يَدَّعونَ الإيمانَ بِكِتابِهِمْ ، وَمَعَ ذلِكَ يُخالِفونَهُ في أُمورٍ كَثيرَةٍ ، فَيَقولُ : قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ : إنْ كُنْتُمْ كَما تَدَّعونَ تُؤْمِنونَ بِكِتابِكُمُ الَّذي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ ، فَلِماذا قَتَلْتُمْ أَنْبِياءَ اللهِ تَعالى مِنْ قَبْلُ ، مَعَ أَنَّ التَّوْراةَ حَرَّمَتْ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُمْ وَأَمَرَتْكُمْ بِاتِّباعِهِمْ ؟ إنَّ قَتْلَكُمْ لَهُمْ لَهُوَ أَكْبَرُ دَليلٍ عَلى أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مُؤْمِنينَ كَما تَدَّعونَ .

وَقَدْ عَبَّرَ سُبْحانَهُ عَنِ القَتْلِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ (تَقْتُلونَ) بَدَلَ الفِعْلِ الماضي (قَتَلْتُمْ) ، مَعَ أَنَّ

القتْلَ كانَ مِنْ آبائِهِمْ في الماضي ، وذلِكَ لاسْتِحْضارِ هذِهِ الصّورَةِ كَأَنَّها تَحْدُثُ الآنَ ، وَكَأَنَّهُمْ ما زالوا يَقْتُلونَ ، وذلِكَ أَنَّ اليهودَ في عَصْرِ النَّبيِّ ﷺ ساروا عَلى طَريقِ أَسْلافِهِمْ وآبائِهِمْ نَفْسِهِ ، راضونَ عَنْ قَتْلِ أَسْلافِهِمْ لِلأَنْبياءِ ، وما داموا راضينَ عَنْهُمْ فَهُمْ في مَنْزِلَةِ القاتِلينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُسْلِمُ يُطَهِّرُ نَفْسَهُ مِنَ الحَسَدِ وَالحِقْدِ وَالكَراهِيَةِ والبُغْضِ لِلآخَرينَ .

٢ـ الّذي يَرضى بِالمُنْكَراتِ ، وإِنْ لَمْ يَقْتَرِفْها ، هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فَعَلَها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعاني المُفْرداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَسْتَفْتِحونَ ، باءوا ، بَغْياً ، كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ .

٢ـ هَلْ كانَ اليَهودُ يَعلَمونَ بِأَنَّ نَبيّاً سَيُبْعَثُ لَهُمْ بَعْدَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ بِماذا كانَ اليَهودُ يُهدِّدونَ أَعْداءَهُمْ قَبْلَ مَجيءِ النَّبيِّ ﷺ ؟

٤ـ لِماذا وَرَدَتْ كَلِمَةُ (كِتابٌ) نَكِرَةً في قَوْلِهِ : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُم كِتَابٌ﴾ ؟

٥ـ ما مَوْقِفُ اليَهودِ مِنْ بَعْثِ النَّبيِّ ﷺ ؟

٦ـ اسْتَنْتِجْ سَبَبَ تَكذيبِ اليَهودِ بِالرَّسولِ ﷺ .

٧ـ ما مَصيرُ اليَهودِ لِتَكْذيبِهِمْ بِالرَّسولِ ﷺ ؟

٨ـ يَدَّعي اليَهودُ أَنَّ عَدَمَ إيمانِهِمْ بِالقُرآنِ الكَريمِ كانَ لِسَبَبٍ ما . ما هُوَ ذلِكَ السَّبَبُ في رَأْيِهِمْ ؟

٩ـ بِماذا وَبَّخَ النَّبيُّ ﷺ هؤُلاءِ اليَهودَ ؟

١٠ـ هَلْ قَتَلَ اليَهودُ في عَصْرِ النَّبيِّ ﷺ الأَنْبياءَ ؟ وَضِّحْ لِماذا قالَ لَهُمْ : ﴿فَلِمَ تَقتُلُونَ﴾ ؟

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ البَقَرةِ - القِسْمُ الخامِسُ والعِشْرونَ

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

البيِّنات : المُعْجزاتِ الواضِحاتِ .

اتَّخذْتُمُ العِجْلَ : جَعَلْتُموهُ إلهاً تَعْبُدونَهُ مِنْ دونِ اللهِ .

أُشْرِبوا في قُلوبِهِمُ العِجْلَ : امْتَزَجَ حُبُّ عِبادَةِ العِجْلِ بِقُلوبِهِمْ .

التَّفْسيرُ :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

إنَّ رَذائِلَ هؤُلاءِ اليَهودِ كَثيرةٌ ، تُنْبِىءُ عمّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ نُفوسُهُمْ مِنْ بُغْضٍ لِلحَقِّ وكَراهيةٍ لَهُ ، وجُحودٍ وعِنادٍ ، وَلِذا تَجِدُ هذهِ الآياتِ الكَثيرةَ تُحَدِّثُنا عَنْهُمْ ، حَتّى نَعرِفَهُم ونَحْذَرَهُم ، وَلكِنَّنا مَعَ ذلِكَ ما زِلْنا نَأْمَلُ بِسَلامٍ مَعَهُمْ ، وَما نَزالُ نَأْمَلُ بِخَيرٍ مِنْهُمْ ، ولَنْ يكونَ هذا أبَداً ، فَإذا كانَ هذا فِعْلُهُمُ الَّذي حَدَّثَتْنا الآياتُ عَنْهُ مَعَ أَنْبِيائِهِمْ ، فَكَيْفَ يَكونونَ مَعَ المُسلمينَ اليَومَ ؟!! وآياتُ الدَّرْسِ تُبَيِّنُ شَيْئاً مِنْ أَخْلاقِهِمْ ، فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى لَهُمْ سَيِّدَنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ الَّذي أَيَّدَهُ بِالمُعجزاتِ الدّالَّةِ على صِدْقِهِ ، وَما أَكْثَرَها .

وهذهِ كُلُّها قَدْ سَمّاها اللهُ تَعالى(بيِّناتٍ) ، لأنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ أَنْ يَأتِيَ بِها ، وَهِيَ واضِحَةٌ في الدَّلالَةِ على صِدْقِ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَأَنَّ الَّذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ ، لكِنَّهُمْ ما لَبِثوا أَن اتَّخَذوا العِجْلَ إلهاً عَبَدوهُ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمْ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِميقاتِ رَبِّهِ ، لِيأْتِيَهُمْ بِتعاليمِ دينِ اللهِ الَّذي جاءَهُمْ بِهِ .

لَقَدْ عَبَدوا العِجْلَ الَّذي صَنَعَهُ لَهُمُ السّامِرِيُّ مِنَ الحِليِّ والذَّهَبِ ، ذلِكَ العِجْلَ الَّذي لا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً ، عَبَدوهُ وَهُمْ ظالِمونَ لأَنْفُسِهِمْ ، وَساروا في طَريقِ الضَّلالِ ، وتَرَكوا عِبادَةَ اللهِ الَّذي أَكْرَمَهُمْ بِما أَكْرَمَهُمْ بِهِ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الكَثيرَةِ . عَبَدوا عِجْلاً جَماداً صَنَعوهُ بِأَيديهِمْ لا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً ولا نَفعاً ، عَبَدوهُ وَهُمْ ظالِمونَ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

لَقَدْ أَخَذَ اللهُ تَعالى المِيثاقَ على هؤُلاءِ اليَهودِ أَنْ يَعْمَلوا بِما وَرَدَ في التَّوراةِ مِنْ أَحْكامٍ ، ويُؤمِنوا بِكُلِّ ما وَرَدَ فيها ، وَأَيَّدَهُمْ بِآيَةٍ عَظيمَةٍ مِنْ آياتِهِ سُبْحانَهُ ، لِكَيْ يُقَوِّيَ إيمانَهُمْ وَيَتَقَبَّلوا ما وَرَدَ في التَّوراةِ بِرَغبَةٍ مِنْهُمْ ، هذِهِ الآيَةُ هِيَ رَفْعُ الطّورِ فَوْقَهُمْ كَما تَحَدَّثَتِ الآياتُ مِنْ قَبْلُ ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بِقَولِهِ : ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ أَمَرَهُمْ بِالفَهْمِ لِما وَرَدَ في التَّوراةِ والطّاعَةِ لَها ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ في آيَةٍ أُخرى سَبَقَتْ في هذِهِ السورَةِ فَقَط بِحِفْظِ ما وَرَدَ في التَّوراةِ بِقَولِهِ : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾ ، والمَقْصودُ بِقَولِهِ : (اسْمعوا) سَماعاً بِتَدَبُّرٍ يَتْبَعُهُ اسْتِجابَةٌ للأَمْرِ .

وَلكِنْ بِماذا أَجابوا ؟ وَماذا كانَ رَدُّهُمْ ؟ لَقَدْ قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ فَهُمْ قَدْ قَبِلوا المِيثاقَ وَفَهِموهُ ، ولكِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلوا بِما وَرَدَ فيهِ ، وتَلَقَّوْهُ بِالعِصيانِ ، فَلِسانُ حالِهِمْ يَقولُ : نَحْنُ قَدْ سَمِعْنا وفَهِمْنا ما قُلْتَهُ لَنا ، ولكِنَّنا عَصَينا أوامِرَكَ ، ولَنْ نُطيعَكَ فيما تَقولُهُ لَنا وتَأْمُرُنا بِهِ .

ومِنْ أَسْوأ مَعاصيهِمُ الّتي عَصوا اللهَ بِها عِبادَتُهُمْ للعِجْلِ ، حَتّى خالَطَ وَمَزَجَ حُبُّ العِجْلِ قُلوبَهُمْ ، وهذِهِ اسْتِعاراتُ القُرآنِ الكَريمِ ، فَقَدْ شَبَّهَ حُبَّهَمْ للعِجْلِ الَّذي خالَطَ نُفوسَهُمْ حَتّى اسْتَقَرَّ في قُلوبِهِمْ بِالشَّرابِ الَّذي يُحِبُّهُ الإنسانُ فَيَشرَبُهُ ، ويُخالِطُ هذا الشَّرابُ جَسَدَهُ فَيَسري في شَرايينِهِ .

وقَدْ عَبَّرَتِ الآياتُ عَنْ حُبِّهِمْ للعِجْلِ بِ(أُشْرِبوا) ، لِتَدُلَّ على أنَّ حُبَّهُمْ لَهُ بَلَغَ مَبلَغاً كَبيراً ، فَصارَ يَسري في قُلوبِهِمْ ، فَكَأَنَّ أَحَداً أَشْرَبَهُمْ هذا الحُبَّ لِلعِجْلِ ، وقالَ : (بِكُفْرِهِمْ) لِيَدُلَّ على أَنَّ حُبَّهُمْ لِلعِجْلِ ناشِيءٌ عَنْ كُفْرِهِمْ وَجُحودِهِمْ ، فَهُوَ كُفْرٌ قَدْ سَبَقَهُ كُفْرٌ وَجُحودٌ .

وَيَأْمُرُ اللهُ تَعالى النَّبيَّ ﷺ بِتوبيخِ هؤُلاءِ اليَهودِ بِقَولِهِ : ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ مُوَبِّخاً لَهُمْ : بِئسَ هذا الإيمانُ الَّذي تَدَّعونَهُ ، والَّذي يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْتُلوا الأنبياءَ ، وتَعْبُدوا العِجْلَ ، وتَعْصوا أَوامِرَ اللهِ تَعالى ، وتُكَذِّبوا بالقُرآنِ الكَريمِ وبالنَّبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ .

لَقَدْ ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابقةُ في سورَةِ البَقَرَةِ قَضِيَّةَ عِبادَةِ اليَهودِ العِجْلَ ، وأَخْذَ الميثاقِ عَلَيْهِمْ ، وَرَفْعَ الطّورِ ، وذُكِرَتْ هُنا كَذلِكَ ، وَلكنْ هذا لَيسَ مِنْ قَبيلِ التَّكرارِ ؛ فَالعِباراتُ والأسلوبُ كُلٌّ مِنْها مُخْتَلِفٌ ، والسِّياقُ كذلكَ مختَلِفٌ ، فَقَد كانَ السِّياقُ مِن قَبْلُ سِياقَ ذِكْرٍ للنِّعَمِ الَّتي أَنْعَمَها اللهُ عَلَيْهِمْ ، ولَكِنَّهم قابَلوا هذه النِّعَمَ بِاتِّخاذِ العِجْلِ ، وفي هذهِ الآياتِ ، يُبَيِّنُ بِأَنَّ اللهَ تَعالى أَرسلَ لَهُمُ المُعْجِزاتِ الواضِحاتِ البيِّناتِ لِيُقَوِّيَ إيمانَهُمْ ، وَيَزدادَ اعْتِصامُهُمْ بِدينِ اللهِ ، ولكِنَّهُمْ كَفَروا بِها ، واتَّبَعوا أَهواءَهُمْ وشَياطينَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الَّذي يَسيرُ في طَريقِ الضَّلالِ وَالجُحودِ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ .

٢ـ الإِيمانُ بِاللهِ يَقْتَضي إِطاعَتَهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى في كُلِّ ما يَأْمُرُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما الآياتُ البَيِّناتِ الّتي أَيَّدَ اللهُ تَعالى بِها سَيِّدَنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؟

٢ـ لِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى المُعْجِزَةَ ، بِأَنَّها بَيِّنَةٌ ؟

٣ـ ما الجَريمَةُ الشَّنيعَةُ الّتي ارْتَكَبَها اليَهودُ في حَقِّ رَبِّهِمْ ؟

٤ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى أُولئِكَ الَّذينَ عَبَدوا العِجْلَ ؟

٥ـ ما الَّذي أَخَذَهُ اللهُ عَلى بَني إِسْرائيلَ ؟

٦ـ أَيَّدَ اللهُ تَعالى بَني إِسْرائيلِ بِآيَةٍ عَظيمَةٍ ، ما هِيَ ؟ وَما الحِكْمَةُ مِنها ؟

٧ـ أ ـ بِمَ أَمَرَ اللهُ تَعالى بَني إِسْرائيلَ بَعْدَ أَنْ رَفَعَ فَوْقَهُمُ الطّورَ ؟

ب ـ هَلْ التَزَموا بِأَوامِرِ اللهِ تَعالى ؟ وَضِّحْ ذلِكَ .

٨ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ ؟ ولِماذا عَبَّرَ بِهذِهِ الصّيغَةِ ؟

٩ـ بَيِّنْ نَوْعَ البَيانِ في كَلِمَةِ (أُشْرِبوا).

١٠ـ هَلْ يُمْكِنُ وَصْفُ اليَهودِ بِأَنَّهُمْ مُؤْمِنونَ ؟ وَبِمَ وَصَفَ اللهُ إيمانَهُمْ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ آياتٍ جاءَ بِها موسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

* * *

الدَّرْسُ الثّامِنُ والعِشْرونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والعِشْرونَ

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خالِصَةً : سالِمَةً مِنَ الشَّوائِبِ .

حَياةٍ : الحَياةِ الدُّنْيا .

يُعَمَّرُ : يَطولُ عُمْرُهُ .

بِمُزَحْزِحِهِ : مُبْعِدِهِ .

التَّفسيرُ :

عَرَفْنا مِنْ قَبْلُ أَنَّ اليَهودَ ادَّعَوْا بِأَنَّهُمْ شَعْبُ اللهِ المُخْتارُ ، وَأَنَّهُمْ لَنْ تَمَسَّهُمُ النّارُ إلاّ أَيّاماً مَعدوداتٍ ، وَبِالتّالي لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاّ مَنْ كانَ يَهودِيّاً ؛ وَجاءَتْ هذِهِ الآياتُ تُحاجِجُ أُولئِكَ اليَهودَ في ادِّعائِهِمْ هذا .

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ .

يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى : ، قُلْ يا مُحَمَّدُ ﷺ لأُولئِكَ الّذينَ يَدَّعونَ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ ،

وَسَتكونُ هذه الجَنَّةُ لَهُمْ وَحْدَهُمْ مِنْ دونِ النّاسِ ، قُلْ لَهُمْ : إنْ كانَ الأَمْرُ كَما تَقولونَ فَتَمَنَّوْا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ فيما تَدَّعونَ . وَالتَّمَنّي هُوَ ارتياحُ النَّفْسِ وَرَغْبَتُها القَوِيَّةُ في الشَّيْءِ ، بِحَيْثُ أَنَّها تُريدُهُ ، وَتُحِبُّ أَنْ يَصيرَ لَها ، ويُمْكِنُ أَنْ يَكونَ تَمنّي الأَمْرِ بالقَلْبِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ باللِّسانِ ، وَالمَقْصودُ هُنا التَّمنّي باللِّسانِ ، أَيْ اذْكُروا بِأَلْسِنَتِكُمْ أَيُّها اليَهودُ لَفْظاً يَدُلُّ على أَنَّكُمْ تُحِبّونَ المَوْتَ ، وَلا تَرْغَبونَ في هذهِ الحياةِ الدُّنْيا ، وَأَنَّكُمْ تُريدونَ أَنْ تُقْبِلوا عَلى اللهِ تَعالى لِتنالوا ثَوابَهُ وَنَعيمَهُ ، وَذلِكَ أَنَّ ما في الدُّنيا قَليلٌ وَحَقيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِما في الآخِرَةِ ، فَمَنْ أَحَبَّ الآخِرَةَ تَمَنّى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَيْها .

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وَتُبيِّنُ الآياتُ القُرآنِيَّةُ أَنَّ اليَهودَ لَنْ يَتَمنَّوْا المَوْتَ أَبَداً ، لا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلا بِقُلوبِهِمْ ، وذلِكَ بِسَبَبِ ما اقْتَرَفَتْهُ أَيْديهِمْ مِنْ آثامٍ وَشُرورٍ ، كَما حَدَّثَتْنا الآياتُ مِنْ قَبْلُ ، فَقَدْ كَذَّبوا رَسولَهُمْ ، وَجَحَدوا نِعْمَةَ اللهِ تَعالى ، وَعَبَدوا العِجْلَ ، وَقَتَلوا أَنْبِياءَهُمْ ، وَمَنْ فَعَلَ كُلَّ هذهِ الآثامِ ، لا يُمْكِنُ أَنْ يُحِبَّ المَوْتَ أَوْ يَتَمنّاهُ ، وَاللهُ عَليمٌ بِهؤُلاءِ الظّالِمينَ لدينِ اللهِ ولأَنْفُسِهِمْ وَلِلْحَقِّ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ مِنْ سَيِّئاتِهِمْ واعتِداءاتِهِمْ .

وهذهِ الآيَةُ نَفَتْ تَمنيَ اليَهودَ المَوْتَ بِكَلِمَةِ (لَنْ) الّتي تُفيدُ التَّأْبيدَ ، أَيْ : لَنْ يَتَمنَّوْهُ أَبَداً لا عاجِلاً وَلا آجِلاً . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قَوْلُهُ : (لَوْ تَمنَوْا المَوْتَ لَشَرِقَ أَحَدُهُمْ بريقِهِ) . وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « لَوْ أَنَّ اليَهودَ تَمَنَّوْا المَوْتَ لَماتوا ، وَلَرَأَوْا مَقاعِدَهُمْ مِنَ النّارِ »[1] .

وفي الآيَةِ إِعْجازٌ غَيْبِيٌّ ، إِذْ أَخْبَرَتْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمنَّوْا المَوْتَ ، وهذا ما كانَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَمَنّوْا المَوْتَ لَنَقَلَ أَهْلُ الكِتابِ وَغَيْرُهُمْ هذا الأَمْرَ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ ذلِكَ .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

وَبيَّنَتِ الآياتُ بَعْدَ ذلِكَ حَقيقَةَ هؤُلاءِ اليَهودِ ، في حُبِّ الخُلودِ إلى الأَرْضِ ، وَحُبِّ البَقاءِ في هذِهِ الدُّنْيا ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، لَتَجِدَنَّ يا مُحَمَّدُ هؤُلاءِ اليَهودَ الّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّ الدّارَ الآخِرَةَ خالِصَةً لَهُمْ أَشَدَّ حِرْصاً عَلى الحَياةِ وما فيها مِنْ مَتاعٍ ، وَهُمْ أَشَدُّ النّاسِ كَراهِيَةً لِلمَوْتِ ، فَهُمْ حَريصونَ عَلى هذهِ الحَياةِ الدُّنْيا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَتّى مِنَ المُشْرِكينَ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِالبَعْثِ ، وَلِذلِكَ هُمْ يَتَمنَّوْنَ أَنْ يُعَمَّروا في هذِهِ الحَياةِ الدُّنيا زَمَناً طَويلاً كَما يَقولُ سُبْحانَهُ :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده .

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

وَمِنْ حِرْصِ هؤلاءِ عَلى الحَياةِ أَنَّهُمْ يُضَحّونَ مِنْ أَجْلِها بِكُلِّ شَيْءٍ ، بِدينِهِمْ وَكَرامَتِهِمْ ، وَقَدْ نُكِّرَتْ كَلِمَةُ « حَياةٍ » هُنا فَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ « الحَياةِ » لِتَحْقيرِ أُولئِكَ اليَهودِ ، فَهُمْ حَريصونَ عَلى الحَياةِ مَهْما كانَتْ ، سَواءٌ أَكانَتْ حَياةَ أَمْنٍ وَطُمَأْنينَةٍ أَمْ حَياةَ بُؤْسٍ وَشَقاءٍ وَذُلٍّ ، وَلَوْ قالَ « الحَياةَ » لَكانَ المَقْصودُ أَنَّهُمْ يَحْرِصونَ عَلى الحَياةِ الكَريمَةِ ، وَهذا غَيْرُ مُرادٍ هُنا .

وَفي الآيَةِ كَذلِكَ زِيادَةُ تَوْبيخٍ لِليَهودِ فَقَدْ قالَ تَعالى : ﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ أَيْ : هُمْ أَحْرَصُ النّاسِ عَلى حَياةٍ ، وَأَحْرَصُ كَذلِكَ مِنَ الّذينَ أَشْرَكوا ، وَقَدْ أَفْرَدَ اللهُ سُبْحانَهُ المُشْرِكينَ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهُمْ مِنْ النّاسِ تَوْبيخاً لِليَهودِ ـ كَما قُلْنا ـ فَإِذا كانوا أَشَدَّ حِرْصاً عَلى الحَياةِ مِنْ أُولئِكَ المُشْرِكينَ الّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِكِتابٍ وَلا نَبِيٍّ وَلا حِسابٍ وَلا عِقابٍ وَلا بَعْثٍ ، فَهُمْ لا شَكَّ مُسْتَحِقّونَ لِلتَّوْبيخِ ، لأَنَّهُمْ حَرِصوا عَلَيْها مَعَ إيمانِهِمْ بِالبَعْثِ وَالحِسابِ وَالعِقابِ .

وَبَيَّنَتِ الآياتُ مِثالاً عَلى الحِرْصِ الّذي كانَ مِنَ اليَهودِ ؛ إِذْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ، يَتَمنّى أَحَدُهُمْ لَوْ أَنَّهُ يَعيشُ في هذِهِ الدُّنْيا أَلْفَ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَفي هذا تَعْبيرٌ عَنِ المُبالَغَةِ في الكَثْرَةِ ، مِمّا يَدُلُّ على مُغالاةِ هؤُلاءِ اليَهودِ في التَّهالُكِ عَلى هذِهِ الدُّنيا ، وَحِرْصِهِمْ عَلى الحَياةِ وَلَوْ كانَتْ حَياةَ ذُلٍّ لا راحَةَ فيها وَلا هَناءَ ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّهُمْ مُخالِفونَ لِكِتابِ اللهِ تَعالى ، وَيَتَوقَّعونَ سُخْطَ اللهِ وَعِقابَهُ ، فَيَرَوْنَ أَنَّ هذِهِ الدُّنيا مَعَ ما فيها مِنَ المُنَغِّصاتِ ، خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الآخِرَةِ .

وَلكِنْ مَهْما طالَ عُمْرُ اليَهودِيِّ في هذِهِ الدُّنيا ، فَإِنَّ ذلِكَ لَنْ يُبْعِدَهُ عَنْ عَذابِ اللهِ تَعالى وَعِقابِهِ ، فَهُوَ مَهما طالَ عُمْرُهُ ، لابُدَّ مَيِّتٌ ، وَلا بُدَّ أَنْ سَيُلاقي اللهَ تَعالى الّذي سَيُحاسِبُهُ على أَعمالِهِ وَيَجْزيهِ بِها ، فَاللهُ سُبْحانَهُ ﴿ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ فَهُوَ تَعالى يُبْصِرُ أَعْمالَهُمْ وَيُحْصيها عَلَيْهِمْ ، وَسَيُحاسِبُهُمْ عَلَيْها يومَ القِيامَةِ ، وَفي هذا تَهديدٌ وَوَعيدٌ لِهؤُلاءِ اليَهودِ وَلِكُلِّ مَنْ سارَ عَلى دَرْبِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إِلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الدُّنيا دارُ مَمَرٍّ ، لا دارَ مَقَرٍّ ، فَالعاقِلُ الّذي يَعْمَلُ في دُنياهُ لآخِرَتِهِ .

٢ـ المُسْلِمُ يَحْرِصُ عَلى الحَياةِ العَزيزَةِ الكَريمَةِ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما مَعنى المُفْرَداتِ التّالِيَةِ :

خالِصَةً ، يُعَمَّرُ ، مُزَحْزِحِهِ .

٢ـ ادَّعى اليَهودُ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلوا النّارَ إلاّ أَيّاماً مَعدوداتٍ ، فَأَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُكَذِّبَ دَعواهُمْ . وَضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ أـ ما مَعنى قَولِهِ : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلموتَ﴾ ؟ وَهَلِ التَّمَنّي يَكونُ بِالقَلْبِ أَوْ اللِّسانِ فَقَط ؟

ب ـ هَلْ تَمَنّى اليَهودُ المَوْتَ ؟ ولِماذا ؟

٤ـ كَيْفَ عَرَفْنا أَنَّ اليَهودَ لَمْ يَتَمَنوا المَوْتَ فيما بَعْدُ ؟

٥ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّ اليَهودَ أَشَدُّ النّاسِ حِرْصاً عَلى الحَياةِ ، ما نَوْعُ تِلْكَ الحَياةِ الَّتي يَحْرِصونَ عَلَيْها ؟

٦ـ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ حِرْصاً عَلى الحَياةِ : اليَهودُ أَم الَّذين أَشْرَكوا ؟

٧ـ ما المُدَّةُ الَّتي يَتَمَنّى اليَهودُ أَنْ يَعيشوها في الحياةِ الدُّنيا ؟

٨ـ هَلْ طولُ البَقاءِ في الدُّنيا يُنْجي الإنسانَ مِنْ عَذابِ الآخِرَةِ ؟ وَضِّحْ ذلِكَ .

٩ـ ما مَعنى قَوْلِهِ : ﴿بَصِيرٌ بِمَا يَعمَلونَ﴾ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الكَريمَةَ الَّتي تُشْبِهُ هَذِهِ الآياتِ مِنْ سورَةِ الجُمُعَةِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشرونَ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ السّابِعُ والعِشْرونَ

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جِبْريلَ : المَلَكُ المُوَكَّلُ بالوَحْيِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلى الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

مُصَدِّقاً : مُؤَيِّداً لِلكُتُبِ السَّماوِيَّةِ .

التَّفسيرُ :

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

أَخْرَجَ الإِمامُ البُخاريُّ في صَحيحِهِ عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ بِقُدومِ النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ في أَرْضٍ يَخْتَرِفُ ـ أَيْ يَجْني ثِمارَها ـ فَأَتى النَّبيَّ ﷺ فَقالَ لَهُ : إِنّي سائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاّ نَبيٌّ ، فَما أَوَّلُ أَشْراطِ السّاعَةِ ؟ وَما أَوَّلُ طَعامِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَما يَنْزِعُ إِلى أَبيهِ أَوْ إِلى أُمِّهِ ؟ قالَ : أَخْبَرَني بِهِنَّ جِبْريلُ آنِفاً . قالَ : جِبْريلُ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ ذلِكَ عَدُوُّ اليَهودِ مِنَ المَلائِكَةِ ، فَقَرَأَ النَّبيُّ ﷺ هذِهِ الآيَةَ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ثُمَّ قالَ : أَمّا أَوَّلُ أَشْراطِ السّاعَةِ فَنارٌ تَحْشُرُ النّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلى المَغْرِبِ ، وَأَمّا أَوَّلُ طَعامِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَزِيادَةُ كَبِدِ الحوتِ . وَإِذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدُ ، وَإِذا سَبَقَ ماءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ .

فقالَ عَبْدُ اللهِ : أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللهَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسولُ اللهِ ، يا رَسولَ اللهِ إنَّ اليَهودَ قَوْمُ بَهْتٍ ، وَإِنَّهُمْ إنْ يَعْلَموا بِإِسْلامي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتوني ، فَجاءَتِ اليَهودُ ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ : أَيُّ رَجُلٍ فيكُمْ عَبْدُ اللهِ ؟ قالوا : خَيْرُنا وَابْنُ خَيرِنا ، وَسَيِّدُنا وابْنُ سَيِّدِنا . قالَ : أَرَأَيْتُمْ إنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ ؟ فَقالوا : أَعاذَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إلـهَ إلا اللهَ ، وَأَنَّ مُحَمّداً رَسولُ اللهِ ، فَقالوا : شَرُّنا وَابْنُ شَرِّنا ، وانْتَقَصوهُ ، قالَ فَهذا الّذي كُنْتُ أَخافُ يا رَسولَ اللهِ .

لَقَدْ ذَكَرَتِ الآياتُ السّابِقَةُ حُجَجَ بَني إسْرائيلَ في عَدَمِ إيمانِهِمْ بِالنَّبيِّ ﷺ وَبِالقُرآنِ الكَريمِ ، فَزَعَموا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنونَ إلاّ بِما أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ ، وَزَعَموا أَنَّهُمْ لا حاجَةَ لَهُمْ لِلإيمانِ بِالقُرْآنِ الكَريمِ ؛ لأَنَّهُمْ ناجونَ في الآخِرَةِ وَلَنْ يُعَذِّبَهُمْ اللهُ تَعالى ، فَأَبْطَلَتِ الآياتُ ما زَعَموا وَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ ، وَهاهُمْ هُنا يَحْتَجّونَ بِحُجَّةٍ أُخرى فَهُمْ لا يُؤْمِنونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِالقُرآنِ ، لأَنَّ المَلَكَ الّذي نَزَلَ عَلَيْهِ وَجاءَ بِالقُرْآنِ ، هُوَ عَدُوُّهُمْ جِبْريلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَجاءَتِ الآياتُ هُنا تَرُدُّ مَزاعِمَهُمْ .

يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى لِنَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، رَدّاً عَلَيْهِمْ وَتَوْبيخاً لَهُمْ : مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجبْريلَ ، فَإِنَّ جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ نَزَلَ بِالقُرْآنِ عَلى قَلْبِكَ يا مُحَمَّدُ ، فَإِنْ عادى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَهُوَ إِذَنْ عَدُوٌّ لِوَحْيِ اللهِ تَعالى الّذي يَشْمَلُ التَّوراةَ وَغَيْرَها ، فَلَوْ أَنْصَفَ أَهْلُ الكِتابِ لأَحَبّوا جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَشَكَروا لَهُ صَنيعَهُ في كَوْنِهِ يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ ما يَنْفَعُهُمْ .

وَقَدْ قال سُبْحانَهُ : ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ لِيُبَيِّنَ لَنا أَنَّ السَّبَبَ في تَمَكُّنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ تِلاوَةِ القُرْآنِ ، وتَبْليغِهِ لِلنّاسِ ، هُوَ أَنَّ اللهَ تَعالى ثَبَّتَهُ في قَلْبِهِ . وَقالَ : ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ تَوْبيخاً لِلْيَهودِ عَلى عَداوَتِهِمْ لِجِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَهُوَ قَدْ نَزَّلَ القُرْآنَ عَلى مُحَمَّدٍ بِإِذْنِ اللهِ ، لا مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ ، فَالعاقِلُ مَنْ أَحَبَّ جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، إِذْ إنَّهُ جاءَ بِالقُرْآنِ بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ وَهذا عائِدٌ عَلى القُرْآنِ الّذي نَزَّلَهُ اللهُ عَلى قَلْبِ النَّبيِّ ، أَيْ حالَ كَوْنِهِ مُوافِقاً لِلكُتُبِ الّتي سَبَقَتْهُ في الأُصولِ ، الّتي تَدْعو إِلَيْها مِنَ التَّوْحيدِ واتِّباعِ الحَقِّ وَالعَمَلِ الصّالِحِ ، وَمُطابِقاً لِما فيهِ مِنَ البِشاراتِ بِالنَّبيِّ الّذي سَيَأْتي مِنْ أَبْناءِ سَيِّدِنا إِسماعيلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَاللهُ يُريدُ مِنْ هَؤُلاءِ اليَهودِ أَنْ يُؤْمِنوا بِالقُرْآنِ ، لأَنَّهُ جاءَ مُطابِقاً لِما وَرَدَ في كُتُبِهِمْ .

ثُمَّ قال : ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وَهذِهِ حُجَجٌ كَذلِكَ على اليَهودِ ، فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ تَعالى هادِياً إِلى طَريقِ الفَلاحِ مِنَ الضَّلالاتِ وَالبِدَعِ ، وَالعاقِلُ الّذي لا يَرْفُضُ الهِدايَةَ الّتي تَأْتيهِ وَتُنْقِذُهُ مِنَ الضَّلالِ الّذي هُوَ غارِقٌ فيهِ ، حَتّى لَوْ كانَ الواسِطَةُ في مَجيءِ هذِهِ الهِدايَةِ هُوَ عَدُوُّهُمْ كَما يَدَّعونَ .

وَهذا الّذي نَزَلَ بِهِ جِبْريلُ كَذلِكَ ، جاءَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنينَ ، يُبَشِّرُهُمْ بِرِضا اللهِ تَعالى عَنْهُمْ في

الدُّنيا وَالآخِرَةِ ، وَيُنْذِرُ الضّالينَ بِسُخْطِ اللهِ تعالى وَغَضَبِهِ .

ثُمَّ أَقامَتِ الآياتُ حُجَّةً أُخرى عَلى أُولئِكَ اليَهودِ فَقالَ :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

أَيْ : مَنْ كَفَرَ بِاللهِ تَعالى وَخالَفَ أَوامِرَهُ وَنَواهيهِ ، وَعادى مَلائِكَةَ اللهِ تَعالى ، بِإِنْكارِ فَضائِلِهِمْ وَوَصْفِهِمْ بِما يُقَلِّلُ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَمَنْ عادى رُسُلَ اللهِ بِأَنْ كَذَّبَهُمْ ، وَأَلْحَقَ بِهِمُ الأَذى وَالقَتْلَ ، وَمَنْ عادى جِبْريلَ الَّذي نَزَلَ بِالوَحيِ ، وَميكالَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالى عَدُوٌّ لِهؤلاءِ المُعانِدينَ . وَجَزاءُ ذلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعالى سَيُعامِلُهُمْ مُعامَلَةَ الأَعْداءِ ، وَسَوْفَ يَحِلُّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ تَعالى وَسَخَطُهُ ، وَسَيُجازيهِمْ عَلى كُفْرِهِمْ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ .

وَقَدْ أَفْرَدَ اللهُ تَعالى جِبْريلَ وَميكالَ بِالذِّكْرِ ، مَعَ أَنَّهُما مِنْ جُمْلَةِ المَلائِكَةِ ، تَسْجيلاً عَلى هؤُلاءِ اليَهودِ بِالغَباوَةِ ، فَهُمْ يُعادونَ جِبْريلَ ، وَيُوالونَ ميكائيلَ ، فَأَرادَ سُبْحانَهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ بِأَنَّ مُعاداةَ أَحَدِ المَلائِكَةِ مُعاداةٌ لِلجَميعِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ ـ المُؤْمِنُ بِحَقٍّ ، هُوَ الَّذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، وَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ المَلائِكَةِ وَالرُّسُلِ .

٢ ـ كُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الإِنسانُ كانَ ظاهِراً أَمْ باطِناً يَكونُ لَهُ أَثَرُهُ في نَفْسِ هذا الإِنسانِ ، فَيُزَكّي نَفْسَهُ أَوْ يُدَسّيها ، وبِالتّالي إِمّا أَنْ يَسْعَدَ في الآخِرَةِ أَوْ يَشْقى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ ـ أ ـ جاءَ أَحَدُ أَحبارِ اليَهودِ إلى النَّبيِّ ﷺ لِيَسْتَفْسِرَ عَنْ بَعْضِ الأُمورِ ، مَنْ هُوَ ؟

ب ـ ما الأُمورُ الَّتي سَأَلَها عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ للنَّبيِّ ﷺ ؟

٢ ـ بِماذا أَجابَ الرَّسولُ ﷺ عَمّا سَأَلَهُ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ ؟

٣ـ ما مَوْقِفُ اليَهودِ مِنْ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامٍ قَبْلَ إسْلامِهِ وَبَعْدَهُ ؟

٤ـ ذكرتِ الآياتُ حُجَّةً مِنْ حُجَجِ بَني إسْرائيلَ لِعَدَمِ إيمانِهِمْ بالقُرآنِ الكَريمِ ، ما تِلْكَ الحُجَّةُ ؟

٥ـ نَاقَشَتِ الآياتُ الكَريمَةُ اليَهودَ في عَداوَتِهِمْ لِجبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمورٍ عِدَّةٍ ، بَيِّنْها ؟

٦ـ مَنْ هُوَ ميكالُ ؟ وَهَلْ كانَ عَدُوّاً لِبَني إسْرائيلَ ؟

٧ـ بِماذا يَتَّصِفُ الكافِرونَ الَّذين عاداهُمُ اللهُ تَعالى ؟

٨ـ لِماذا أَفْرَدَ اللهُ تَعالى جِبْريلَ وَميكالَ بالذِّكْرِ ، مَعَ أَنَّهُمْ ، مِنْ جُمْلَةِ المَلائِكَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما تَسْتَنْتِجُهُ مِنْ مَوْقِفِ اليَهودِ مِنْ عَبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ .

٢ـ مَنْ ميكائيلُ ؟ ومَا الوَظيفَةُ المُناطَةُ بِهِ ؟ اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثلاثونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ والعِشْرونَ

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الفاسِقونَ : الخارِجونَ عَنْ حُدودِ اللهِ وَفِطْرَةِ اللهِ .

نَبَذَهُ : طَرَحَهُ ونَقَضَهُ .

التَّفسيرُ :

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ أَنَّ أُولَئِكَ اليَهودَ كافِرونَ ، وَذَلِكَ لِمُعاداتِهِمْ جِبْريلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَمَنْ عَاداهُ فَقَدْ عادى أَنْبِياءَ اللهِ ، بَلْ عادى اللهَ تَعالى كَذَلِكَ . وَلَقَدْ جاءَتْ آياتُ الدَّرْسِ لِتُحاجَّ أُولَئِكَ اليَهودَ الّذينَ يَكْفُرونَ بِالقُرآنِ ، لِكَونِهِ لَمْ يُنزَّلْ عَلَيْهِمْ ، أَوْ لِكَوْنِهِ جاءَ بِهِ عَدوُّهُمْ جِبْريلُ عَلَيهِ السَّلامُ كَما يَدَّعونَ ، فَيَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ مُؤَكِّداً بِكَلِمَةِ (وَلَقَدْ) : ﴿ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ أَيْ : أَنه سُبْحانَهُ وتَعالى قَدْ أَنْزَلَ عَلى نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ آياتٍ واضِحاتٍ ، مُعْجِزاتٍ ، فَهَذا القرآنُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِندِ اللهِ ، وَهُوَ في نَفْسِهِ آياتٌ واضِحَةٌ مُعْجِزَةٌ ، لا تَحتاجُ إِلى أُمورٍ أُخرى تُوَضِّحُهُ وتَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ ، وَما كانَ بَيِّناً وَاضِحاً أَوْلى بِالقَبولِ مِمَّا يَحْتاجُ إِلى بَيانٍ وَإِيضاحٍ .

وَإِنَّ وضُوحَ هَذا القُرآنِ وَبيانَهُ كَانَ يَنبَغي أَنْ يَحمِلَ النّاسَ عَلى الإيمانِ بِهِ وَفَهْمِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ كَفَروا بِهِ فَهُمْ فاسِقونَ ، لأَنَّهُ لا يَكفُرُ بِهَذا القُرآنِ إلاّ الفاسِقونَ الّذينَ خَرَجوا عَنْ هِدايَةِ الفِطْرَةِ وَنورِها ، وَانْغَمَسوا في الظُّلُماتِ . وَبَعْدَ هَذا يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ وتَعالى أَمْرَينِ مِنْ أُمورِ هَؤلاءِ اليَهودِ :

الأَوَّلُ : إِنَّنا يَنْبَغي أَنْ لا نَثِقَ بِهِمْ أَبَداً لِمَا عُرِفوا بِهِ مِنْ نَقْضِ العُهودِ ، والغَدْرِ ، فَكَمْ مَرَّةً نَقَضوا العُهودَ وَالمواثيقَ الّتي أَخَذَها اللهُ عَلَيْهِم ، وَكَمْ مَرَّةً غَدَروا بِنَبِيِّهِمْ مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَكَمْ عَاهَدوا رَسُولَ اللهِ فَنَقَضوا العُهودَ كَذَلِكَ .

الثّاني : أَنَّهُ لا رَجاءَ في إيمانِ أَكْثَرِ أُولئِكَ اليَهودِ ، لأَنَ الضَّلالَةَ قَدْ مَلَكَتْ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ . فَقَدْ بايَعوا النَّبِيَّ عِنْدَما جاءَ إلى المَدينَةِ المُنَوَّرَةِ عَلى النَّصْرِ ، وَعَلى أَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُسْلِمينَ النُّصْحَ وَالنَّصيحَةَ والبِرَّ دُونَ الإِثْمِ ، وَلَكِنَّهُمْ نَقَضوا العُهودَ .

تَقولُ الآياتُ : (أَوَ كُلَّما) ، فالهَمْزَةُ للاسْتِنكارِ وَالتَّوبيخِ ، وَالواوُ للعَطْفِ ، وَمَعْنى الآيَةِ : كَفَروا بالآياتِ البَيِّناتِ وَقالوا ما قالوا ، وَكُلَّما عاهَدوا عَهْداً نَبَذوهُ وَراءَ ظُهورِهِمْ ، وَلَمْ يَعْمَلوا بِهِ فَهُمْ لا يُؤْمِنونَ ، أَيْ : فَهُم لا عُهودَ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لا إيمانَ لَهُمْ أَصْلاً .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

وذَكَرَتِ الآياتُ بَعْدَ ذَلِكَ حالاً جَديدَةً مِنْ أَحْوالِ اليَهودِ ، وَهِيَ عِلَّةٌ لِجَميعِ ما صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ شَناعاتٍ وَجَرائِمَ في مُعاداتِهِمُ النَّبِيَّ وَجَحْدِهِمْ لِما جاءَ بِهِ مِنْ آياتٍ بَيِّناتٍ ، وَهِيَ أَنَّ فَريقاً مِنْهُمْ قَدْ تَرَكوا كِتابَهُمْ ـ الّذي يَحْتَجُّونَ بِهِ ، وَيُفاخِرونَ النّاسَ بِهِ لِكَوْنِهِ أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ ـ وَتَرَكوا هَذا الكِتابَ وَنَبَذوهُ وَراءَ ظُهورِهِمْ . وَلَمّا جاءَهُمُ الرَّسولُ ﷺ بِالقُرآنِ الكَريمِ الّذي يُؤَيِّدُ ما مَعَهُمْ في التَّوْراةِ مِنْ بِشاراتٍ تُبَشِّرُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وذِكْرٍ لِصِفاتِهِ ، تَرَكوا هَذا الجُزْءَ مِنَ الكِتابِ الّذي يُبَشِّرُ بِالرَّسولِ ﷺ ، وَيَأْمُرُهُمْ بالإيمانِ بِهِ واتِّباعِهِ ، كَما تَرَكوا كِتابَهُمْ مِنْ قَبْلُ . فَفي الآيَةِ تَشْبيهٌ لِتَرْكِهِمْ لِلعَمَلِ بِما في التَّوْراةِ بِمَنْ يُلقي الشَّيءَ وَراءَ ظَهْرِهِ وَحَذَفَ المُشَبَّهَ وَأَبْقى المُشَبَّهَ بِهِ ، وَكَما هُوَ مَعْلُومٌ فَإِنَّ تَرْكَ جُزْءٍ مِنَ الكِتابِ كَتَرْكِهِ كُلِّهِ .

ثُمَّ يَقولُ سُبْحانَهُ عَنْ أُولئِكَ اليَهودِ : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أَيْ : نَبَذُوهُ وَتَركوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ أَنَّهُ كِتابُ اللهِ تَعالى ، فَهُمْ نَبَذوهُ مُكابَرَةً وَعِناداً ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمُقْتَضى عِلْمِهِ فَهُوَ وَالجاهِلُ سَواءٌ في جُحودِ الحَقِّ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ القُرآنُ الكَريمُ مُعْجِزَةٌ بيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ ، يَحْمِلُ دَلائِلَ صِدْقِهِ في آياتِهِ .

٢ـ الوَفاءُ بِالعَهْدِ صِفَةٌ مِنْ صِفاتِ المُؤمِنينَ ، فالمُؤْمِنُ إذا حَدَّثَ صَدَقَ ، وَإذا عاهَدَ أَوْفَى وَلَمْ يَغْدُرْ كالمُنافِقينَ وَاليَهودِ .

٣ـ جَميعُ الرُّسُلِ السَّابِقينَ بَشَّروا بِالنَّبيِّ ﷺ ، وَجاءَ القُرآنُ الكَريمُ لِيُؤَكِّدَ ذلِكَ ، لِذا لابُدَّ مِنَ الإيمانِ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ كَيْفَ رَدَّ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى أُولئِكَ اليَهودِ الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بِالقُرآنِ ؟

٢ـ بِمَ وَصَفَتِ الآياتُ الَّذينَ يَكْفرونَ بِآياتِ اللهِ ؟

٣ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الكَريمَةُ أَمْرَينِ مِنْ أُمورِ اليَهودِ ، ما هُما ؟

٤ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ : نَبَذَهُ فَريقٌ مِنْهُمْ ؟

٥ـ ما مَعْنَى الاسْتِفْهامِ في قَوْلِهِ : أَوَكُلَّما ؟

٦ـ ما الَّذي فَعَلَهُ اليَهودُ لَمَّا جاءَهُمُ الرَّسولُ ﷺ بِالقُرآنِ ؟

٧ـ هَلْ نَبَذَ اليَهودُ التَّوْراةَ كُلَّها وَراءَ ظُهورِهِمْ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ نَقَضَ كُلٌّ مِنَ الآتِيَةِ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ :

١ـ يَهُودُ قَيْنُقاعٍ . ٢ـ يَهُودُ بَني النَّضيرِ . ٣ـ يَهُودُ بَني قُرَيْظَةَ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والثَّلاثونَ

سورةُ البَقرَةِ - القِسْمُ التّاسِعُ والعِشْرونَ

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَتلو : تتَقَوَّلُ وتَكْذِبُ .

عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ : عَلى مُلْكِهِ وَفي زَمانِهِ .

بابِلَ : مَدينَةٌ بِالعراقِ يُنْسَبُ إِليها السِّحْرُ .

فِتْنَةٌ : ابْتِلاءٌ واخْتِبارٌ .

اشْتَراهُ : قَبِلَهُ وَعَمِلَ بِهِ .

خَلاقٍ : نَصيبٍ مِنَ الخَيْرِ .

شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ : باعوها .



التَّفسيرُ :

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

ذَكَرَتْ الآياتُ السَّابِقَةُ أَنَّ أُولَئِكَ اليَهُودَ نَبَذوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهورِهِمْ ، وَهَذِهِ الآيَةُ تُبَيِّنُ أَنَّهُمُ اتَّبَعوا مَا تَتْلوهُ الشَّياطينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ . والشَّياطينُ يُقْصَدُ بِها مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ ، كَما قالَ تَعالى : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وَ ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ أَيْ : عَلى عَهْدِ مُلْكِهِ وَفي زَمانِهِ ، فَقَدْ تَقَوَّلَتِ الشَّياطينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ الأَقَاويلَ الكَثيرَةَ مِنْها : أَنَّ الشَّرَ في مُلْكِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ في خاتَمِهِ ، وَأَنَّ هَذا الخاتَمَ قَدِ اسْتَولَى عَلَيْهِ بَعْضُ الشَّياطينِ ، حينَما تَصَوَّرَ بِصورَةِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وأَخَذَهُ مِنَ امْرَأَتِهِ وَجَلَسَ في مَجْلِسِهِ لِلْحُكْمِ .

وَمِنْها أَنَّ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ جَمَعَ كُتُبَ السِّحْرِ مِنَ النّاسِ ، وَدَفَنَها تَحْتَ كُرْسِيِّهِ ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَها النّاسُ وتَناقَلوها ، وادّعَوْا أَنَّهُ كانَ يَتَعاطى السِّحْرَ ، وَأَنَّهُ كانَ يُسَخِّرُ بِهِ الإِنْسَ والجِنَّ والرِّيحَ .

ومِنْها أَنَّهُ دَفَنَ تَحتَ كُرْسِيِّهِ كُتُباً في العُلوم ، فَلَمّا اسْتَخْرَجوها ، أَشاعَ الشَّياطينُ أَنَّها كُتُبُ سِحْرٍ ، وَصارَ الدَّجّالونَ بَعْدَ ذلِكَ يَدَّعونَ أُموراً كَثيرَةً وَيَقولونَ إِنَّها مَوْجودَةٌ في تِلْكَ الكُتُبِ ، وهَكَذا ادَّعتِ الشَّياطينُ أَنَّ مُلْكَ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قامَ عَلى السِّحْرِ ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ارتَدَّ آخِرَ عُمُرِهِ وَعَبدَ الأَصْنامَ وَبَنى لَها المَعابِدَ ، فِجاءَتِ الآياتُ تُبَرِّىءُ سَيِّدَنا سُلَيْمانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، مِنْ كُلِّ شُبْهَةِ نَقْصٍ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمْ يَكْفُرْ ، وَلَمْ يَرْتَدَّ ـ كَما ادعَوْا ـ وَلَمْ يَتَعاطَ السِّحْرَ الّذي نَسَبوهُ إِلَيْهِ زوراً وَبُهْتاناً ، ثُمَّ قالَ : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ أَيْ : أَنَّ فَريقاً مِنَ اليَهودِ نَبَذوا كِتابَ اللهِ واتَّبَعوا ما تَتْلوا الشَّياطينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ ، وَكَأَنَّ سائِلاً يَسْأَلُ : لِماذا اتَّبَعَ اليَهودُ أُولئِكَ الشَّياطينَ الّذينَ تَقَوَّلوا على مُلْكِ سَيِّدِنا

سُلَيْمانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؟ فَأَجابَ عَلى سَبيلِ الاسْتِئْنافِ البَيانيِّ : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ أَيْ : يَجْعَلونَ النّاسَ يَتَعلَّمونَ السِّحْرَ ، لِيَفْتِنوهُمْ بِهِ ، وَيُضِلُّوهُمْ عَنْ طَريقِ الحَقِّ .

ما السِّحْرُ ؟

السِّحْرُ في اللُّغَةِ كُلُّ ما دَقَّ وَخَفِيَ ، يُقالُ سَحَرَهُ ، بِمَعْنى : خَدَعَهُ ، وَقَدْ وَصَفَ القُرآنُ السِّحْرَ بِأَنَهُ تَخْييلٌ يُقْصَدُ مِنْهُ خِداعُ العَيْنِ ، فَقَدْ قالَ سُبْحانَهُ وتَعالى عَنْ حِبالِ السَّحَرَةِ في زَمَنِ سَيِّدِنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] ، وقَدْ رُوِيَ أَنَّ المَقْصودَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ٤] أَنَّهُمُ السَّحَرَةُ .

وَعَلى رَأْيِ جُمْهورِ العُلَماءِ أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقيقَةٌ ، ذَكَرَهُ اللهُ تَعالى في كِتابِهِ ، وذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يُتَعلَّمُ ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَقَدْ حَذَّرَ الإِسْلامُ مِنْ تَعاطي السِّحْرِ ، وقَدْ جاءَتِ التَّعاليمُ الإِسْلامِيَّةُ بِذَمِّهِ وَتَحْريمِهِ .

﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ أَيْ : يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحْرَ ، وَيُعَلِّمونَهُمْ ما أُنْزِلَ عَلى المَلَكَيْنِ .

وَبابِلُ مَدينَةٌ بِالعِراقِ ، اخْتُصَّتْ بِالذِّكْرِ لأَنَّها كانَتْ أَكْثَرَ البِلادِ عَمَلاً لِلسِّحْرِ ، وَكانَ سَحَرَتُها قَدِ اتَّخَذوا السِّحْرَ وَسيلَةً لِتَسْخيرِ العامَّةِ في أَبْدانِهِمْ وَعُقولِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ ، ثُمَّ جَعَلوهُمْ يَعْبُدونَ الأَصْنامَ والكَواكِبَ . وَهاروتُ وماروتُ اسْمُ المَلَكَيْنِ ، كَلَّفَهُما اللهُ تَعالى تَعْليمَ النّاسِ السِّحْرَ وَأُمورَهُ لِيُدْرِكوا أَنَّ تَعَلُّمَ السِّحْرِ أمرٌ هَيِّنٌ سَهْلٌ ، لا كما كانَ يَتَصوَّرُ بَعْضُ النّاسِ أَنَّهُ لا يَنالُهُ إِلاّ أَذْكِياؤُهُمْ وأَفْذاذُهُمْ .

ما عَلَّمَهُ المَلَكانِ لِلنّاسِ :

يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ ما كانَ يَنْصَحُ بِهِ المَلَكانِ النّاسَ الّذينَ يُريدونَ تَعَلُّمَ السِّحْرِ ، فَهُما لا يُعَلِّمانِ أَحَداً مِنَ النّاسِ السِّحْرَ ، إِلاّ وَيَقولانِ لَهُ ناصِحينَ : إِنَّ ما نُعَلِّمُكَ إِيّاهُ مِنْ ضُروبِ السِّحْرِ هُوَ أَمْرٌ ابْتَلى اللهُ بِهِ النّاسَ واخْتَبَرَهُمْ بِهِ ، لِتَمْييزِ الطّائِعِ مِنَ العاصي ، فَمَنْ عَمِلَ بِهِ ضَلَّ عَنْ طَريقِ الحَقِّ وَغَوى ، وَمَنْ تَرَكَهُ سارَ عَلى طَريقِ الهُدَى ، وَيُحَذِّرونَهُمْ مِنْ تَعَلُّمِ ما هُوَ كُفْرٌ باللهِ تَعالى .

وَقَدْ كانَ المَلَكانِ يَقولانِ لِلنّاسِ ذلِكَ إِبقاءً على اعْتِقادِ النّاسِ فيهِما . وفي أَيّامِنا يوجَدُ دَجّالونَ كَثيرونَ يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحْرَ ، وَيُوهِمونَهُمْ أَنَّهُمْ صالِحونَ ، فَيُعَلِّمونَ النّاسَ مَثَلاً الكِتابَةَ لِلحُبِّ والبُغْضِ ، ويَقولونَ للمُتَعَلِّمِ : نُوصيكَ أَلاّ تَكْتُبَ هذا لِتَجْعَلَ امْرَأَةً تُحِبُ غَيرَ زَوْجِها ، وَلا تَكْتُبْ لأَحَدِ الزَوجَيْنِ أَنْ يَبْغُضَ الآخَرَ ، بَلْ تَجْعَلُ هَذا لِلمَصْلَحةِ العامةِ ، أَيْ لِلحُبِّ بَيْنَ الزَّوْجَينِ ، وهُمْ كاذِبونَ فيما يَقولونَهُ ويَفْتَرونَهُ .

وَلكِنْ ما الّذي تَعَلَّمَهُ أُولَئِكَ اليَهودُ مِنَ المَلكَيْنِ ؟ يَقولُ سُبْحانَهُ بِأَنَّهُمْ تَعَلَّموا : ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ أيْ : يَتَعَلَّمونَ مِنَ المَلكَيْنِ ما وُضِعَ لأجْلِ التَّفْريقِ بَيْنَ الزَّوجَيْنِ ، وَهُوَ ما يُسَمّيهِ الدَّجالونَ(كِتابَ البَغيضَةِ) ، والآيَةُ الكَريمَةُ لَم تُبَيِّنْ لَنا نَوْعَ ما يَتَعَلَّمونَهُ ، أَهُوَ تَمائِمُ أم رُقىً ، أَم غَيْرُ ذلكَ ، وَلِذا نَسْكُتُ عَمّا سَكَتَ عَنْهُ القُرآنُ ولا نَبْحَثُ فيهِ ، إنَّما هُوَ أَمْرٌ تَعَلَّموهُ وَكَفى .

وبَعْدَ حِكايَةِ السِّحْرِ هذِهِ يَقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ أَيْ : إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ أَيُّ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ ، وَلكِنَّهُمْ يَفْعَلونَ ما يُوهِمونَ بِهِ النّاسَ أَنَّ قُدْرَتَهُمْ خارِقَةٌ ، وأَنَّها فَوْقَ مَقْدِرَةِ البَشَرِ ، وَأَنَّ اللهَ مَنَحَهُمُ القُوَّةَ والقُدْرَةَ ، ولَكِنْ لا بُدَّ وأَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ ، أَنَّهُ إنِ اتفقَ أَنْ أُصيبَ بِضَرَرٍ مِنْ أَعمالِ السِّحْرِ ، فَإِنَّما ذَلِكَ بِإذنِ اللهِ تَعالى ، أَيْ : بِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبابِ الَّتي رَبَطَ اللهُ تَعالى بِها مُسَبِّباتِها ، فَهُو سُبْحانَهُ الَّذي يوجِدُ المُسَبِّباتِ حينَ حُصولِ الأَسْبابِ .

وَقَدْ قَالَ سُبْحانَهُ : ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ : إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى حَصَلَ الضَّرَرُ ، وَإِنْ شاءَ مَنَعَهُ ، ثُمَّ يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ أَنَّ أُولَئِكَ الَّذينَ يَتَعَلَّمونَ السِّحْرَ لِلأَذى وَلِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ النّاسِ ، يَتَعلَّمونَ ما يَضُرُّهُمْ وَيَضُرُّ النّاسَ ، فَهُوَ مُحَرَّمٌ يُعاقِبُ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَمَنْ عُرِفَ أَنَّهُ يُؤذي النّاسَ ، مَقَتَهُ النّاسُ ، وَقاموا عَلَيْهِ .

وَما يَتَعَلَّمُهُ النّاسُ عادَةً قَدْ يَكونُ ضَاراً مِنْ جِهَةٍ ، ولكِنَّهُ نَافِعٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، ولكِنَّ هَذا السِّحْرَ لَيْسَ فِيهِ نَفْعٌ أَبَداً ، وَلِذا قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ ﴾ فَهُوَ ضَرَرٌ بَحْتٌ لَيْسَ فِيهِ أَيُّ نَفْعٍ ، وَنَحْنُ نَرى اليَوْمَ أَنَّ الّذينَ يَنْتَحِلونَ السِّحْرَ مِهْنَةً لَهُمْ ، هُمْ أَفْقَرُ النّاسِ لِلسّعادَةِ ، وَأَحْقَرُهُمْ وَأَخْبَثُهُمْ ، وَالعاقِلُ مِنَ النّاسِ هُوَ الّذي يَعْلَمُ أَنَّ الشَّقِيَّ ، لا يُمْكِنُ أَنْ يَهَبَ السّعادَةَ لِلآخرينَ ، لأَنَّ فاقِدَ الشَّيءِ لا يُعْطيهِ ، فَإِنَّ هَؤلاءِ السَّحَرَةَ أَشْقِياءٌ ، لا يُمْكِنْ أَنْ يَهَبوا سَعادَةً لِغَيْرِهِمْ .

وَهَذا هُوَ حالُهُمْ في الدُّنْيا ، فَكَيْفَ يَكُونُ حالُهُمْ في الآخِرَةِ ؟ يَقُولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ ﴾ لَقَدْ عَلِمَ أُولَئِكَ اليَهُودُ ، أَنَّ الّذينَ نَبَذوا كِتابَهُمْ واتَّبَعوا السِّحْرَ ، فَفَضَّلوا السِّحْرَ عَلى ما آتاهُمْ اللهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ الحَقِّ وَأَحكامِ الشَّريعَةِ ، الّتي تُوصِلُ إِلى السَّعادَةِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، أَقولُ : لَقَدْ عَلِموا أَنَّ مَنِ اخْتارَ السِّحْرَ لَيْسَ لَهُ نَصيبٌ في نَعيمِ الآخِرَةِ ، أَيْ : في الجَنَّةِ ، لأَنَهُمْ قَدِ اخْتاروا طَريقَ الضَّلالِ ، فَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّ التَّوْراةَ قَدْ حَرَّمَتْ عَلَيْهِم تَعَلُّمَ السِّحْرِ أَوْ تَعْليمَهُ ، وشَدَّدَتِ العُقوبَةَ على مُرْتَكِبيهِ ، وَعَلى مُتَّبِعي الجِنِّ والشَّياطينِ وَالكُهّانِ . ثُمَّ قالَ تَعالى :

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أَيْ : لَبِئْسَ ما باعوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ بِالسِّحْرِ . وقَدْ عَبَّرَ سُبْحانَهُ عَنْ بَيْعِ الإيمانِ بِبَيْعِ النَّفْسِ ، لأَنَّ النَّفْسَ خُلِقَتْ لِمَعْرِفَةِ الدينِ وَالعَمَلِ

بِهِ ، أَيْ : أَنَّهُمْ لَوْ كانوا يَعْلَمونَ حُرْمَةَ السِّحْرِ ، عِلْماً يَصْدُرُ عَنِ اعْتِقادٍ لَهُ أَثَرٌ في النَّفْسِ ، لما ارتَكَبوهُ وَلا أَصَرّوا عَلَيْهِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ وَصَفَهُمْ أَوّلاً بِالعِلْمِ : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ، ثُمَّ نَفى عَنْهُمُ العِلْمَ ، لأَنَّ العالِمَ بِالشَّيءِ إِذا لَمْ يَعْمَلْ بِموجِبِ عِلْمِهِ ، فَهُوَ في مَنْزِلَةِ الجاهِلِ تَماماً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تَنْزِيهُ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَمِنْهُمْ سَيِّدُنا سُلَيْمانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَسِحْرٍ .

٢ـ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ بِإِذْنِ اللهِ تَعالى ، فَلَوِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلى أَنْ يَضرّوا أَحَداً لَنْ يَضُرّوهُ إِلاّ بِما كَتَبَهُ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ ، وَلَوِ اجْتَمَعوا عَلى أَنْ يَنْفَعوهُ لَمْ يَنْفَعوهُ إِلا بِما كَتَبَهُ اللهُ تَعالى لَهُ .

٣ـ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى في الحَياةِ الابْتِلاءُ ، لِتَمْييزِ الطائِعِ مِنَ العاصي .

٤ـ السَّاحِرُ مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ نَفْساً ، فَهُوَ لا يَتَعلَّمُ إِلاَّ ما يُوقِعُ الضَّرَرَ بِالنَّاسِ ، وَلِذا يُحَرَّمُ عَلى المُسْلِمِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ وَيَسْتَعينَ بِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّالِيَةِ :

١ـ ما مَعْنى كَلِمَةِ : تَتْلوا ؟

٢ـ تَقَوَّلَتِ الشَّياطِينُ عَلى عَهْدِ مُلْكِ سُلَيْمانَ أَقاوِيلَ كَثيرَةً ، اذْكُر ثَلاثَةً مِنْها .

٣ـ كَيْفَ أَبْرَأَتِ الآياتُ سَيِّدَنا سُلَيْمانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِمّا نَسَبوهُ إِلَيْهِ ؟

٤ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ .

٥ـ مَا السِّحْرُ ؟ وَما حَقيقَتُهُ ، ؟ وَما حُكْمُهُ ؟

٦ـ مَا الَّذي أُنْزِلَ عَلى المَلَكَيْنِ ؟

٧ـ أَيْنَ تَقَعُ مَدينَةُ بَابِلَ ؟ وَلِمَ خُصَّتْ بِالذِّكْرِ هُنا ؟

٨ـ ما الأُمورُ الَّتي عَلَّمَها المَلَكانِ لِلنَّاسِ ؟

٩ـ هَلْ عَمِلَ اليَهودُ بِمَا تَعَلَّموهُ مِنَ المَلَكَيْنِ ؟

١٠ـ هَلْ يُمْكِنُ لِلسِّحْرِ أَنْ يُؤَثِّرَ في الإنْسانِ ؟ وَضِّحْ ذَلِكَ .

١١ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّهُ لا يُصيبُ الإنْسانَ إلاّ ما كَتَبَهُ اللهُ لَهُ ، هاتِ النَّصَ القُرآنِيَّ الَّذي يَدُلُّ على ذَلِكَ .

١٢ـ بِمَ وَصَفَ اللهُ تَعالى السِّحْرَ ؟

١٣ـ ما نَتيجَةُ مَنْ عَمِلَ بِالسِّحْرِ وَنَبَذَ كِتابَ اللهِ وَراءَ ظَهْرِهِ ؟

١٤ـ لِماذا عَبَّرَتِ الآياتُ عَنْ بَيْعِ الإيمانِ بِبَيْعِ النَّفْسِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ حَديثاً نَبَوِيّاً يُبَيِّنُ إثْمَ مَنْ ذَهَبَ إلى العَرّافينَ وَصَدَّقَهُمْ .

٢ـ عَدَّ النَّبِيُّ ﷺ السِّحْرَ مِنَ الكَبائِرِ ، هَاتِ حَدِيثاً يَدُلُّ على ذَلِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورةُ البَقرَةِ - القِسْمُ الثَّلاثونَ

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَمثوبَةٌ : اسْمُ مَصْدَرٍ مِنْ أثابَ ، إذا أَعْطى الثَّوابَ .

راعِنا : أَيْ راعِنا سَمْعَكَ ، بِمعنى : اسْمَعْ ما نُريدُ أَنْ نَسْأَلَكَ عَنْهُ .

انْظُرْنا : أَمْهِلْنا وانْتَظِرْ ما يَكونَ مِنْ شَأْنِنا .

يَوَدُّ : الوُدُّ : مَحَبَّةُ الشَّيْءِ وَتَمَنّي وُقوعِهِ .



﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

يَقولُ سُبْحانَهُ تَعالى ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ لَنا أَنَّ اليَهودَ تَرَكوا كِتابَهُمْ وَراءَ ظُهورِهِم ، واتَّبَعوا السِّحْرَ ، يَقولُ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنوا الإيمانَ الحَقَّ بِكِتابِهِمُ الَّذي جاءَ فيهِ البِشارَةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، والأَمْرُ باتِّباعِهِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ اتَّقوا اللهَ تَعالى ، وذلِكَ بِالعَمَلِ بِما جاءَ في كِتابِ اللهِ مِنْ أَوامِرَ ، والابْتِعادِ عَمّا نَهاهُمُ اللهُ تَعالى عَنْهُ ، كانَتْ لَهُمُ المَثوبَةُ مِنَ اللهِ ؛ أَيْ : الثَّوابُ العَظيمُ ، الَّذي هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِمّا يَتَوَقَّعونَهُ مِنْ مَنافِعَ وَمَصالِحَ دُنْيَوِيَّةٍ .

وَكَلِمَةُ (مَثُوبَةٌ) ، جَوابُ الشَّرْطِ (لَوْ) ، وَقَدْ جاءَتْ هُنا الجُمْلَةُ اسْمِيَّةً لِلدَّلالَةِ عَلى ثَباتِ هَذِهِ المَثوبَةِ واسْتِقْرارِها ، وَجاءَتْ (مَثُوبَةٌ) كَذلِكَ نَكِرَةً وَلَمْ تَأْتِ مُعَرَّفَةً (مَثوبَةُ اللهِ) ، لِتُفيدَ التَّقْليلَ .

وَالمَعْنى : أَنَّ شَيْئاً قَليلاً مِنْ ثَوابِ اللهِ تَعالى في الآخِرَةِ الدَّائِمَةِ خَيْرٌ مِنْ مَتاعٍ كَثيرٍ في الدُّنْيا الفانِيَةَ .

ثُمَّ قال تَعالى : ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ، فَهُمْ يَتَّبِعُونَ الظُّنونَ وَيَعْتَمِدونَ عَلى تَقْليدِ غَيْرِهِمْ ، وَلَيْسوا عَلى عِلْمٍ صَحيحٍ ، فَلَوْ كانوا يَعْلَمونَ عِلْماً صَحيحاً ، لَظَهَرَ أَثَرُ هذا العِلْمِ ، واتَّبَعوا الرَّسولَ ﷺ ، وَلَما اسْتَبْدَلوا السِّحْرَ بالإيمانِ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

وَيَنْتَقِلُ القُرآنُ الكَريمُ لِخِطابِ المُؤْمِنينَ في قَضِيَّةٍ لَها عَلاقَةٌ بِما كَانَ بَيْنَ المُؤْمِنينَ واليَهودِ ، فَالآياتُ السَّابِقَةُ كانَتْ تَتَحَدَّثُ عَنْ ماضي اليَهودِ ، وَهُنا جاءَ الحَديثُ عَنْ أَمْرٍ حاليٍّ حَدَثَ في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ . يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى لِلمُؤْمِنينَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فَيَصِفُهُمْ بِهَذا الوَصْفِ المُحبَّبِ إِلى النُّفُوسِ ، لِحَثِّهِمْ عَلى العَمَلِ بِما يَأْمُرُهُمْ بِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وَالانْتِهاءِ عَمّا يَنْهاهُمْ عَنْهُ : ﴿ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ وَهَذِهِ الكَلِمَةُ كانَتْ تَدورُ عَلى أَلسِنَةِ الصَّحابَةِ في خِطابِ الرَّسولِ ﷺ .

وَالمَعْنى المَفْهومُ مِنَ الكَلِمَةِ : أَيْ اسْمَعْ لَنا ما نُريدُ أَنْ نَسْأَلَ عَنْهُ ونُراجِعَكَ القَوْلَ فيهِ ، لِنَفْهَمَهُ عَنْكَ . ويَبْدو أَنَّ اليَهودَ ـ قاتَلَهُمُ اللهُ تَعالى ـ اسْتَغَلُّوا هَذِهِ الكَلِمَةَ ، وَحَرَّفوها عَنْ مَوْضِعِها كَما قالَ تَعالى : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٤٦] ، فَهُمْ قَد اسْتَغَلُّوا هذهِ الكَلِمَةَ لِيؤْذوا الرّسولَ ﷺ وليَشْتُموهُ ، فَكانوا يَقولونَ لَهُ : (يا مُحَمَّدُ راعِنا) ، وَيَعنونَ بِها الرُّعونَةَ الّتي هِيَ الحُمْقُ والخِفَّةُ ، ولِذلِكَ نَهى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى المُؤْمِنينَ مِنَ اسْتِخْدام هَذِهِ الكَلِمَةِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلى كَلِمَةٍ أُخْرى ، لِئلاّ يَتَّخِذَها اليَهودُ سَبيلاً لِسَبِّ النَّبيِّ ﷺ . فَقالَ تَعالى : ﴿ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾ وَفي هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعْنى الإِنْظارِ وَالمُراقَبَةِ ، والإِمْهالِ ، فَهيَ تُفيدُ مَعْنى كَلِمَةِ راعِنا ، لَكِنَّها لا تَحْتَمِلُ مَعْنىً آخَرَ يَسْتَخْدِمُهُ هَؤلاءِ اليَهودُ .

وَتُخْتَمُ الآيَةُ الكَريمَةُ بِقَولِهِ تَعالى : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ لِيُبَيِّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّ كُلَّ ما يَصْدُرُ عَنِ اليَهودِ مِنْ إِساءَتِهِمُ الأَدَبَ مَعَ الرَّسولِ ﷺ ، إِنَّما هُوَ نَتيجَةٌ لِكُفْرِهِم . ولا شَكَّ أَنَّ كُلَّ كافِرٍ نَتيجَتُهُ العذابُ الأَليمُ الموجِعُ أَشَدَّ الوَجَعِ يومَ القِيامَةِ ، وَهَكَذا كُلُّ مَنْ كَفَرَ بِالرَّسولِ ﷺ وَأَساءَ الأَدَبَ مَعَهُ ، فَلَهُ عَذابٌ أَليمٌ .

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ .

وَتَنْتَقِلُ الآياتُ الكَريمَةُ لِمُواساةِ الرَّسولِ ﷺ وَالمُؤْمنينَ ، بَعْدَ أَنْ أَساءَ هؤُلاءِ اليَهودُ الأَدَبَ مَعَ الرَّسولِ ﷺ وَمَعَ المُؤْمنينَ ، فَيَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ : إِنَّ هؤُلاءِ اليَهودَ الّذينَ أَخْبَرْتُكُمْ عَنْ كَثيرٍ مِنَ أُمورِهِمْ ، يَنْبَغي عَلَيْكُم أَنْ لا تُبالوا بِعَداوَتِهِم وَتَكْذيبِهِمْ ، وَلا يَضُرُّكُمْ كُفْرُهُمْ ، فَهُمْ لا يُحبّونَ الخَيْرَ لَكُمْ أَبَداً ، ولا يُريدونَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُم ذلِكَ الخَيْرُ مِنْ رَبِّكُم ، وذلِكَ لِحَسَدِهِم لَكُمْ ، وَحِقْدِهِمْ عَلَيْكُم . وَيُقْصَدُ بِالخَيْرِ هُنا كُلُّ نِعْمَةٍ ، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ النِّعَمِ : القُرْآنُ الكَريمُ ، فَهُوَ أَعْظَمُ الخَيْراتِ ، أَخْرَجَ اللهُ بِهِ المُؤْمِنينَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ ، ونَظَّمَ لَهُمْ أُمورَ حَياتِهِم ، وَوَحَّدَ شُعوبَهُمْ وَكَلِمَتَهُمْ ، وَطَهَّرَ نُفوسَهُمْ ، وَعُقولَهَمْ مِنَ الوَثَنِيَّةِ . وَهؤُلاءِ اليَهودُ حَسَدوا العَرَبَ ، لأَنَّهُمْ كانوا يَوَدُّونَ أَنْ تَكونَ النُّبُوَّةُ فيهِمْ ، وَأَنْ يُنَزَّلَ الكِتابُ عَلَيْهِم كَذلِكَ ، وَلكِنَّ اللهَ تَعالى يَرُدُّ عَلَيْهِم ، ويُبَيِّنُ لَنا جَهْلَهُمْ وَحَسَدَهُمْ فَيَقولُ : ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فَهوَ سُبْحانَهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، وَمَنْ ضِمْنَ هَذِهِ الرَّحْمَةِ : النُّبُوَّةُ والرِّسالَةُ ، والهِدايَةُ والنَّصْرُ ، فَقَدِ اخْتَصَّ سَيِّدنا مُحَمَّداً ﷺ بِالنُّبُوَّةِ ، واخْتَصَّ أُمَّةَ العَرَبِ كَذلِكَ ، بِنُزولِ القُرْآنِ الكَريمِ عَلَيْهِم ، فَهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالى ذُو الفَضْلِ العَظيمِ ، إِذ إِنَّ كُلَّ خَيْرٍ يَنالُهُ الإِنْسانُ في دِينِهِ ودُنْياهُ إِنَّما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى .

وَفي هَذِهِ الآياتِ تَنْبيهٌ لِلحاسِدينَ بِأَنْ يَنْتَهوا عَنْ حَسَدِهِمْ لِلآخَرينَ ، وَتَعْريضٌ بِأُولئِكَ اليَهُودِ الّذينَ حَسَدوا الرَّسولَ ﷺ عَلى النُّبُوَّةِ ، وَبِذلِكَ حَذَّرَتِ الآياتُ المُؤْمِنينَ مِنَ اليَهودِ ، وَبَشَّرَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ ما داموا مُتَمَسِّكينَ بِكِتابِهِمْ فَلَنْ يَضُرَّهُمُ اليَهُودُ وَحَسَدُهُمْ وَعَداؤُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ عَدَمُ اتِّباعِ الظَّنِّ الّذي لا يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيئاً ، واتِّباعُ العِلْمِ الصَّحيحِ المؤدِّي إلى الحَقِّ .

٢ـ إِساءَةُ الأَدَبِ مَعَ الرَّسولِ ﷺ ، إِساءةٌ لِلأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعالى ، لأَنَّ الرَّسولَ ﷺ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى ؛ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحى .

٣ـ الحاسِدُ لِغَباوَتِهِ يَكونُ ساخِطاً عَلى اللهِ تَعالى ، وَمُعْتَرِضاً عَلَيْهِ إِنْ أَنْعَمَ عَلى المَحْسودِ ، وَاللهُ تَعالى هُوَ صاحِبُ التَّصَرُّفِ المُطْلَقِ في الإِعْطاءِ وَالمَنْعِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيةِ :

١ـ مَا مَعْنى : ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّن عِندِ ٱللهِ خَيرٌ﴾ ؟ وَلِماذا جاءَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ نَكِرَةً وَلَمْ تأتِ مُعَرَّفَةً ؟

٢ـ اسْتَنْتِجْ سَبَبَ خَتْمِ الآيَةِ الأُولى (١٠٣) بقوْلِهِ : ﴿لَّو كَانُواْ يَعلَمُونَ﴾

٣ـ مَا السِّرُّ مِنْ خِطابِ المُؤْمِنينَ بِقَوْلِهِ : ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ؟

٤ـ لِماذا نَهَى اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ عَنْ قَوْلِ كَلِمَةِ : (رَاعِنا) ؟

٥ـ مَا الفَرْقُ بَيْنَ كَلِمَةِ (رَاعِنا) ، وكَلِمَةِ : انْظُرْنا ؟

٦ـ خُتِمَتِ الآيَةُ الكَريمَةُ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، مَا عَلاقَةُ هَذِهِ الخَاتِمَةِ بِنَهْيِ المُؤْمِنينَ عَنْ قَوْلِ كَلِمَةِ رَاعِنا ؟

٧ـ تَحَدَّثَتْ الآيَةُ الأَخِيرَةُ (١٠٥) عَنْ صِفَةٍ لِليَهودِ ، ما تِلْكَ الصِّفَةُ ؟

٨ـ مَا مَعْنى كَلِمَةِ : خَيرٌ ؟

٩ـ لِماذا حَسَدَ اليَهُودُ العَرَبَ ؟ وَما الَّذي يُريدونَهُ وَيَتَمَنَّوْنَهُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ أَمْراً آخَرَ حَرَّفَهُ اليَهودُ وَبَدَّلوهُ .

٢ـ وَرَدَ في كُتُبِ السُّنَّةِ كَيْفَ كَانَ اليَهودُ يُسَلِّمونَ عَلى الرَّسولِ ﷺ ، هاتِ حَديثاً يُبَيِّنُ ما كانوا يَقولونَ ، وَكَيْفَ كانَ الرَّسولُ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ الحادي والثّلاثونَ

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَنْسَخْ	: النَسْخُ لُغَةً : النَّقْلُ ، وَالإِزالَةُ ، واصْطِلاحاً : رَفْعُ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِدَليلٍ شَرْعِيٍّ جاءَ بَعْدَهُ .
نُنْسِها	: أَصْلُ النِّسيانِ : التَّرْكُ .
وَلِيٍّ	: مالِكٍ أَوْ مُتَولٍّ لأُمورِكُمْ .
يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بالإيمانِ	: يُفَضِّلِ الكُفْرَ عَلى الإيمانِ .

التَّفْسيرُ :

الآياتُ الكَريمَةُ ما زَالتْ تُحاجِجُ أُولئِكَ اليَهُودَ الَّذينَ يُثيرونَ الكَثيرَ مِنَ الشُّبُهاتِ حَوْلَ القُرآنِ الكَريمِ ، وَمِنْ هَذِهِ الشُّبُهاتِ إِنْكارُ أَنْ يَكونَ في القُرآنِ نَسْخٌ ، فَجاءَتِ الآياتُ تُناقِشُهُمْ في هذِهِ القَضِيَّةِ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ، أَيْ : أَيُّ شَيءٍ نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ، وَأَيُّ شَيءٍ قَدَّرْنا أَنْ يَنْساهُ النَّاسُ

مِنْ آيَةٍ ـ حُكْماً أَوْ لَفْظاً أَوْ هُما مَعاً ـ فَإِنَّنا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنَ الآيَةِ الَّتي أَرَدْنا نَسْخَها ، أَوْ أَرَدْنا أَنْ نُنْسِيَها النّاسَ ، وَلِذا قالَ تَعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ أَيْ : نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنَ المَنْسِيَّةِ ، أَوْ مِثْلِها .

والمَقْصودُ بِالخَيْرِيَّةِ في قَوْلِهِ : (خَيْرٍ مِنْها) تَرجِعُ إِلى ثَوابِ العَمَلِ بِها ، فَقَدْ يَكونُ ثَوابُ العَمَلِ بِالآيَةِ النّاسِخَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَوابِ العَمَلِ بِالمنسوخَةِ قَبْلَ نَسْخِها ، أَوْ مِثْلَها في الثَّوابِ .

النَّسْخُ إِذَنْ بَيانُ انْتِهاءِ الحُكْمِ المُسْتَفادِ مِنَ الآيَةِ المَتْلُوَّةِ ، وَحِكْمَتُهُ أَنَّ الأَحْكامَ ما شُرِعَتْ إِلاّ لِمَصْلَحَةِ النّاسِ ، وَهَذِهِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الزَّمانِ والمَكانِ ، فَإِذا شُرِعَ حُكْمٌ في وَقْتٍ كانَتِ الحاجَةُ ماسَّةً إِلَيْهِ ، ثُمَّ زالَتِ الحاجَةُ ، فَمِنَ الحِكْمَةِ نَسْخُهُ وَتَبديلُهُ بِحُكْمٍ يوافِقُ الوَقْتَ الآخَرَ ، فَيَكونُ خَيْراً مِنَ الأَوَّلِ أَوْ مِثْلِهِ في الفائِدَةِ لِلعِبادِ .

ثُمَّ أَقامَتِ الآياتُ الدَّليلَ عَلى إِمْكانِيَّةِ النَّسْخِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، وَالخِطابُ هُنا لِلرَّسولِ ﷺ ، وَالمَقْصودُ بِهِ المُؤْمِنونَ الَّذينَ كانوا يَمْتَعِضونَ مِنْ مُضايَقاتِ اليَهودِ ، وَمِمّا يَقولونَهُ مِنْ إِنْكارِ النَّسْخِ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ بِأَنَّهُ مالِكٌ لِجَميعِ الكائِناتِ ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ في أُمورِها ، وَالقادِرُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ لا يُسْتَنْكَرُ عَلَيْهِ نَسْخُ الأَحْكامِ ، فَهِيَ داخِلَةٌ في قُدْرَتِهِ تَعالى .

ثُمَّ ذَكَرَتِ الآياتُ دَليلاً عَلى كَمالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَهُوَ :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فَهُوَ سُبْحانَهُ مالِكُ جَميعِ الكائِناتِ العُلْوِيَّةِ ؛ أَيْ : السَّماواتِ وَما فيها ، وَالسُّفْلِيَّةِ ، أَيْ : الأَرْضِ وَما فيها ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ في أُمورِ المَخْلوقاتِ ، يُجْريها حَسَبَ ما تَقْتَضيهِ المَصْلَحَةُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ سُبْحانَهُ بِما يَتَعَبَّدُ بِهِ البَشَرُ مِنْ ناسِخٍ أَوْ مَنْسوخٍ ، لِذا لَيْسَ عَلى البَشَرِ إِلاّ طاعَةُ أَوامِرِ اللهِ تَعالى وَاجْتِنابُ نَواهيهِ ، فَلَهُ سُبْحانَهُ أَنْ يَنْسَخَ ما يَشاءُ مِنَ الأَحْكامِ ، وَهؤلاءِ اليَهودُ لَمْ يُقَدِّروا اللهَ تَعالى حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ زَعَموا أَنّ اللهَ تَعالى مِنَ المُحالِ أَنْ يَنْسَخَ حُكْماً ، وَاللهُ تَعالى يَمْحو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ما يَشاءُ حَسَبَ ما تَقْتَضيهِ حِكْمَتُهُ وَمَشيئَتُهُ فَهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي يَتَوَلّى أُمورَ النّاسِ ، وَيُعينُهُمْ عَلى أَعدائِهِمْ ، وَمَنْ كانَ اللهُ وَلِيَّهُ وَنَصيرَهُ عَلِمَ يَقيناً أَنَّ اللهَ تَعالى لا يَفْعَلُ إِلاّ ما هُوَ خَيْرٌ لِلإِنْسانِ في دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ .

وَتَنْتَقِلُ الآياتُ لِتَحذيرِ المُؤْمِنينَ مِنْ وَساوِسِ أُولئِكَ اليَهودِ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

أَمْ هُنا للاسْتِفْهامِ وَهي تُفيدُ الإِنْكارَ ، وَالمعنى : أَتُريدونَ أَيُّها المُؤْمِنونَ أَنْ تَسْأَلوا رَسُولَكُمْ أَنْ يَجيئَكُمْ بِآياتٍ كَما فَعَلَ قَومُ مُوسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، الَّذينَ كانوا يَطْلُبونَ مِنْ نَبيِّهِمْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالآياتِ البَيِّناتِ ، تَعَنُّتاً مِنْهُمْ وَتَكَبُّراً وَجُحوداً ، فَقالوا لَهُ مَثَلاً : (أرنا اللهَ جَهْرَةً) ، وَقالوا : (اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ) ، إِنَّهُ لا يَجوزُ لَكُمْ أَيُّها المُؤْمِنونَ أَنْ تَقْتَرِحوا عَلى نَبِيِّكُمْ مُقْتَرَحاتٍ تَتَنافى مَعَ إِيمانِكُمْ ، فالإِيمانُ الحَقُّ يَتَطَلَّبُ مِنْكُمُ التَّسْليمَ التَّامَّ بِما يأْتيكُمْ مِنْ رَسُولِكُمْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَتَعْمَلوا ما يأْمُرُكُمْ بِهِ ، وَتَنْتَهوا عَمّا يَنْهاكُمْ عَنْهُ ، وَالحَذَرَ الحَذَرَ أَيُّها المُؤْمِنونَ أَنْ تَكونوا مِثْلَ يَهودٍ في تَعَنُّتِهِمْ مَعَ رَسولِهِمْ .

وَأَتْبَعَ سُبْحانَهُ التَّحْذيرَ بِالوَعيدِ لأُولئِكَ ، فَقالَ تَعالى : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ مَنْ يَتْرُكْ تِلْكَ الآياتِ البَيِّنَةِ الَّتي أَنْزَلَها اللهُ تَعالى حَسَبَ ما تَقْتَضيهِ حِكْمَتُهُ ، وَما تَقْتَضيهِ مَصالِحُ البَشَرِ ، مَنْ تَرَكَ هَذِهِ الآياتِ وَطَلَبَ غَيْرَها مِنَ الآياتِ تَعَنُّتاً وَتَكَبُّراً وَعِناداً لِلرَّسولِ ﷺ ، فَقَدِ اخْتارَ الكُفْرَ عَلى الإيمانِ ، وَاسْتَحَبَّ العَمى عَلى الهُدى .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ النَّسْخُ واقِعٌ في كِتابِ اللهِ تَعالى لِحِكْمَةٍ تَقْتَضيها مَصْلَحَةُ البَشَرِ .

٢ـ الآياتُ النَّاسِخَةُ قَدْ تَكونُ خَيراً مِنَ المَنْسوخَةِ في ثَوابِ العَمَلِ ، أَوْ مِثْلَها في الخَيْرِيَّةِ .

٣ـ كَمالُ قُدرَةِ اللهِ تَعالى وَكَمالُ عِلْمِهِ بِما يَصْلُحُ لِلبَشَرِيَّةِ .

٤ـ مِنْ كَمالِ الإيمانِ ، العَمَلُ بِما يَأْمُرُ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، والانْتِهاءُ عَمَّا نَهى عَنْهُ ، وَعَدَمُ التَّعَنُّتِ في السُّؤالِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ عَرِّفِ النَّسْخَ لُغَةً واصْطِلاحاً .

٢ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى : نُنْسِها ؟

٣ـ ما المَقْصودُ بِالخَيْرِيَّةِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ ؟

٤ـ ذَكَرَتِ الآياتُ دَليلاً عَلى أَنَّ اللهَ تَعالى يَنْسَخُ الأَحْكامَ في القُرآنِ ، هَاتِ هَذا الدّليلَ .

٥ـ لِمَنِ الخِطابُ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿أَلَم تَعلَم أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ؟

٦ـ ماذا تَسْتَنْتِجُ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿أَلَم تَعلَم أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرضِ﴾ ؟

٧ـ ما مَعْنى (أَمْ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسئَلُواْ﴾ ؟

٨ـ ما الَّذي سَأَلَهُ قَوْمُ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؟

٩ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ نَهْيِ المُؤْمِنينَ عَنْ سُؤالِ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَسْئِلَةً لا خَيْرَ فيها ؟

١٠ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلكُفرَ بِٱلإِيمَانِ فَقَد ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ .

نَشاطٌ :

ـ نَهى رَسولُ اللهِ ﷺ عَنْ : قِيلَ وَقالَ وَكَثْرَةِ السُّؤالِ ، اشْرَحْ هَذِهِ الكَلِماتِ ، واكْتُبِ الحَديثَ عَلى لَوْحَةٍ في غُرْفَةِ الصَّفِّ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ الثّاني والثّلاثونَ

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَدَّ : تَمَنّى .

الحَقُّ : الثّابِتُ ، وَالمُرادُ بِهِ الإِسْلامُ .

حَسَداً : الحَسَدُ : قَلَقٌ يُصيبُ النَّفْسَ إِذا رَأَتْ نِعْمَةً عَلى إِنسانٍ ، فَتَمنّى الحاسِدُ زَوالَ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَنْهُ .

أَمانِيُّهُمْ : شَهَواتُهُمُ الباطِلَةُ .

تَبَيَّنَ : اتَّضَحَ وظَهَرَ .

بُرْهانَكُمْ : حُجَّتَكُمْ .

فاعْفُوا : العَفْوُ : تَرْكُ العِقابِ عَلى الذَّنْبِ .

أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ : أَخْلَصَ نَفْسَهُ وَعِبادَتَهُ للهِ .

واصْفَحوا : الصَّفْحُ : تَرْكُ المُؤاخَذَةِ عَلى الذَّنْبِ .



التَّفسيرُ :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

نَهَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ المُؤْمِنينَ عَنْ أَنْ يَكونوا مِثْلَ اليَهودِ ، وَجاءَتْ هَذِهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ العِلَّةَ في ذَلِكَ ، وَهِيَ ما يُضمِرُهُ أُولئِكَ اليَهودُ مِنَ الشَّرِّ لِلمُؤْمِنينَ ، فَكَثيرٌ مِنْهُمْ يُحِبُّونَ وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَرْتَدَّ أُولئِكَ المُؤْمِنونَ فَيَتْرُكوا الإيمانَ وَيَنْتَقِلوا إِلى الكُفْرِ كَما كانوا قَبْلَ مَجيءِ الرَّسولِ ﷺ . وَهَذا الأَمْرُ ناشِئٌ عَنْ حَسَدِ اليَهودِ لِلمُؤْمِنينَ وَبُغْضِهِمْ لَهُمْ ، وَحِقْدِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ لِيُبَيِّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ اليَهودَ كانَ مِنْهُمْ هَذا الخُلُقُ الذَّميمُ بِطَبيعَةٍ فيهِمْ ، وَلَيْسَ مِمَّا أَمَرَهُمْ بِهِ كِتابُهُمْ ، فَإِنَّ التَّوْراةَ قَدْ نَهَتْ عَنْ هَذا الخُلُقِ الذَّميمِ . وَالحَسَدُ كانَ مِنْهُمْ لِخُبْثِ أَنْفُسِهِمْ وَسوءِ طِباعِهِمْ . وَتَدُلُّ الجُمْلَةُ كَذَلِكَ عَلى أَنَّهُمْ في قَرارَةِ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ صِحَّةَ هَذا الدِّينِ الإِسْلامِيِّ ، وَلِذَلِكَ حَسَدوا المُؤْمِنينَ عَلى أَنْ كانَ هَذا الدِّينُ فيهِمْ . وَبَيَّنَ سُبْحانَهُ وَتَعالى أَنَّ المُسْلِمينَ عَلى حَقٍّ بِاتِّباعِهِمْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، فَقَدْ وَرَدَتْ صِفاتُ الرَّسولِ ﷺ في التَّوْراةِ ، وَبَشَّرَتْ بِهِ ، فَكُفْرُ أُولئِكَ اليَهودِ لَمْ يَكُنْ عَنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّما كانَ عَنْ عِنادٍ وَتَكَبُّرٍ وَحَسَدٍ .

ثُمَّ أَمَرَ سُبْحانَهُ وَتَعالى المُسْلِمينَ أَنْ يُقابِلوا شَرَّ هَؤُلاءِ اليَهودِ بِالعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، فَقالَ لَهُمْ سُبْحانَهُ وَتَعالى : عَلَيْكُمْ أَيُّها المُؤْمِنونَ أَنْ تُعامِلوا هَؤُلاءِ اليَهودَ بِمَحاسِنِ الأَخْلاقِ ، فَلا تَرْفَعوا السُّيوفَ في وُجوهِهِمْ ، وَلا تُقاتِلوهُمْ حَتّى يَأْذَنَ لَكُمُ اللهُ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْفوا عَنْهُمْ بِأَنْ تَتْرُكوا عِقابَ المُذْنِبِ ، وَتَصْفَحوا عَنْهُ بِتَرْكِ لَوْمِهِ وَتَعْنيفِهِ .

وَالمَقْصودُ بِأَمْرِ اللهِ هُنا ، الإِذْنُ لِلمُسْلِمينَ بِقِتالِ اليَهودِ ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعالى بِالعَفْوِ وَالصَّفْحِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ المُؤْمِنينَ مَعَ قِلَّتِهِمْ هُمْ أَصْحابُ القُدْرَةِ وَالقُوَّةِ ، لأَنَّ الصَّفْحَ لا يَكونُ إِلاّ مِنَ القادِرِ القَوِيِّ فَكَأَنَّهُ يَقولُ لَهُمْ : لا تَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ أَهْلِ الكِتابِ ، فَأَنْتُمْ عَلى قِلَّتِكُمْ أَقْوى مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ لِما أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ ، وَأَهْلُ الحَقِّ مُؤَيَّدونَ بِعِنايَةِ اللهِ تَعالى وَرِعايَتِهِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ القادِرُ عَلى أَنْ يَهَبَكُمُ القُوَّةَ العَظيمَةَ الَّتي تَتَضاءَلُ أَمامَها كُلُّ قُوى الشَّرِّ وَالبَغْيِ ، وَهُوَ القادِرُ عَلى أَنْ يُثَبِّتَكُمْ لِتَتَغَلَّبوا عَلى أَعْدائِكُمْ .

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠ ﴾ .

الوَسائِلُ الَّتي تُحَقِّقُ النَّصْرَ :

ذَكَرَتِ الآياتُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْضَ الوَسائِلِ الّتي تُحَقِّقُ النَّصْرَ الّذي وَعَدَهُمْ بِهِ اللهُ تَعالى وَهذِهِ هِيَ :

١ـ إقامَةُ الصّلاةِ : تِلْكَ العِبادَةُ البَدَنِيَّةُ الّتي توَثِّقُ الإيمانَ في نَفْسِ المُصلِّي الّذي يُناجي رَبَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وَتُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلوبِ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يَجْتَمِعونَ لِلصَّلاةِ ، بِتَعارُفِهِمْ وَتُنَزِّهُ النَّفْسَ عَنِ الوقوعِ في الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ .

٢ـ إيتاءُ الزَّكاةِ : وَهِيَ عِبادَةٌ ماليَّةٌ تُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلوبِ الأَغْنياءِ والفُقَراءِ ، فَتَتَحَقَّقُ الوِحْدَةُ لِلأُمَّةِ . فالصَّلاةُ فيها إِصْلاحٌ لِلفَرْدِ ، وَالزَّكاةُ فيها إِصْلاحٌ لِلمُجْتَمَعِ .

هاتانِ الوَسيلَتانِ هُما أَسْبابُ النَّصْرِ في الدُّنْيا ، وَكَذَلِكَ مِنْ أَسْبابِ السَّعادَةِ في الآخِرَةِ ، وَلِذا جاءَ في الآياتِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فَهُوَ سُبْحانَهُ لا يَخْفى عَلَيْهِ عَمَلُ عامِلٍ مَهْما قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، وَسَواءً كانَ خَيْراً أَوْ شَرّاً .

مَزاعِمُ أَهْلِ الكِتابِ :

وَتَنْتَقِلُ الآياتُ لِتُبَيِّنَ لَنا مَزاعِمَ أُخْرى مِنْ مَزاعِمِ أَهْلِ الكِتابِ ، تِلْكَ المَزاعِمِ الّتي أَرادوا مِنْها تَضْليلَ كُلِّ مَنْ لَيْسَ مِنَ اليَهودِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾ .

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ ، وَالضَّميرُ في (قالوا) يَعودُ إِلى اليَهودِ وَالنَّصارى ، فَقَدْ قالَتِ اليَهودُ : لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كانَ يَهودِيّاً ، وَقالَتْ النَّصارى : لَنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كانَ نَصْرانِيّاً ، وَما زالوا حَتّى يَوْمِنا هَذا يَقولونَ هَذا القَوْلِ ، وَيَقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ ﴾ وَهِيَ جُمْلَةٌ جاءَتْ تُبَيِّنُ أَنَّ ما يَدَّعيهِ هَؤُلاءِ ما هُوَ إِلاّ أَمانٍ يَتَمَنَّوْنَها عَلى اللهِ تَعالى بِغَيْرِ حَقٍّ وَلا بُرْهانٍ . ثُمَّ أَمَرَتِ الآياتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُطالِبَهُمْ بِالدَّليلِ عَلى صِحَّةِ ما يَدَّعونَ فَيَقولُ لَهُمْ : ﴿ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في ادِّعائِكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاّ اليَهُودِيُّ أَوْ النَّصرانِيُّ ، فَهاتوا دَليلَكُمْ وَبُرْهانَكُمْ عَلى صِحَّةِ ما تَقولونَ . وَفي هذا ما فيهِ مِنَ التَّكْذيبِ لِهؤُلاءِ المُدَّعينَ .

ثُمَّ أَبْطَلَتِ الآياتُ قَوْلَهُمْ مِنْ طَريقٍ آخَرَ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ و(بَلى) حَرْفٌ يُذْكَرُ في الجَوابِ لإِثْباتِ النَّفْيِ في الكَلامِ السَّابِقِ ، فَجاءَتْ تُثْبِتُ ما نَفَوْهُ ، وَهُوَ عَدَمُ دُخولِ الجَنَّةِ إلاّ لِمَنْ كانَ يَهودِيّاً أَوْ نَصْرانِيّاً ، أَيْ : بَلى إِنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَمْ يَكُنْ هوداً أَوْ نَصارى ، إِذْ رَحْمَةُ اللهِ تَعالى لا تَخْتَصُّ لِشَعْبٍ دونَ شَعْبٍ ، بَلْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ، وانْقادَ للهِ تَعالى وأَخْلَصَ في عَمَلِهِ وَعِبادَتِهِ ، فَالعَمَلُ لابُدَّ وأَنْ يَكونَ خالِصاً للهِ وَحْدَهُ ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكونَ مُطابِقاً لِلشَّريعَةِ الإِسْلامِيَّةِ .

الإيمانُ وَحْدَهُ ، كَما تُبَيِّنُ الآيَةُ ، لا يَكْفي لِنَجاةِ الإِنْسانِ مِنَ النّارِ ، بَلْ لابُدّ مِنَ العَمَلِ الصّالِحِ . إِنَّ هَؤُلاءِ الّذينَ أَسْلَموا وُجوهَهُمْ للهِ ، وَهَمْ مُحْسِنونَ لا خَوفٌ عَلَيْهِم ، فَلا تُساوِرُ نُفوسَهُمُ المَخاوِفُ وَلا الأَحْزانُ ، كَما هُوَ حالُ البَعيدينَ عَنْ دِينِ اللهِ تَعالى ، فَهُمْ في خَوْفٍ دائِمٍ مِمّا يُمْكِنُ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ ، وفي حُزْنٍ مِمّا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ مَصائِبَ ، بِسَبَبِ ما قَدَّمَتْهُ أَيْديهِمْ .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

وذَكَرَتِ الآياتُ بَعْدَ ذلِكَ ما دَأَبَ عَلَيْهِ أَهْلُ الكِتابِ في تَضْليلِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ فاليَهودُ يَعْتَقِدونَ أَنَّ النَّصارى لَيْسَتْ على شَيءٍ مِنَ الدِّينِ ، فَهُمْ قَدْ كَفَروا بِالمَسيحِ عَلَيْهِ السلام ، مَعَ أَنَّ تَوْراتَهُمْ بَشَّرَتْ بِهِ .

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أَيْ : لَيْسوا عَلى شَيءٍ مِنَ الدِّينِ الصَّحيحِ ، وَكُلُّ فَريقٍ يَقولُ ما يَقولُهُ وهُمْ يَتْلونَ الكِتابَ ، فَكلُّ فَريقٍ يَقولُ هذا القَوْلَ ، وَالحالُ أَنَّهُمْ يَتْلونَ الكِتابَ ، فَالتَّوْراةُ بَشَّرَتْ بِعيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَالإِنْجيلُ جاءَ فِيهِ ، بِأَنَّهُ جاءَ مُتَمِّماً لِلتَّوْراةِ .

ثُمَّ قال سُبْحانَهُ : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ ﴾ أَيْ : مِثْلَ هَذا القَوْلِ الّذي لَيْسَ عَلَيْهِ دَليلٌ وَلا بُرْهانٌ ، قالَ الجاهِلونَ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثانِ ، مِثْلَ قَوْلِ اليَهودِ والنَّصارى مِنْ تَكْذيبِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً وَتَكْذيبِ المُؤْمِنينَ ، وَالحَقُّ وَراءَ كُلِّ هَذِهِ المَزاعِمِ ، فَهُوَ إِيمانٌ خالِصٌ وَعَملٌ صالِحٌ ، وَلَوِ اهْتَدى النّاسُ إِلى هَذا لَما تَفَرَّقوا في الدِّينِ .

وَبَيَّنَتِ الآياتُ أَخيراً أَنَّ اللهَ هُوَ العَليمُ بِما عَلَيْهِ كُلُّ فَريقٍ مِنْ حَقٍ وَباطِلٍ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَحْكُمُ

بَيْنَهُمْ ، وَلَمْ تُبَيِّنِ الآياتُ بِماذا يَحْكُمُ ، فَالمَفْعولُ بِهِ هُنا مَحْذُوفٌ لِيُفيدَ التَّعْميمَ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ في كُلِّ أمْرٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الحَسَدُ خُلُقٌ ذَميمٌ نَهى عَنْهُ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الشَّريفَةُ ، وَيَنْبَغي عَلى المُؤْمِنِ تَجَنُّبُهُ .

٢ـ أَكْمَلُ المُؤْمِنينَ إيماناً أَحْسَنُهُمْ أَخْلاقاً .

٣ـ النَّصْرُ عَلى الأَعْداءِ لا يَكونُ إلاّ بِالالْتِزامِ بِشَرْعِ اللهِ تَعالى مِنْ إقامَةِ صَلاةٍ وإيتاءِ زَكاةٍ .

٤ـ الجَنَّةُ مَثْوىً لِلمُؤْمِنِ المُخْلِصِ في عَمَلِهِ .

٥ـ التَّقْليدُ في أُمورِ الدِّينِ باطِلٌ ، فَلا يَجوزُ لإنْسانٍ أَنْ يُقَرِّرَ أَمْراً في الدِّينِ إلاّ إذا كانَ عَلَيْهِ دَليلٌ .

٦ـ العَداوَةُ بَيْنَ اليَهودِ وَالنَّصارى عَداوَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، وَكُلُّ فَريقٍ يُحاوِلُ تَضْليلَ الفَريقِ الآخَرِ دائِماً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيةِ :

١ـ لِماذا يَتَمَنّى اليَهودُ ارتِدادَ المُؤْمِنينَ عَنْ دينِهِمْ ؟

٢ـ مَا مَعنى الحَسَدِ ؟

٣ـ عَلامَ يَحْسُدُ اليَهودُ المُؤْمِنينَ ؟

٤ـ أَمَرَتِ الآياتُ المُؤْمِنينَ بِمُقابَلَةِ الشَّرِّ بِالخَيرِ ، وضِّحْ ذَلِكَ .

٥ـ مَا الحِكْمَةُ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعالى المُؤْمِنينَ بِالعَفْوِ وَالصَّفْحِ ؟

٦ـ ذَكَرَتِ الآياتُ وَسائِلَ يُمكِنُ عَنْ طَريقِها تَحْقيقُ النَّصْرِ ، ما تِلْكَ الوَسائِلُ ؟

٧ـ بَيِّنْ سِرَّ التَّعْبيرِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّن خَيرٍ﴾ .

٨ـ مَنِ المَقْصودُ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَقَالُواْ لَن يَدخلَ ٱلجَنَّةَ إِلاَّ مَن كانَ هُوداً﴾ ؟

٩ـ قالَ اللهُ تَعالى : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ :

أـ مَنْ هُمُ الَّذينَ لا يَعْلَمونَ ؟

ب ـ ماذا قالَ هَؤُلاءِ الَّذينَ لا يَعْلَمونَ ؟

ج ـ مَنِ المَقْصودُ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿مِثْلَ قَوْلِهِم﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الآيَةَ الدَّالَّةَ عَلى مَعْرِفَةِ اليَهودِ لِلنَّبيِّ ﷺ .

٢ـ اكْتُبِ الآيَةَ الدَّالَّةَ عَلى أَنَّ عيسى عليهِ السلامُ جاءَ مُصَدِّقاً لِلتَّوْراةِ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ البَقَرَةِ - القِسْمُ الثّالِثُ والثَّلاثون

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَظْلَمُ	: الظُّلْمُ : وَضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ .
مساجِدَ	: مَوْضِعُ السُّجودِ وَعِبادَةِ اللهِ .
خَرابِها	: أَنْ تَكونَ مُهَدَّمَةً مُعَطَّلَةً .
خِزْيٌ	: ذُلٌّ وَهوانٌ وَصغارٌ .
فَثَمَّ	: فَهُنالِكَ .
سُبْحانَهُ	: تَنْزيهٌ للهِ تَعالى عَنِ اتِّخاذِ الوَلَدِ .
قانِتونَ	: مُطيعونَ خاضِعونَ وَمُنْقادونَ للهِ تَعالى .
بَديعُ السَّماواتِ	: مُبْدِعُها وَمُخْتَرِعُها عَلى غَيْرِ مِثالٍ سابِقٍ .



﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

عُنِيَ الإِسْلامُ أَوَّلَ ما عُنِيَ بِبناءِ المَساجِدِ الّتي يُذْكَرُ فِيها اسْمُ اللهِ تَعالى ، وَالقِيامُ عَلَيْها ، وَقَدْ جاءَتْ هذِهِ الآياتُ تَنْعى عَلى أُولئِكَ الّذينَ مَنَعوا أَنْ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ في المَساجِدِ ، وَسَعَوْا في هَدْمِها وَتَعْطيلِها .

وَالآياتُ ما زالَ سِياقُها في أَهْلِ الكِتابِ ، وَمَنْ هُمْ عَلى شاكِلَتِهِمْ مِنَ الوَثَنِيِّينَ ، الّذينَ خَرَّبوا المَساجِدَ وَهَدَموها ، وَلِذلِكَ يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ وَمَنْ : لِلاسْتِفهامِ ، وَهُوَ يُفيدُ النَّفْيَ ، وَالمَعنى : لا أَحَدَ أَشَدُّ ظُلْماً عِنْدَ اللهِ مِنْ هَذا الّذي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ الآياتُ .

وَذِكْرُ اللهِ كِنايَةٌ عَمّا يُؤَدّى فِيها مِنَ العِباداتِ ؛ إِذْ إِنَّ العِباداتِ كُلَّها فِيها ذِكْرٌ للهِ تَعالى .

وَمَعْنى الآيَةِ : لا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ تَجَرَّأَ وَتَعدَّى عَلى اللهِ تَعالى وخالَفَ أَمْرَهُ ، وَذلِكَ بِأَنْ مَنَعَ العِبادَةَ في المَساجِدِ ، وَسَعى في خَرابِها ، وَذلِكَ بِهَدْمِها وَتَعْطيلِ شَعائِرِ الدِّينِ فيها ، لِما في ذلِكَ مِنَ انْتِهاكٍ لِحُرْمَةِ الدِّينِ ، يُؤَدّي إِلى نِسيانِ النّاسِ الرَّقيبَ المُهَيْمِنَ عَلَيْهِم ، وَبِالتّالي تَفْشو فيهِمُ المُنْكَراتُ وَالفَواحِشُ ، وَأَكْلُ الحُقوقِ ، وسَفْكُ الدِّماءِ . وَالصَّلاةُ كَما بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى تَنْهى عَنْ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ .

المَساجِدُ إِذَنْ هِيَ الأَماكِنُ الّتي يُعْبَدُ فِيها اللهُ تَعالى ، وَلِذا لا يَجوزُ أَبداً هَدْمُها ، وَمِنْ سَماحَةِ الإِسْلامِ أَنَّ الشَّريعَةَ الإِسْلامِيَّةَ نَهَتْ عَنْ هَدْمِ كَنائِسِ أَهْلِ الكِتابِ وَبِيَعِهِمْ وَصَوامِعِهِمْ ، لِكَوْنِها بُنِيَتْ لِذِكْرِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ قالَ في شَأْنِ هَؤُلاءِ الّذينَ اعْتَدَوْا عَلى المَساجِدِ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ ﴾ أَيْ : أَنَّ أُولئِكَ الّذينَ حالوا بَيْنَ المَساجِدِ وَذِكْرِ اللهِ تَعالى وَسَعَوْا في خَرابِها ، كانَ يَنْبَغي عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْخلوها خائِفينَ مِنَ اللهِ تَعالى خاضِعينَ لَهُ ، شَديدي الخَشْيَةِ مِنْهُ ، فَكَيْفَ بِهِمْ يَدْخُلونَها مُفْسِدينَ وَمُخَرِّبينَ ؟ لَوْ كانَ عِنْدَهُمْ مِسْحَةُ عَقْلٍ ، لَعَرَفوا أَنَّ عِبادَةَ اللهِ تَعالى لَيْسَ فِيها إِلاّ النَّفْعُ في دينِهِمْ وَدُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ، وَأَنَّ في تَرْكِها كُلَّ الضَّرَرِ في دينِهِمْ وَدُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ كَذلِكَ .

لِذا نَجِدُ أَنَّ الآيَةَ خُتِمَتْ بِبَيانِ عاقِبَةِ أُولئِكَ المُخَرِّبينَ لِمَساجِدِ اللهِ ، بِأَنَّ لَهُمْ في الدُّنْيا خِزْياً ،

وأنَّ لَهُمْ في الآخرَةِ عَذاباً عَظيماً ، فالذُّلُّ وَالهَوانُ في الدُّنْيا ، وَالعَذابُ العَظيمُ في الآخِرَةِ ، بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَتَطاوِلِهِمْ عَلى بُيوتِ اللهِ .

وَقَدْ حَدَّثَنا التَّاريخُ عَمّا حلَّ بالّذينَ خَرَّبوا مَساجِدَ اللهِ ؛ حَدَّثَنا التَّاريخُ مَثَلاً عَنِ الرُّومانِيِّينَ الّذينَ دَخَلوا بَيْتَ المَقْدِسِ بَعْدَ المَسيحِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِقِيادَةِ تيطَسَ ، فَهَدَموا بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَتَقَسَّمَتْ دَوْلَتُهُمْ ، وَشَتَّتَ اللهُ تَعالى مُلْكَهُمْ ، ولِحَقَهُمُ الذُّلُّ والهَوانُ عَلى يَدِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَخَلوا البِلادَ .

وَمِمّا يَأْسى لَهُ القَلْبُ وَتَدْمَعُ لَهُ العَيْنُ ، أَنَّنا نَجِدُ أَعْداءَ هَذا الدِّينِ يَهْدِمونَ الكَثيرَ مِنَ المَساجِدِ في شَتَّى بِقاعِ العالَمِ عَلى مَرْأَىً وَمَسْمَعٍ مِنَ المُسْلِمينَ ، وَيُحوِّلونَ المَساجِدَ إِلى أَماكِنَ لِلَّهْوِ وَالبَغْيِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ باللهِ .

وَما دامَتِ الآياتُ تَحَدَّثَتْ عَنْ المَساجِدِ ، التي هِيَ أَماكِنُ لِلعبادَةِ ،وَكَثيرٌ مِنْ أَهْلِ المِلَلِ يَدَّعونَ أَنَّ العِبادَةَ لا تَجوزُ إِلاّ في المَساجِدِ ، بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ العِبادَةَ تَصِحُّ في شَتَّى بِقاعِ الأَرْضِ ، سَواءٌ أَكانَتْ داخِلَ المَسْجِدِ أَمْ خارِجَهُ :

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ .

وَالمَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ مَكانُ شُروقِ الشَّمْسِ وَغُروبِها ، وَالمَقْصودُ هُنا جَميعُ جِهاتِ الأَرْضِ ، أَيْ : أَيُّ مَكانٍ تَسْتَقْبِلونَهُ في صَلاتِكُمْ سَواءٌ أَكانَ مِنَ المَشْرِقِ أَمْ مِنَ المَغْرِبِ ، أَمْ مِنْ غَيْرِها مِنَ الجِهاتِ ، وَتَوجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلى القِبْلَةِ الّتي أَمَرَكُمْ اللهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْها ، فَأَنْتُمْ مُتَوَجِّهونَ إِلى اللهِ تَعالى ، فَأَيْنَما حَلَّ الإِنْسانُ واسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ المَطْلوبَةَ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ .

وَالوَجْهُ صِفَةٌ للهِ تَعالى نُؤْمِنُ بِها دونَ أَنْ نَبْحَثَ عَنْ تَكْييفِها ، وَخُتِمَتِ الآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لِبَيانِ سعةِ مُلْكِ اللهِ تَعالى ، وَسِعَةِ تَيْسيرِهِ عَلى العِبادِ ، لِكَوْنِهِ أَباحَ لِلمُسْلِمَ أَنْ يُصَلِّيَ في جَميعِ بِقاعِ الأَرْضِ ، وَقَدْ بَيَّنَ الرَّسولُ أَنَّهُ مِمّا اخْتُصَّ بِهِ أَنَّهُ ﷺ « جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً »[1] ، وَهُوَ سُبْحانَهُ عَليمٌ بِالمُتَوَجِّهِ إِليهِ أَيْنَما كانَ .

افْتِراءاتُ أَعْداءِ الدِّينِ :

وانْتَقَلتِ الآياتُ لِتُحَدِّثَنا عَنْ أَقاويلِ هَؤُلاءِ الضّالِّينَ ، فَقالَ تَعالى :

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ .

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وَالآيَةُ مَعْطوفَةٌ عَلى ما قالَهُ اليَهودُ والنَّصارى : ﴿وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ

---

(١) أخرجَهُ البُخاري/ كتاب جعلت لي الأرض مسجداً ، ومسلم ح (٨٠٨) كتاب التيمم ، باب قوله تَعالى : ﴿فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا . .﴾ ، والنسائي (٤٢٩) كتاب التيمم بالصعيد .

إلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى﴾ ، ﴿وَقالتِ اليَهودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيءٍ﴾ ، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وَالآيَةُ عامَةٌ في كُلِّ مَنِ ادَّعى للهِ وَلَداً ، فَقَدْ ادَّعى اليَهُودُ بِأَنَّ عُزَيْراً ابنُ اللهِ ، وادَّعى النَّصارى بِأَنَّ المَسيحَ ابنَ مَريْمَ ابنُ اللهِ تَعالى ، وادّعى المُشْرِكونَ بِأَنَ للهِ بناتٍ ، وَلا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكونَ هَذا القَوْلُ صَدَرَ مِنْ جَميعِ هَذِهِ الفِرَقِ أَمْ مِنْ بَعْضِ الأَفْرادِ .

وَيَرِدُّ اللهُ تَعالى هَذا القَوْلَ بِقَوْلِهِ : ﴿سُبحَانَهُ﴾ أَيْ : تَنْزيهاً لَهُ تَعالى عَنْ أَنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ : « لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلى أَذىً سَمِعَهُ مِنَ اللهِ ، إِنَّهُمْ يَجْعَلونَ لَهُ وَلَداً ، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعافيهِمْ »[(١)] .

وَيَقولَ سُبْحانَهُ رَداً عَلَيْهِم :

١ـ ﴿بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرضِ كُلٌّ قَانِتُونَ﴾ إِنَّ ما زَعَموهُ باطِلٌ ، فَإِنَّ الوالِدَ يَحْتاجُ إلى الوَلَدِ وَيَرْغَبُ فِيهِ ، لِيَعْتَزَّ بِهِ ، وَيُحيْي ذِكْرَهُ ، وَلِيَسْتَعينَ بِهِ عَلى القِيامِ بِأَعْباءِ الحَياةِ ، وَاللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنْ أَمْثالِ هذِهِ الأُمورِ ، لأَنَّ جَميعَ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ مُلْكٌ للهِ تَعالى ، قانِتٌ لِعِزَّتِهِ وَجَلالِهِ ، خاضِعٌ لِسُلْطانِهِ تَعالى ، مُنْقادٌ لإِرادَتِهِ تَعالى .

٢ـ وَتَرُدُّ عَلَيْهِمُ الآياتُ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعالى :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

إنَّ اللهَ تَعالى أَبْدَعَ السَّماواتِ والأَرْضَ ، أَيْ : أَنْشَأَها وَأَوْجَدَها عَلى غَيرِ مِثالٍ سابِقٍ ، فَهُوَ المُبْدِعُ لَهُما وَلِجَميعِ المَخْلوقاتِ فيهِما ، فَكَيْفَ صَحَّ أَنْ يُنْسَبَ إِليهِ شَيءٌ مِنْهُما ، وَهُوَ الوَلَدُ ، تَعالى اللهُ عَمّا يَقولونَ عُلُوّاً كَبيراً . وَهُوَ سُبْحانَهُ إذا أَرادَ إيجادَ أَمْرٍ وَإِحْداثَهُ ، فَإِنَّما يَأْمُرُهُ أَنْ يَكونَ مَوْجوداً فَيَكونَ كَما أَرادَ اللهُ تَعالى ، فَالتَّوالُدُ إِذَن مُحالٌ مِنْ جانِبِهِ تَعالى ، فَهُوَ واحِدٌ أَحَدٌ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المَساجِدُ هِيَ الأَماكِنُ الّتي جُعِلَتْ لِعِبادَةِ اللهِ تَعالى ، فَيَنْبَغي عَلى المُسْلِمينَ عِمارَتُها وَالحَيْلولَةُ دُونَ خَرابِها وَهَدْمِها .

---

(١) أخرَجهُ أحمد ، ح (١٩٥٢٧) وح (١٩٦٣٣) من المسند .

٢ـ عِنْدَ دُخولِ المَسْجِدِ ، عَلى الإِنْسانِ أَنْ يَدْخُلَ وَهُوَ يَعْلَمُ بِأَنَّهُ يُقبِلُ عَلى اللهِ تَعالى ، فَيَشْعُرُ بِالخِشْيَةِ وَالخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعالى ، وَيَدْخُلُ بِسَكِينَةٍ وَهُوَ يَرْجو رَحْمَتَهُ تَعالى وَمَغْفِرَتَهُ .

٣ـ عِبادَةُ اللهِ تَعالى والّتي مِنْها الصَّلاةُ ، لا تَكونُ في المَسْجِدِ فَقَط ، وَإِنَّما في أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقاعِ الأَرْضِ .

٤ـ اللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عَنْ اتِّخاذِ الوَلَدِ ، فَهُوَ مالِكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَما بَيْنَهُما .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّالِيةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّالِيةِ :

وَمَنْ أَظْلَمُ ، وَسَعَى في خَرابِها ، للهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ ، قانِتونَ .

٢ـ لِماذا جَعَلَ اللهُ تَعالى الّذي يَمْنَعُ ذِكْرَ اللهِ في المَساجِدِ مِنْ أَشَدِّ النّاسِ ظُلْماً ؟

٣ـ هَلْ دَعا الإِسْلامُ لِلحِفاظِ عَلى مَساجِدِ المُسْلِمينَ فَقطْ ؟ بَيِّنْ ذَلِكَ .

٤ـ كَيْفَ يَنْبَغِي عَلى الإِنْسانِ أَنْ يَدْخُلَ المَساجِدَ ؟

٥ـ ما جَزاءُ المُخَرِّبينَ لِلمَساجِدِ ؟

٦ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّ المَساجِدَ لَيْسَتْ وَحْدَها هِيَ الأَماكِنُ الّتي يُعْبَدُ فِيها اللهُ تَعالى ، وَضِّحْ ذَلِكَ .

٧ـ مَنْ هُمُ الّذينَ ادَّعوْا للهِ تَعالى الوَلَدَ ؟

٨ـ كَيْفَ رَدَّتِ الآياتُ عَلى أُولَئِكَ الّذينَ ادَّعوا الوَلَدَ للهِ تَعالى ؟

٩ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ .

نَشاطٌ :

١ـ هُناكَ آيَةٌ حَدَّدتْ صِفاتِ الّذينَ يَعْمُرونَ المَساجِدَ ، اكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سورَةَ الإِخْلاصِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ والثَّلاثونَ

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **لَوْلا** : كَلِمَةٌ لِحَضِّ الفاعِلِ عَلى الفِعْلِ ، وَمعناها : هَلاَّ .
- **آيَةٌ** : دَليلٌ وَحُجَّةٌ وَبُرهانٌ .
- **تَشابَهَتْ** : تماثَلَتْ .
- **يوقِنونَ** : اليَقينُ : هُوَ العِلْمُ القائِمُ عَلى دَليلٍ .

التَّفسيرُ :

رَدَّتِ الآياتُ السَّابِقَةُ على أُولئِكَ الَّذينَ يَدَّعونَ أَنّ للهِ وَلَداً ، وَتَرُدُّ هَذِهِ الآياتُ عَلى الَّذينَ أَنْكَروا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، سَواءٌ أَكانوا يَهُوداً أَمْ نَصارى أَمْ مُشْرِكينَ .

يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عِلماً نافِعاً ، فَهُمْ جاهِلونَ بِالكِتابِ وَالشَّرائِعِ قالوا : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾

أَيْ : هَلاّ يُكَلِّمُنا اللهُ مُشافَهَةً دونَ وَاسِطَةٍ ، فَيُخْبِرُنا بِأَنَّكَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِهِ ، كَما كَلَّمَكَ يا مُحَمَّدُ مَعَ أَنَّكَ بَشَرٌ مِثْلُنا ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أَيْ : تَأْتِينا بِبُرْهانٍ وَدَليلٍ عَلى صِدْقِكَ في ادِّعائِكَ النُّبُوَّةَ . وَقَدْ طَلَبوا ما طَلَبوا تَعَنُّتاً وَجُحوداً ، وَعِناداً واسْتِكْباراً ، وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِم بِقَوْلِهِ : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ﴾ مِثْلَ هَذا القَوْلِ الّذي قالَهُ الكافِرونَ المُتَعَنِّتونَ ، قالَ الجاحِدونَ الّذينَ كانوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَقَدْ كَذَّبوا هُمْ كَذَلِكَ رُسُلَهُمْ ، وَتَعَنَّتوا في طَلَبِ الآياتِ . وَفي هَذا تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ الرَّسولُ الّذي كَذَّبَهُ قَوْمُهُ فَقَط ، بَلْ إِنَّ الرُّسُلَ الّذينَ كانوا مِنْ قَبْلِهِ كُذِّبوا مِنْ أَقْوامِهِمْ كَذَلِكَ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ وتَعالى السَّبَبَ في اتِّحادِ أَقْوالِ الجاحِدينَ في عَصْرِ الرَّسولِ ﷺ ، مَعَ أَقْوالِ الّذينَ كانوا مِنْ قَبْلِهِمْ فَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾ أَيْ : تَماثَلَتْ قُلوبُ هَؤُلاءِ وَقُلوبُ مَنْ قَبْلَهُمْ في العَمى وَالقَسْوَةِ ، وَالعِنادِ ، فَقَدْ ساوَى الطُّغْيانُ بَيْنَهُمْ ، إِذْ إِنَّ الكُفْرَ مِلَّةٌ واحِدَةٌ ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ طُرُقُهُ واخْتَلَفَتْ وُجوهُهُ ، فَإِنَّ آثارَهُ مُتَشابِهَةٌ ، فَقَدْ طَلَبَ قَومُ سَيِّدِنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْ نَبِيِّهِمْ أَنْ يَرَوْا اللهَ جَهْرَةً ، وَقالَتِ النَّصارى : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ وَقالَ المُشْرِكونَ ما ذَكَرَهُ سُبْحانَهُ عَنْهُمْ هُنا .

ثُمَّ سَلَّى سُبْحانَهُ وتَعالى نَبِيَّهُ ﷺ بِقَوْلِهِ : ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فَهُوَ سُبْحانَهُ لَمْ يَتْرُكِ النَّاسَ بِلا آيَةٍ وَلا بُرْهانٍ ، بَلْ بَيَّنَ لِلنَّاسِ الآياتِ العَظيمَةَ عَلى يَدَيْ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَهَذِهِ الآياتُ لا تَدَعُ لِعاقِلٍ لَدَيْهِ الاسْتِعْدادُ لِلْعِلْمِ وَاليَقينِ مَجالاً لِلشَّكِّ أَوِ الرَّيْبِ ، وَلَكِنَّ المُعانِدينَ وَالمُكابِرينَ سَيَبْقى كُلُّ واحِدٍ فِيهِمْ يَتَبَجَّحُ بِطَلَبِ الآياتِ .

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ .

وَيُؤَكِّدُ سُبْحانَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى ، وَهُوَ الدينُ الصَّحيحُ الّذي اشْتَمَلَ على الأَحْكامِ الصّادِقَةِ ، لِتُبَشِّرَ بِالثَّوابِ مَنْ آمَنَ وَأَطاعَ اللهَ ، وتُنْذِرَ مَنْ عَصى وَكَفَرَ بِالعِقابِ : ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ يا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّ وَظيفَتَكَ أَنْ تُبَشِّرَ وَتُنْذِرَ ، وَلا يَضُرَّنَّكَ بَعْدَ ذلِكَ تَكذيبُ المُكَذِّبينَ الّذينَ يُساقونَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَجُحودِهِمْ إِلى الجَحيمِ : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٢٠] وَفي هَذا ما فيهِ مِنَ التَّسْلِيَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِئَلا يَضيقَ صَدْرُهُ مِنَ المُكَذِّبينَ بِهِ .

وَقَدْ كانَ النَّبِيُّ يُحِبُّ وَيَتَمَنَّى أَنْ يُبادِرَ أَهْلُ الكِتابِ إِلى الإيمانِ بِهِ ، وَأَنْ لا يَرى مِنْهُمُ المُكابَرَةَ وَالمُعانَدَةَ ، وَلِهذا شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرى إِعْراضَ اليَهودِ وَالنَّصارى عَنْ دَعْوَتِهِ مَعَ مُوافَقَتِهِ لَهُمْ في أَصْلِ دينِهِمْ ، وَمَقْصَدِهِ مِنْ تَوْحيدٍ للهِ تَعالى ، فَقالَ سُبْحانَهُ وتَعالى لِنَبِيِّهِ مُبَيِّناً حَقيقَةَ هَؤُلاءِ اليَهودِ وَالنَّصارى ، بِأَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنوا أَبَداً ، فَقالَ تعالى :

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ .

بَيَّنَ اللهُ تَعالى حَقيقَةَ ما عَلَيْهِ هَؤُلاءِ مِنَ البُعْدِ والجَفاءِ ، وَأَعْلَمَ نَبيَّهُ وَالمُؤْمِنينَ أَنَّ رِضاهُمْ مُتَوَقِّفٌ عَلى أَمْرٍ مُسْتَحيلٍ ، وَهُوَ دُخولُ النَّبيِّ في مِلَّةِ اليَهودِيَّةِ أَوِ النَّصْرانيَّةِ ، فَهُمْ يَرْضَوْنَ عَنْكَ إِذا اتَّبَعْتَهُمْ وَسِرْتَ مَعَهُمْ .

وَفي هٰذِهِ الآيَةِ دَليلٌ على أَنَّ اليَهودَ والنَّصارى كُلُّ فَريقٍ مِنْهُمْ قَدْ تَعَصَّبَ لِتَقاليدِهِ ـ مَعَ أَنَّهُمْ مُتَّحِدونَ في أَصْلِ الدِّينِ ـ واتَّخَذَ دينَهُ جِنْسيَّةً لا يُرْضيهِ مِنْ أَحَدٍ شَيْءٌ إِلاَّ الدُّخولَ فيها ، ولِذٰلِكَ قالَ تَعالى : ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أَيْ : ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّقاليدِ وَالأَهْواءِ الَّتي غَيَّروا بِها وَجْهَ الدِّينِ الواحِدِ .
وَتَأْمُرُ الآياتُ النَّبيَّ أَنْ يَرُدَّ عَلى هَؤُلاءِ فَيَقولَ لَهُمْ : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ فَالهُدى الصَّحيحُ هُوَ هُدى اللهِ الَّذي أَنْزَلَهُ عَلى أَنْبيائِهِ ، وَما أَنْتَ عَلَيْهِ يا مُحَمَّدُ هُوَ هُدى اللهِ الحَقِّ ، وَلَيْسَ ما جاءَ على أَلْسِنَةِ اليَهودِ والنَّصارى مِمّا أَمْلَتْهُ عَلَيْهِم أَهْواؤُهُمْ ، وَقَدْ قَصَرتِ الآياتُ هُدى اللهِ على الدِّينِ الحَقِّ الَّذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ .

وَيَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى لِنَبيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إِنْ أَرَدْتَ اسْتِرْضاءَهُمْ يا مُحَمَّدُ فَهُمْ لَنْ يَرْضَوْا عَنْكَ حَتّى تَتَّبِعَ أَهْواءَهُمْ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذي جاءَكَ يا مُحَمَّدُ مِنَ العِلْمِ اليَقينيِّ المُؤَيَّدِ بِالوَحْيِ الإِلٰهيِّ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالى لَنْ يَنْصُرَكَ وَلَنْ يَتَوَلّى شُؤونَكَ .

وَنَجِدُ أَنَّهُ تَعالى قالَ لِنَبيِّهِ ﷺ : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ : (إِذا اتَّبَعْتَ) . وَالفَرْقُ بَيْنَ (إِنْ) وَ (إِذا) أَنَّ (إِنْ) تَكونُ لِلأَمْرِ المَشْكوكِ في وُقوعِهِ ، وَ(إِذا) تَكونُ لِلأَمْرِ المُتَحَقِّقِ وُقوعِهِ ، واتِّباعُ النَّبيِّ لأَهْواءِ اليَهودِ والنَّصارى أَمْرٌ غَيْرُ مَتَحَقِّقٍ أَبَداً ، بَلْ هُوَ مُسْتَحيلٌ ، لأَنَّ الرَّسولَ ﷺ مَعْصومٌ ، وَلٰكِنْ هُوَ في الحَقيقَةِ خِطابٌ لِلْمُسْلِمينَ كافَةً في كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إِلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ هُوَ الَّذي تَكْفيهِ الآياتُ القُرْآنِيَّةُ الَّتي تُخاطِبُ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ ، والكافِرُ هُوَ الَّذي يُعانِدُ وَيَسْتَكْبِرُ وَيُطالِبُ بِالمَزيدِ مِنَ الآياتِ .

٢ـ الكُفْرُ مِلَّةٌ واحِدَةٌ ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ صُورُهُ واخْتَلَفَتْ أَشْكالُهُ ، وَهُوَ دائِماً في عَداءٍ مَعَ الحَقِّ الَّذي لَيْس لَهُ إِلاَّ صورَةٌ واحِدَةٌ .

٣ـ عَلى المُسْلِمِ أَنْ يَأْمُرَ بِالمَعْروفِ وَيَنْهى عَنِ المُنْكَرِ وَيَدعو إلى عِبادَةِ اللهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ حِسابُ النّاسِ عَلى كُفْرِهِمْ أَوْ إيمانِهِمْ .

٤ـ اليَهودُ والنَّصارى يَحْرِصونَ دائِماً عَلى إِخْراجِ المُسْلِمِ مِنْ دينِهِ ، لِيَظَلَّ إِنْساناً بِلا دِينٍ وَلا عَقيدَةٍ .

٥ـ اليَهودُ والنَّصارى كُلُّ فَريقٍ مِنْهُمْ مُتَعَصِّبٌ لِدينِه ، مَعَ أَنَّهُمْ لَيْسوا عَلى الحَقِّ ، وَالأَحْرى بِالمُسْلِمِ أَنْ يَنْتَصِرَ لِدينِهِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلى حَقٍّ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّالِيَةِ :

١ـ مَنِ الَّذينَ لا يَعْلَمونَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؟

٢ـ ما الآياتُ الّتي طَلَبَها هَؤُلاءِ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟

٣ـ كِيْفَ تَشَابَهَتْ قُلوبُ الكافِرينَ زَمَنَ الرَّسولِ مَعَ قُلُوبِ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؟

٤ـ كَيْفَ رَدَّتِ الآياتُ عَلى أُولَئِكَ الَّذينَ عانَدوا في طَلَبِ الآياتِ ؟

٥ـ ما صِلَةُ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ﴾ بِما قَبْلَها ؟

٦ـ اسْتَنْتِجْ ما تَدُلُّ عَلَيْهِ هذِهِ الآيَةُ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ .

٧ـ ما سِرُّ التَّعْبيرُ بـ (إِنْ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ ؟

٨ـ لِمَنَ الخِطابُ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ ؟

٩ـ ما الّذي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تَعالى : ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَطالِبَ المُشْرِكينَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ الّتي بَيَّنَتْها سورَةُ الإِسْراءِ .

٢ـ اكْتُبِ الآيَةَ مِنْ سورَةِ الإِسراءِ الدّالَّةَ عَلى مَطْلَبِ الكُفّارِ مِنَ الرَّسولِ ﷺ لاتِّخاذِهِ خَليلاً صَديقاً .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ البَقرَةِ - القِسْمُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

ﭐلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حَقَّ تِلاوَتِهِ : يَفْهمونَ أسرارَهُ ، ويَفْقَهونَ حِكْمَةَ تَشْريعِهِ .

تَجْزي : تَقْضي .

عَدْلٌ : فِدْيَةٌ .

التَّفسيرُ :

الآياتُ السَّابِقَةُ بَيَّنَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ لا يُرجى مِنْهُم إيمانٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، وَجاءَتْ هذِهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ أَنَّ هُناكَ نَفراً مِنْهُمْ يُرجى إيمانُهُمْ ، وَهُمُ الَّذينَ يَتَدَبَّرونَ كِتابَهُمْ وَيُمَيِّزونَ الحَقَّ وَالباطِلَ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

يَقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ طائِفَةٌ تَقْرَأُ التَّوْراةَ قِراءَةً فِيها تَفَهُّمٌ ، وَتَدَبُّرٌ ، وتَفَقُّهٌ لأَسْرارِها وَحِكَمِها ، وَلا تَتَّبِعُ آراءَ أُولَئِكَ الذينَ حَرَّفوا التَّوْراةَ وَحَمَلوها عَلى غَيْرِ مَحْمَلِها ، أُولَئِكَ يا مُحَمَّدُ هُمُ الَّذينَ يُقَدِّرونُ ما جِئْتَ بِهِ مِنَ الدِّينِ الصَّحيحِ ، وَيَعْقِلونَ أَنَّ

هَذا هُوَ الحَقُّ ، فَيُؤْمنونَ بِهِ إيماناً لا رَيْبَ فِيهِ ، وَيَهْتَدونَ بِهَدْيِهِ . وَمِنْ هَؤُلاءِ الَّذينَ آمَنوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ .

وَمِنْ عادَةِ القُرآنِ ـ كَما عَرَفْتَ ـ أَنَّهُ إذا تَحدَّثَ عَنْ الطَّائِفَةِ المُؤْمِنَةِ ، يُتْبِعُها بالحَديثِ عَنِ الطَّائِفَةِ الكاذِبَةِ ، وَذَلِكَ لِلرَّبْطِ بَيْنَ الأَضْدادِ ، وَهُوَ مِنْ أَساليبِ التَّرْغيبِ وَالتَّرْهيبِ ، فَهؤلاءِ المُؤْمِنونَ عَقَلوا الكِتابَ وَتَدَبَّروهُ ، وَلا شَكَّ في أَنَّهُمْ كانوا مِنَ المُفْلِحينَ ، أَمّا الفَريقُ الآخَرُ وَهُمْ : (مَنْ يَكْفُرُ بِهِ) ، أَيْ مَنْ يَكْفُرُ بِما أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ الحَقُّ ـ وَهُمْ كُثْرٌ ـ فَقَدْ غَيَّروا وَبَدَّلوا وَحَرَّفوا ، وَأَنْكَروا ما جاءَهُمْ مِنَ الحَقِّ ، فَهؤُلاءِ خَسِروا سَعادَةَ الدُّنْيا وَالمَجْدَ والسِّيادَةَ الّتي يُعْطيها اللهُ تَعالى لِمَنْ يَنْصُرُ دينَهُ ، وَخَسِروا سَعادَةَ الآخِرَةِ ، إِذْ فَوَّتوا عَلى أَنْفُسِهِمُ النَّعيمَ العَظيمَ الّذي أَعَدَّهُ اللهُ لِلمُؤْمِنينَ ، وَأَوْرَدوا أَنْفُسَهُمْ نارَ جَهَنَّمَ .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

مِنْ هُنا فَإِنَّ الّذينَ يَتْلونَ كِتابَ اللهِ تَعالى دونَ أَنْ يَتَدَبَّروا مَعانيهِ ، لا إيمانَ عِنْدَهُمْ ، لأَنَّهُمْ لا يَفْقَهونَ كَلامَ اللهِ وَلا تَصِلُ مَوْعِظَتُهُ إِلى قُلوبِهِمْ ، إِذِ القُرْآنُ مَليءٌ بِالعِبَرِ وَالعِظاتِ الّتي لابُدَّ وأَنْ يَسْتَفيدَ مِنْها الإِنْسانُ العاقِلُ ، فَقَدْ قالَ تَعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء : ٨٢] ، وَقالَ : ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] ، وَلِلأَسَفِ نَجِدُ أَنَّ هذِهِ الأُمَّةَ اليَوْمَ ، مَعَ كُلِّ تِلْكَ العِبَرِ وَالعِظاتِ ، تُعْرِضُ عَنِ الآياتِ ، وَتَتَّبِعُ في أُمورِها كُلِّها الأُمَمَ الغَرْبِيَّةَ ، فيما يَنْفَعُها وَما لا يَنْفَعُها ؛ وَسَبَبُ ذلِكَ أَنَّهُمْ يَقْرَؤُونَهُ أَوْ يَسْمَعونَهُ وَلكِنَّهُ لا يُجاوِزُ تَراقيهِمْ ، ولا يُحْدِثُ في نُفوسِهِمْ أَثَراً ، فَهؤُلاءِ لا يَجِدونَ في القُرْآنِ شِفاءً وَلا دَواءً .

وَبَعَد أَنْ أَقامَتِ الآياتُ الحُجَجَ عَلى أَهْلِ الكِتابِ ، ناداهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى بِتَلَطُّفٍ وَبِما يُحِبُّونَ مِنَ الأَسْماءِ ، مُذَكِّراً إِياهُمْ بِنِعَمِهِ الكَثيرَةِ الّتي أَنْعَمَها اللهُ عَلَيْهِم ، والّتي حَدَّثَتْنا سورَةُ البَقَرَةِ عَنْ كَثيرٍ مِنْها ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

إِنَّ مِنْ كَرَمِ اللهِ تَعالى بِالنِّعَمِ العَظيمَةِ ، أَنْ فَضَّلَهُمْ عَلى غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعوبِ ، وَجَديرٌ بِهِمْ أَنْ يَتَّعِظوا بِالكِتابِ الّذي خَصَّهُمُ اللهُ تَعالى بِهِ ، وَجَديرٌ بِهِمْ أَنْ يَتَدبَّروهُ وَيَعْمَلوا بِما جاءَ فيهِ ، وَلِذا عادَتِ الآياتُ تُذَكِّرُهُمْ هُنا مَرَّةً أُخْرى بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِم .

واتَّقوا يا بَني إِسْرائيلَ يا مَنْ بَدَّلْتُمْ كِتابَ اللهِ وَحَرَّفْتُموهُ ، وَكَذَّبْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، اتَّقوا يَوْماً

لا تَقْضي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً مِنَ الحُقوقِ الّتي لَزِمَتْها ، فَلا تُؤْخَذُ نَفْسٌ بِذَنْبِ أُخْرى وَلا تَدْفَعُ عَنْها شَيْئاً ، ولا يُؤْخَذُ مِنَ نَفْسٍ فِدْيَةٌ لِتَفْدِيَ نَفْسَها وَتَنْجو مِنْ نارِ جَهَنَّمَ ، وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ ، إِذْ إِنَّ أَهْلَ الكِتابِ كانوا يَعْتَقِدونَ بِشَفاعَةِ أَنْبيائِهِمْ لَهُمْ ، وَلَنْ يَأْتِيهِمْ كَذلِكَ ناصِرٌ يَنْصُرُهُمْ فَيَمْنَعُ عَنْهُمُ العَذابَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَهَكَذا يُخْبِرُهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّ هَذِهِ الأُمورَ كُلَّها لا تُنْجي الإِنْسانَ ، فَفي الآخِرَةِ تَكونُ الأُمورُ الآتِيَةُ :

١ـ لا تُؤْخَذُ نَفْسٌ بِذَنْبِ نَفْسٍ أُخْرى .

٢ـ لا يُقْبَلُ مِنْ أَحدٍ فِدْيَةٌ يَوْمَ القِيامَةِ .

٣ـ لَنْ يَكونَ هُناكَ شَفيعٌ فَيَشْفَعُ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ تَعالى .

٤ـ لَنْ يَكونَ هُناكَ كَذَلِكَ ناصِرٌ يَنصُرُ مِنْ دُونِ اللهِ تَعالى .

فما الأَمْرُ الّذي تَكونُ فيهِ النَّجاةُ ؟

إِنَّ الأَمْرَ الّذي يُنَجّي الإِنْسانَ مِنْ عَذابِ يَوْمٍ عَظيمٍ ، هُوَ اتِّباعُهُ طَريقَ الحَقِّ وَالهِدايَةِ . وَفي هذِهِ الآيَةِ تَرْهيبٌ لِمَنْ كانَ على صِفَةِ هَؤُلاءِ ، وَلِغَيْرِهِمْ كَذلِكَ ، لِيَحْرِصوا عَلى أَنْ لا يَكونوا مِنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تِلاوَةُ القُرآنِ الكَريمِ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ ، وَالعَمَلُ بِما جاءَ فيهِ .

٢ـ الجاهِلُ بِمعاني القُرآنِ الكَريمِ لا يُعْذَرُ أَمامَ اللهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الذِّكْرِ والعِلْمِ لِيُبَيِّنوا لَهُ آياتِ القُرآنِ .

٣ـ لا يَقومُ مَقامَ الاهْتِداءِ واتِّباعِ طَريقِ الحَقِّ شَيءٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، لا فِدْيَةٌ ولا شَفاعَةُ شافِعٍ ، ولا نَصْرُ ناصِرٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّالِيَةِ :

١ـ مَنِ المَقْصودُ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾ ؟

٢ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ .

٣ـ يَقولُ سُبْحانَهُ عَنِ الَّذينَ آتاهُمْ الكِتابَ : ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، ما الشَّيءُ الَّذي يُؤْمِنونَ بِهِ ؟

٤ـ ما نَتيجَةُ الكُفْرِ بِكتابِ اللهِ تَعالى ؟

٥ـ يَقولُ سُبْحانَهُ عَنِ الكافِرينَ : ﴿فَأُوْلَائِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ ، ما الَّذي خَسِرَهُ هَؤُلاءِ الَّذينَ تَحَدَّثَتْ عَنْهُمُ الآيَةُ ؟

٦ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أُموراً لا يُمْكِنُ أَنْ تُغْنِيَ عَنِ الاهْتِداءِ وَالإِيمانِ ، ما هِيَ ؟

٧ـ بَيِّنِ الفائِدَةَ مِنْ قِراءَةِ القُرآنِ الكَريمِ بِتَدَبُّرٍ ؟

نَشاطٌ :

١ـ وَرَدَ حَديثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُمَثِّلُ فيهِ حالَ القارِئينَ لِلقُرآنِ بِطَعْمِ بَعْضِ الثِّمارِ وَرائِحَتِها ، اكْتُبِ الحَديثَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ جاءَ في الآياتِ (٤٧ و٤٨) مِنْ سورَةِ البَقَرَةِ ما يُشْبِهُ ما وَرَدَ هُنا ، هَلْ في ذلِكَ تِكْرارٌ ، ارْجِعْ إِلى تَفْسيرِ المَنارِ (جـ١/ ص ٤٥٠) لِتَجِدَ الإِجابَةَ عَنْ هَذا السُّؤالِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والثّلاثونَ

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ابْتَلى : الابْتِلاءُ : الاخْتِبارُ والامْتِحانُ .

بِكلماتٍ : بأوامِرِ اللهِ ونواهيهِ .

فأَتَمَّهُنَّ : أدّاهُنَ وقامَ بِهِنّ عَلى وَجْهِ الكَمالِ .

إماماً : رَسولاً يَقْتَدي بِكَ النّاسُ .

البَيْتَ : بَيْتَ اللهِ الحرامِ في مَكَّةَ المُكَرّمةِ .

مَثابةً : مَكاناً يَرْجِعُ إليهِ النّاسُ ويَأْمَنونَ فيهِ .

أَمْناً : مَوْضِعَ أَمانٍ .

عَهِدْنا : وصَّيْنا .

العاكِفينَ : المُقيمينَ فيهِ .

التَّفسيرُ :

أَقامَتِ الآياتُ السّابِقَةُ الحُجَّةَ على أَهْلِ الكِتابِ لِعَدَمِ إيمانِهِمْ بِالنَّبِيِّ الّذي بَشَّرَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ ، وَلِتَلاعُبِهِمْ بِأُمورِ دينِهِمْ ، وَجاءَتْ هذهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ أَنَّ هَذا الإِسْلامَ الّذي يُنْكِرُهُ أَهْلُ الكِتابِ لَهُ أَصْلٌ

يُجِلُّهُ أَهْلُ الكِتابِ وَيَحْترِمونَهُ ، وَكَذَلِكَ العَرَبُ جَميعاً ، أَلا وَهُوَ مِلَّةُ إبراهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَاللهُ سُبْحانَهُ يَذْكُرُ هُنا أَهْلَ الكِتابِ الَّذينَ يَدَّعونَ أَفْضَلِيَّتَهُمْ على غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعوبِ ، وَيَدَّعونَ أَنَّهُمْ شَعْبُ اللهِ المخْتارُ ؛ يُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّهُمْ وَالعَرَبَ جَميعاً يَلْتَقونَ عِنْدَ نَسَبٍ واحِدٍ ، يوصِلُهُمْ بِسَيِّدِنا إبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ . يَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾ وَالخِطابُ في هَذِهِ الآياتِ لِلمُشْرِكينَ ، فَقَدْ أَقامَ اللهُ تَعالى الحُجَّةَ مِنْ قَبْلُ عَلى أَهْلِ الكِتابِ ، وهُنا يُقيمُ الحُجَّةَ على المُشْرِكينَ الَّذينَ يَنْتَسِبونَ إِلى إِسْماعيلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ويَفْتَخِرونَ بِبِنائِهِ الكَعْبَةَ ، وَلِذا لابُدَّ وأَنْ يَكونَ العَرَبُ كَما كانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ . يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى : اذْكُرْ يا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ وَلأَهْلِ الكِتابِ وَقْتَ أَنْ ابْتَلى اللهُ تَعالى إبْراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، أَيْ امْتَحَنَهُ واخْتَبَرَهُ بِما كَلَّفَهُ بِهِ مِنَ الأَوامِرِ والنَّواهي فَأَدّاها عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَأَتى بِها عَلى وَجْهِ الكَمالِ ، كَما قالَ تَعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] .

وَقَدْ جاءَتِ الفاءُ في قَوْلِهِ : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ وَهِيَ تُفيدُ التَّعْقيبَ ، لِتُبَيِّنَ أَنَّ سَيِّدَنا إبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ امْتَثَلَ على الفَوْرِ ، وَهذا دَليلٌ على شِدَّةِ عَزْمِهِ وَقُوَّةِ يَقينِهِ .

﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ وَالجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ ، جاءَتْ لِتُبَيِّنَ ما مَنَّ اللهُ بِهِ على إبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْ نِعَمٍ وَرِفْعَةٍ في الشَّأْنِ ، وَالمَعْنى : إِنِّي جاعِلُكَ يا إبْراهيمُ رَسولاً يُؤْتَمُّ بِكَ ، وَيُقْتَدى بِهَدْيِكَ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ ، فَدَعا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ النّاسَ إِلى تَوحيدِ اللهِ تَعالى وَالبَراءَةِ مِنَ الشِّرْكِ ، وَهَذِهِ هِيَ الحَنيفِيَّةُ السَّمْحَةُ .

وَهَذِهِ الجُمْلَةُ جاءَتْ جَواباً عَنْ سُؤالٍ يُمْكِنُ أَنْ يَخْطُرَ في نَفْسِ السّامِعِ ، فَجاءَ الجَوابُ ، قالَ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ واجْعَلْ يا رَبُّ مِنْ ذُرِّيَّتي أَئِمَّةً يُقْتَدى بِهِمْ . وَهَذا مِمّا فُطِرَ عَلَيْهِ الإِنْسانُ أَنْ يَتَمَنّى الخَيْرَ لِذُرِّيَّتِهِ فَهُوَ يَرْجو أَنْ يَكونَ ابْنُهُ أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَقالَ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ ﴾ (الَّتي) تُفيدُ التَّبْعيضَ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَنَّهُ لَنْ تَكونَ الذُّرِّيَّةُ كُلُّها على طَريقِ الحَقِّ ، فَسَيَكونُ هُناكَ ضالّونَ كافِرونَ .

وَلكِنْ بِماذا أَجابَ اللهُ سَيِّدَنا إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ هَذا سُؤالٌ أَيْضاً يَخْطُرُ في بالِ السّامِعِ ؛ لِتَأْتِيَ الإِجابَةُ عَنْ سُؤالِهِ ، فَيَقولُ لَهُ سُبْحانَهُ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قالَ سُبْحانَهُ : إِنِّي قَدْ عاهَدْتُكَ وَأَجَبْتُكَ على طَلَبِكَ يا إبْراهِيمُ ، وَسَأَجْعَلُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ أَئِمَّةً لِلنّاسِ ، وَلكِنَّ عَهْدِيَ هَذا بِالإِمامَةِ لا يَنالُهُ الظّالِمونَ ، إِذِ الظّالِمُ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكونَ إِماماً يَقْتَدي بِهِ النّاسُ ، فَالإِمامَةُ الصّالِحَةُ لا تَكونُ إِلاّ لِذَوي النُّفوسِ الفاضِلَةِ الَّتي تَأْمُرُ أَصْحابَها بِالأَعْمالِ الصّالِحَةِ ، وَتَرُدُّهُمْ عَنِ الشُّرورِ وَالآثامِ ،

وَمِنْ أَهَمْ أَعْمالِ الإِمام رَفْعُ الظُّلْمِ وَالفَسادِ حَتّى يَسودَ الأَمْنُ والطُمَأْنينَةُ بَيْنَ النّاسِ ، وَالظّالِمُ لا يُمْكِنُهُ فِعْلُ هَذا ، لأَنَّ فاقِدَ الشَّيءِ لا يُعْطيهِ .

وَتَنْتَقِلُ الآياتُ لِتُحَدِّثَنا عَمّا مَنَّ اللهُ بِهِ على العَرَبِ مِنْ جَعْلِ البَيْتِ الحَرامِ مَرْجِعاً لِلنّاسِ يَقْصِدونَهُ ، وَجَعْلِهِ مَكاناً آمِناً يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النّاسُ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ أَيْ : اذْكُروا حينَ جَعَلْنا البَيْتَ الحَرامَ لِلنّاس يَثوبونَ إِلَيهِ لِلعِبادَةِ ، وَيَقْصُدونَهُ لأَداءِ المناسِكِ ، وَجَعْلناهُ آمِناً يَطْمَئِنُّ أَهْلُهُ بِهِ ، وَلا يَخافونَ مِنْ مَكْروهٍ يُصيبُهُمْ في البَيْتِ الحَرام ، فَإِنَّ النّاسَ يُعَظِّمونَ هَذا المَكانَ فلا يَسفِكونَ الدِّماءَ فِيهِ .

وَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ حَيْثُ جاءَ الفِعْلُ بِصيغَةِ الأَمْرِ : (واتَّخِذوا) ، وَذلِكَ كَيْ يَفْهَمَ كُلُّ سامِعٍ وكُلُّ تالٍ لِلآيَةِ الكَريمَةِ أَنَّ الأَمْرَ مُوَجَّهٌ إِلَيْهِ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ، وَلَيْس مُوَجَّهاً فَقَط إِلى سَلَفِهِمْ في عَهْدِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَالمَقامُ : هُوَ الحَجَرُ الَّذي كانَ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقِفُ عَلَيْهِ عِنْدَ بِناءِ الكَعْبَةِ لَمّا ارْتَفَعَ الجِدارُ ، وَمَعْنى اتِّخاذِهِ مُصَلًّى : القَصْدُ إِلى الصَّلاةِ عِنْدَهُ . عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ طافَ بِالبَيْتِ سَبْعاً وَصَلّى خَلْفَ المَقامِ رَكْعَتَيْنِ[1] .

ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ أَيْ وَصَّيْنا إِبْراهيمَ وإِسْماعيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ أَنْ يُطَهِّرا البَيْتَ الحَرامَ ، ومَعْنى تَطْهيرِهِ : صِيانَتُهُ مِنْ كُلِّ مالا يَليقُ بِبُيوتِ اللهِ تَعالى مِنَ الرِجْسِ المَعْنَوِيِّ كَالشِرْكِ بِاللهِ وَعِبادَةِ الأَصْنامِ ، والرِّجْسِ الحِسِّيِّ مِثْلَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ والتَّنازُعِ حينَ يُؤَدّي النّاسُ العِباداتِ في البَيْتِ الحَرام .

وَالطّائِفونَ : هُمْ المُتَقَرِّبونَ إِلى اللهِ تَعالى بِالطَّوافِ حَوْلَ الكَعْبَةِ ، والعاكِفونَ : المُقيمونَ في الحَرَمِ بِقَصْدِ العِبادَةِ ، والرُّكَّعِ السُّجودِ : هُمْ المُصَلّونَ الّذينَ يَرْكَعونَ للهِ وَيَسْجُدونَ لَهُ .

وَقَدْ ذَكَرَتْ هذهِ الآيَةُ جَميعَ أَصْنافِ العابِدينَ في البَيْتِ الحَرام :

١ـ الطّائِفونَ : الّذينَ يَأتونَ لِحَجٍّ أَوْ لِعُمْرَةٍ ثُمَّ يَنْصَرِفونَ إِلى بُلْدانِهِمْ .

٢ـ العاكِفونَ : الّذينَ يُقيمونَ في الحَرَمِ بِقَصْدِ الإِكْثارِ مِنَ العِبادَةِ في المَسْجِدِ .

٣ـ المُصَلّونَ : الّذينَ يَتَقَرَّبونَ إِلى اللهِ بِالصَّلواتِ سَواءً أَكانَتْ فَرْضاً أَمْ نوافِلَ .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم/ كتاب الحج .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الإمامَةُ لا يَنالُها مَنْ دَنَّسَ نَفْسَهُ ودَسَّاها بِالظُّلمِ وَقَبيحِ الصِّفاتِ ، إِنَّما يَنالُها مَنْ كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ وَصَفَتْ نَفْسُهُ .

٢ـ مِنْ كَمالِ الإِيمانِ الالتِزامُ بِأَوامِرِ اللهِ تَعالى ونَواهيهِ عَلى أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَتَمِّهِ .

٣ـ جَعَلَ اللهُ البَيْتَ الحَرامَ آمِناً يَأْمَنُ فِيهِ النَّاسُ عَلى نُفوسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ وَأَعْراضِهِمْ ، وهذِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى .

٤ـ البَيْتُ الحَرامُ مَكانٌ لِعبادةِ اللهِ تَعالى ، يَنْشَغِلُ فيهِ النَّاسُ بِالطَّوافِ حَوْلَ الكَعْبَةِ والسَّعْي بَيْنَ الصَفا والمَروةِ ، والصَّلاةِ والدُّعاءِ .

٥ـ مِنَ السُّنَّةِ صَلاةُ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الطَّوافِ عِنْدَ مَقامِ سَيِّدنا إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّالِيةِ :

١ـ بَيِّنْ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّالِيةِ :

الابتِلاءُ ، فَأَتَمَّهُنَّ ، إماماً ، مَثابَةً ، العاكِفينَ .

٢ـ ما الكَلِماتُ الّتي ابتَلى بِها اللهُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ بَيِّنْ مَعْنى : الحَنيفِيَّةِ السَّمْحَةِ .

٤ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ؟ وَبِماذا أَجابَ اللهُ تَعالى ؟

٥ـ ما سِرُّ التَّعبيرِ بِـ(مِنْ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ؟

٦ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ : ﴿وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ مُبَيِّناً لِمَ جاءَ الفِعْلُ(اتَّخذوا) بِصيغَةِ الأَمْرِ .

٧ـ كَيْفَ يَكونُ تَطهيرُ البَيْتِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ ؟

٨ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أَصْنافَ العابِدينَ في البَيْتِ الحَرامِ ، فَمَنْ هُمْ ؟

نَشاطٌ :

ـ مَنِ الأَنْبياءُ الَّذينَ نَالوا النُّبوَّةَ وَالإمامَةَ مِنْ ذُرِّيَّةِ سَيِّدنا إِبْراهيمَ ﷺ ؟ اكْتُبْ أَسْماءَ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ البَقَرَةِ - القِسْمُ السّابِعُ والثّلاثونَ

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَضْطَرّهُ : أَدْفَعُهُ وأَسوقُهُ .

القَواعِدَ مِنَ البيْتِ : أساسَ الكَعْبَةِ المُشرَّفَةِ .

مُسْلِميْنِ لَكَ : مُنْقادَيْنِ خاضِعَيْنِ مُخْلِصَيْنِ لَكَ .

أَرِنا مَناسِكَنا : عَرِّفْنا شَرائِعَ عِبادَتِنا مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ .

يُزَكِّيهِمْ : يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ والمعاصي وسيِّءِ الأَخْلاقِ .

العَزيزُ : القَوِيُّ الغالِبُ .

الحَكيمُ : الّذي لا يَفْعَلُ إلاّ ما تَقْتَضيهِ المَصْلَحَةُ .

التَّفسيرُ :

ذَكَّرَ سُبْحانَهُ وتَعالى العَرَبَ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ ، وذلكَ بِجَعْلِ البَيْتِ الحَرامِ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ، ويُذَكِّرُهُمْ هُنا سُبْحانَهُ بِدُعاءِ سَيِّدِنا إبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِأَنْ يَجْعَلَ اللهُ هذا البَلَدَ آمِناً ، وَكَيْفَ

أَنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى اسْتَجابَ لَهُ . يَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ ﴾ اذْكُرْ يا مُحَمَّدُ ﷺ أو يا مَنْ تَتْلو كِتابَ اللهِ تَعالى ، وَقْتَ أَنْ تَوَجَّهَ إِبْراهيمُ ﷺ إلى رَبِّهِ بِالدُّعاءِ وَالتَّضَرُّعِ بِأَنْ يَجْعَلَ اللهُ تَعالى البَيْتَ الحَرامَ آمِناً ، يَأْنَسُ إِلَيْهِ النّاسُ وَيَأْمَنونَ فيهِ مِنَ الخَوْفِ ؛ آمِناً مِنْ أَنْ يَدْخُلَهُ الجَبابِرَةُ فَيَعيثوا فيهِ فَساداً ، وَآمِناً كَذلِكَ مِنْ أَنْ تَحِلَّ فيهِ عُقوبَةٌ إِلهيَّةٌ كَما يَحْدُثُ في غَيْرِهِ مِنَ البُلْدانِ وذٰلِكَ كَالزَّلازِلِ ، وَالخَسْفِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ .

وَقَدِ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِسَيِّدنا إِبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ما طَلَبَهُ مِنْهُ ، وَدَعا كَذلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ رَبَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ ﴾ أَسْأَلُكَ يا رَبُّ أَنْ تَرْزُقَ أَهْلَ هَذا البَلَدِ الَّذينَ يُؤْمِنونَ بِكَ ، وَيُؤْمِنونَ بِاليَوْمِ الآخِرِ ، مِنَ الثَّمَراتِ ما يَسُدُّ حاجاتِهِمْ وَيُغْنيهِمْ عَنِ الاحْتِياجِ لِغَيْرِكَ . وَقَدْ خَصَّ عَلَيْهِ السَّلامُ المُؤْمِنينَ ، تَرْغيباً لأَهْلِ مَكَّةَ بِالحِرْصِ عَلى الإيمانِ ، لأَنَّهُمْ إِذا عَلِموا أَنَّ دَعْوَةَ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ خاصَّةٌ بِالمُؤْمِنينَ ، تَجَنَّبوا الكُفْرَ وابْتَعَدوا عَنْهُ ، أَوْ قَدْ يَكونُ كَذلِكَ تَأَدُّباً مَعَ اللهِ تَعالى ؛ إِذْ إِنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لِلمُؤْمِنينَ فَقَط ، وذٰلِكَ أَنَّ اللهَ تَعالى قالَ لَهُ مِنْ قَبْلُ : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

وَقَدْ خَصَّ هُنا سُبْحانَهُ الإيمانَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، وذٰلِكَ أَنَّها أَصْلُ المَعْرِفَةِ ، فَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، فَقَدْ آمَنَ بِكُلِّ ما سِواهُما مِنَ الأَرْكانِ .

ثُمَّ بَيَّنَتِ الآياتُ مَصيرَ الكافِرينَ :

﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ ﴾ وَفي الآيَةِ حَذْفٌ مَفْهومٌ مِنَ السِّياقِ ، وَهَذا مِنْ بَلاغَةِ القُرآنِ في الإِيجازِ ؛ إِذِ الجُمْلَةُ (وَمَنْ كَفَرَ) مَعْطوفَةٌ عَلى المَحْذوفِ ، أَيْ قالَ اللهُ تَعالى : يا إِبْراهيمُ قَدْ أَجَبْتُ دَعوَتَكَ وَرَزَقْتُ المُؤْمِنينَ مِنْ هذا البَلَدِ وَرَزَقْتُ الكافِرينَ أَيْضاً ، وَلٰكِنّي أُمَتِّعُ الكافِرينَ بِهذا الرِّزْقِ زَمَناً قَليلاً مَحْدوداً وَقَصيراً ، وَهُوَ زَمَنُ وُجودِهِمْ في الدُّنْيا ، ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ يَوْمَ القِيامَةِ أَسوقُهُمْ سَوْقاً اضْطِرارِيّاً لا خِيارَ لَهُمْ فيهِ إِلى عَذابِ النّارِ ، وبِئْسَ المَصيرُ النّارُ لِهؤُلاءِ . وَإِذا كانَ اللهُ تَعالى يَرْزُقُ المُؤْمِنينَ لِكَوْنِهِمْ أَهْلاً لأَنْ يُنْعِمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ خَيْرٍ ، فَإِنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يُمَتِّعُ الكافِرينَ بِالرِّزْقِ لِيَسْتَدْرِجَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وَهَذا دَليلٌ عَلى أَنَّ عَمَلَ الإِنْسانِ اخْتِيارِيٌّ ، وَبِالتّالي فَإِنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يُعَذِّبُ الكافِرينَ عَلى هَذا الطَّريقِ الَّذي ساروا فيهِ مِنَ الكُفْرِ والجُحودِ .

وانْتَقَلَتِ الآياتُ لِتُحَدِّثَنا عَنْ دَعْوَةٍ ثالِثَةٍ دَعاها إِبْراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

أَيْ : واذْكُرْ يا مُحَمَّدُ ﷺ أَوْ يا مَنْ تَتْلو كِتابَ اللهِ ، وَقْتَ أَنْ بَدَأَ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِمُعاوَنَةِ ابْنِهِ إِسْماعيلَ ﷺ بِوَضْعِ أَساساتِ الكَعْبَةِ ، وَهُما يَتَضَرَّعانِ إِلى اللهِ تَعالى ، وَيَقولونَ يا رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا أَقْوالَنا وَأَعْمالَنا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ لأَقوالِنا ، العَليمُ بِأَعْمالِنا وَبِنيّاتِنا فيها .

وَفي هذِهِ الآيَةِ دَليلٌ عَلى أَنَّهُما عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، هُما أَوَّلُ مَنْ بَنَيا الكَعْبَةَ المُشَرَّفَةَ ، وَوَضَعا الأُسُسَ لَها ، فَما يُروى مِنْ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حَجَّ إِلى البَيْتِ ، وَمِنْ أَنَّهُ في زَمَنِ سَيِّدِنا نوحٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَدِ ارْتَفَعَ وَقْتَ الطّوفانِ إِلى السَّماءِ ثُمَّ عادَ وَرَجَعَ إِلى الأَرْضِ ، فَهَذِهِ كُلُّها رِواياتٌ لا أَساسَ لَها مِنَ الصِّحَةِ ، فَالكَعْبَةُ المُشَرَّفَةُ لَمْ تُبْنَ إِلاّ عَلى يَدِ إِبْراهيمَ وإِسْماعيلَ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وَيَسْتَمِرّانِ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ بِالدُّعاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلى اللهِ تَعالى قائِلينَ :

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ ﴾ والإِسْلامُ : الإِخْلاصُ للهِ تَعالى في الاعْتِقادِ والعَمَلِ ، وَالإِخْلاصُ للهِ ، أَنْ لا يَتَوَجَّهُ المُسْلِمُ بِقَلْبِهِ إِلاّ إِلى اللهِ تَعالى ، وَلا يَسْتَعينُ بِأَحَدٍ إِلاّ باللهِ .

والإِخْلاصُ في العَمَلِ : أَنْ يَقْصُدَ بِعَمَلِهِ مَرْضاةَ اللهِ تَعالى ، لا اتِّباعَ الهَوى وإِرْضاءَ الشَّهْوَةِ .

سَأَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ النَّبِيّينَ العَظيمينِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكونَ مُخْلِصاً للهِ تَعالى مُنْقاداً ، وخاضِعاً لَهُ ، في اعْتِقادِهِ وَعَمَلِهِ ، وسَأَلا هذا الأَمْرَ كذلكَ لِذُرِّيَّتِهِما ، أَي : واجْعَل مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً كإِسْلامِنا لِيَسْتَمِرَّ الإِسْلامُ والانْقِيادُ والخَضوعُ للهِ بِقوَّةِ الأُمَّةِ وتَعاوُنِ الجَماعَةِ ، وقَدْ أَجابَ اللهُ هذا الدُّعاءَ ، فَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما سَيِّدَنا مُحَمَّداً ﷺ وأَتْباعَهُ ، ودَعَوا اللهَ تَعالى أَنْ يُرِيَهُما مَناسِكَهُما ، أَيْ : أَنْ يُعلِّمَهُما مَواضِعَ النُّسُكِ ، الّذي هُوَ في غايَةِ العُبودِيَّةِ والطاعَةِ للهِ ، واسْتُعْمِلَتِ المَناسِكُ وشاعَ اسْتِعمالُها في أَعْمالِ الحَجِّ كَالطَّوافِ والسَّعْيِ وغَيْرِهِما .

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ والتَّوبَةُ هِيَ النَّدَمُ عَلى الذَّنْبِ والإِقْلاعُ عَنْهُ ، والعَزْمُ عَلى عَدَمِ العَوْدَةِ إِليهِ ، وَردُّ المَظالِمِ إِلى أَهْلِها .

ومَعْنى : تُبْ علينا : أَيْ : وَفِّقنا للتَّوبَةِ ، وتَقَبَّلْ هذهِ التَّوبَةَ مِنّا ، فَإِنَّكَ يا رَبُّ كَثيرُ القَبولِ لِتَوبَةِ المُنيبينَ إِليكَ ، وذَلِكَ بِتوفيقِهِمْ لِحُسْنِ العَمَلِ ، فَتَمْحوَ عَنْهُمُ الذَّنْبَ الّذي اقتَرَفوهُ ، وتَرْحَمَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بالإِحسانِ إِليهِمْ ، والإِنْعامِ عَلَيْهِمْ بِجَنّاتِ النَّعيمِ يومَ القيامَةِ ، وبِرِعايَتِكَ ولُطْفِكَ بِهِمْ في الدُّنيا .

وخَتَمَ نبيُّ اللهِ إبراهيمُ ونبيُّهُ إسْماعيلُ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، دُعاءَهُما بِدَعوةٍ فيها خَيْرُ النّاسِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، وَهيَ :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

ربَّنا أَرْسِلْ في هذِهِ الأُمَّةِ المُسْلِمَةِ ، ومِنْ تِلكَ الذُّرِيَّةِ المُؤْمِنَةِ رَسولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ ، حتّى يَكونَ أشْفَقَ عَلَيْهِمْ، ولِيَكونوا أعِزّاءَ بِهِ ، وقَدْ أَجابَ اللهُ دَعْوَتَهُما وأَرْسَلَ خاتِمَ الأنْبياءِ سَيِّدَنا مُحَمّداً ﷺ .

ويَكونُ مِنْ حالِ هذا النَّبيِّ أَنْهُ يَتْلو عَلَيْهِمُ الآياتِ المَتْلُوَّةَ النّازِلَةَ عَنْ طَريقِ الوَحْيِ ، ويُريهِمُ الآياتِ الكَوْنِيَّةَ الّتي يَراها الإنْسانُ أَمامَهُ ، فَيَسْتَدِلُّ عَلى وَحْدانِيَّةِ اللهِ ، ويُعَلِّمُهُمُ الحِكْمَةَ ، وهِيَ العِلْمُ النافِعُ المَصْحوبُ بالعَمَلِ الصَحيحِ .

والكِتابُ والسُّنَّةُ هُما أَعْظَمُ ما أُعْطيهِما الإنْسانُ ، إذْ هُما يُنَظِّمانِ شُؤونَ الحَياةِ لِلبَشَرِيَّةِ ، ويُبَيِّنانِ ما يَصْلُحُ لها في الدُّنيا والآخِرَةِ ، فإنْ تَمَسَّكَ بِهِما الإنسانُ فَلَنْ يَضِلَّ أَبَداً .

وحالُ هذا النَّبيِّ أيضاً أَنْهُ يُزَكّي النّاسَ ، أيْ : يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ والمَعاصي ، وما لا يَليقُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ الإنْسانُ العاقِلُ .

ويَخْتَتِمانِ دُعاءَهُما بِوَصفِ اللهِ تَعالى بالعِزَّةِ والحِكْمَةِ : ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيز ٱلحَكِيم﴾ ، العَزيزُ القَويُّ الّذي لا يْغلِبُهُ غالِبُ ولا يفوتُهُ هارِبٌ ، والحَكيمُ في أفْعالِهِ في عِبادِهِ ، فلا يَفْعَلُ إلا ما تَقْتَضيهِ مَصْلَحَتُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نِعَمُ اللهِ تَعالى عَلى المُؤْمنينَ دائِمَةٌ ومُسْتَمِرَّةٌ إلى يوم القيامةِ ، أَمّا الكافِرونَ فَيُمَتِّعُهُمْ في الدُّنيا ، ثُمَّ يَسوقُهُمْ إلى نارِ جَهنَّمَ يَوْمَ القيامَةِ .

٢ـ أَصْلُ الإيمانِ ؛ الإخلاصُ في الاعتِقادِ والعَمَلِ للهِ تَعالى .

٣ـ كَيْ يَكونَ الإنْسانُ مَوْضِعَ عِنايَةِ اللهِ ورِضاهُ ، لا بُدَّ وأَنْ يُزَكّيَ نَفْسَهُ بِمكارِمِ الأَخْلاقِ ، ويَرَقّي قَلبَهِ بالاعتِقادِ الصّالحِ .

٤ـ المُؤْمِنُ لا يُحِبُ الخَيْرَ لِنَفْسهِ فَقَط ، بَلْ يُحِبُّهُ ويَرْجوهُ لِذُرّيَّتِهِ ولِجَميعِ المُسْلِمينَ الأَحْياءِ مِنْهُم والأَمواتِ .

٥ـ التَّضَرُّعُ إلى اللهِ تَعالى والدُّعاءُ إليهِ بِالمَغْفِرَةِ مِنَ الذُّنوبِ ، إذِ الإنْسانُ كَثيرُ الخَطَأ ، وخَيْرُ الخَطّائينَ التَوّابونَ .

٦ـ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى بالأُمَّةِ أَنْ بَعَثَ فيها رَسولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ لِيُعَلِّمَهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ ويُطَّهِرَ أنْفُسَهُمْ مِنَ الأدْناسِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بَيِّنْ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

فَأُمَتِّعُهُ قَليلاً ، ثُمَّ أَضْطَرُّهُ ، يَرْفَعُ القَواعِدَ ، الحِكْمَةَ ، يُزَكيهِمْ .

٢ـ أنْعَمَ اللهُ عَلى البَيْتِ الحَرامِ بِالأمْنِ ، ما المَقْصودُ بِالأمْنِ هُنا ؟ ومِمَّ كانَ ؟

٣ـ لماذا خَصَّ سَيِّدُنا إبْراهيمُ الرِّزْقَ بالثَمَراتِ عَلى المُؤْمنينَ فَقَط ؟

٤ـ هَلْ يَرْزُقُ اللهُ المُؤْمِنينَ فَقَط دونَ الكافِرينَ ؟

٥ـ لِمَ يَرْزُقُ اللهُ تَعالى الكافِرينَ ؟

٦ـ هَل الكافِرُ مُجْبَرٌ في السَّيرِ في طَريقِ الضَّلالِ ؟

٧ـ مَتى كانَ أولُ بِناءٍ لِلكَعْبَةِ المُشرَّفةِ ؟

٨ـ بَيِّنِ المَقْصودَ بِالإخْلاصِ في الاعْتِقادِ ، والإخْلاصِ في العَمَلِ .

٩ـ ما المَقْصودُ بِالتَّوبَةِ ؟ وما شُروطُها ؟

١٠ـ لِمَ سَأَلَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ رَبَّهُ أنْ يَكونَ الرَّسولُ المَبْعوثُ مِنْ أنْفُسِ النّاسِ ؟

١١ـ اذْكُرْ ما طَلَبَهُ إبْراهيمُ وإسْماعيلُ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْ رَبِّهِما مَرَّتَيْنِ كَما جاءَ في الآياتِ ، مَعَ ذِكْرِ الدَّليلِ .

نَشاطٌ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ تَوجُّهِ العَبْدِ إلى رَبِّهِ بِالدُّعاءِ لِيُقْبَلَ مِنْهُ عَمَلُهُ ؟ اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبِ الحَديثَ الشَّريفَ الدّالَّ على أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ دعوةُ أبيهِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

* * *

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سورَةُ البَقَرَةِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ والثّلاثونَ

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَرْغَبُ عَنْ : يُعْرِضُ وَيَنْصَرِفُ وَيَكْرَهُ .

مِلَّةِ : المِلَّةُ : الشَّريعَةُ والطَّريقُ .

سَفِهَ نَفْسَهُ : امْتَهَنَها واسْتَخَفَّ بِها ، وَأَهْلَكَها واحْتَقَرَها ، وَالسَّفَهُ خِفَّةٌ في العَقْلِ .

اصْطَفَيْناهُ : اخْتَرْناهُ لِرِسالَتِنا .

أَسْلَمَ : أَخْلَصَ العِبادَةَ للهِ ، وَخَضَعَ وَتَذَلَّلَ وانْقادَ لَهُ .

اصْطَفى : اخْتارَ .

الدِّينَ : دينَ الإِسلامِ .

التَّفْسيرُ :

بعدَ أَنْ ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ ما كانَ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَإِسْماعيلَ مِنْ بناءٍ لِلْكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ ، وبَيَّنَتْ حِرْصَهُما على ذُرِّيَّتِهِما ، وَتَضَرُّعَهُما للهِ تَعالى بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ رُسُلاً يَدْعونَهُمْ إِلى ما فيهِ خَيْرُهُمْ في دُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ، بَيَّنَتْ هَذِهِ الآياتُ أَنَّ الدِّينَ الصَّحيحَ الّذي كانَ عَلَيْهِ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، هُوَ التَّوْحيدُ الخالِصُ للهِ تَعالى ، وَانْقِيادُ القَلْبِ إِلَيهِ تعالى ، وَالإِخْلاصُ لَهُ بالعَمَلِ ، والّذي يُلْزِمُ الإِنْسانَ بِتَعْظيمِ بَيْتِ اللهِ تَعالى وإِقامَةِ المَناسِكِ فيهِ .

قالَ تعالى :

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ومَنْ : اسْمُ استِفهامٍ في مَحَلِّ مُبْتَدَأ مَرْفوع ، خَبَرُهُ قَوْلُهُ : (يَرْغَبُ) ، وَالمعْنَى : مَنْ يُعْرِضُ وَيَنْصَرِفُ عَنْ مِلَّةِ سَيِّدِنا إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، أَيْ شَريعَتِهِ وَطَريقَتِهِ الّتي هِيَ التَّوْحيدُ الخالِصُ للهِ تَعالى ، إِلاَّ الّذي امْتَهَنَ نَفْسَهُ واسْتَخَفَّ بِها ، وَظَلَمَها حَيْثُ تَرَكَ طَريقَ الحَقِّ واتَّبَعَ طَريقَ الضَّلالِ .

إِنَّ مِلَّتَكُمْ أَيُّها النّاسُ هِيَ مِلَّةُ أَبيكُمْ إِبراهيمَ الّذي تَنْتَسِبونَ إِلَيهِ ، وَتَفْتَخِرونَ بِذلِكَ النَّسَبِ ، فَكَيْفَ تَرْغَبونَ الآنَ عَنْ هذِهِ المِلَّةِ ، فَتَحُطّونَ مِنْ مُسْتَوى عُقولِكُمْ إِلى مُسْتَوىً لا يَليقُ بِكُمْ ، فَتَدَّعونَ أَنَّ هُناكَ أَوْلِياءَ لَكُمْ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، وَهُمْ لا يَمْلِكونَ لَكُمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً ، وَلا يَمْلِكونَ حَياةً ولا مَوْتاً ولا نُشوراً ، فَلَوْ كانَ عِنْدَكُمْ مِسْحَةُ عَقْلٍ ، لاتَّبَعْتُمْ مُحَمَّداً عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لأَنَّهُ جاءَ بِما جاءَ بِهِ إِبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وذلِكَ أَنّنا اخْتَرْنا إِبْراهيمَ ﷺ لِلرِّسالَةِ وَهِدايَةِ النّاسِ وَإِرشادِهِمْ إِلى طَريقِ الحَقِّ ، وَاخْتَرْناهُ لِيَكونَ إِماماً لِلنّاسِ ، وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِ الكِتابَ وَالنُّبُوَّةَ في هذِهِ الدُّنيا ، أَمّا في الآخِرَةِ : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، فَهُوَ في الآخِرَةِ مِمَّنْ شُهِدَ لَهُمْ بِالخَيْرِ والصَّلاحِ ، وَفي هذا بِشارَةٌ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَلِكُلِّ مَنْ سارَ عَلى مِلَّةِ سَيِّدنا إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وَتُبَيِّنُ الآياتُ سَبَبَ كَوْنِ إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ الصّالِحينَ . فَالآيَةُ هُنا جاءَتْ إِجابَةً عَنْ سُؤالٍ مُقَدَّرٍ في ذِهْنِ القارِىءِ ، وَهُوَ : لِمَ جَعَلَ اللهُ تَعالى إِبْراهيمَ مِنَ المُصْطَفَيْنَ في الدُّنيا وَالصّالِحينَ في الآخِرَةِ ؟ فَقالَ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

أَيْ : اصْطَفى اللهُ تَعالى إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَذلِكَ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِطاعَتِهِ وَإِسلامِ وَجْهِهِ إِلَيْهِ في كُلِّ حالٍ ، وَالانقيادِ وَالتَّذَلُّلِ وَالخُضوعِ لَهُ سُبْحانَهُ ، مَعْ أَنَّ أَباهُ وَقَوْمَهُ ـ كَما يُحَدِّثُنا القُرآنُ ـ كانوا يَعْبُدونَ أَصْناماً ، وَيَعْكُفونَ عَلى عِبادَةِ هذِهِ الأَصْنامِ ، وَيُقَدِّمونَ لَها القَرابينَ وَالهَدايا ، إِلاّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمْ يَنْشَأْ عَلى ما كانَ عَلَيْهِ أَبوهُ وَقَوْمُهُ ، بَلْ عَرَفَ بِطَريقِ الدَّلائِلِ وَالآياتِ الكَوْنِيَّةِ أَنَّ هُناكَ خالِقاً حَكيماً لِلكَوْنِ ، فَأَسْلَمَ لَهُ وَجْهَهُ وانقادَ لَهُ ، وَلِذا قالَ : ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، أَيْ أَخلَصْتُ ديني للهِ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨ـ٨٢] .

وَبعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّ سَيِّدَنا إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَدْ كَمُلَتْ نَفْسُهُ ، ونَزَّهَها عَنْ

كُلِّ سوءٍ وَشِرْكٍ ، بيَّنَتِ الآياتُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَكْتَفِ بِهذا ، بَلْ أَرادَ أَنْ يَعُمَّ هذا الخَيْرُ غَيْرَهُ مِنْ أَبْنائِهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالحَقِّ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ .

وَالضَّميرُ في : (بها) يَعودُ إِلى تِلْكَ المِلَّةِ الحَنيفيَّةِ الَّتي كانَ عَلَيْها إِبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَيْ : وَصّى إِبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالمِلَّةِ وَالخِصالِ الحَسَنَةِ بَنيهِ إِسماعيلَ وَإِسْحقَ عَلَيْهِما الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَحَفيدَهُ يَعْقوبَ وَهُوَ ابْنُ إِسحقَ عَلَيْهِما صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ ، إِذْ قالَ لَهُمْ : إِنَّ اللهَ اصْطَفى لَكُمْ هذا الدِّينَ ، أَيْ اخْتارَهُ لَكُمْ بِأَنْ هَداكُمْ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ الوَحْيَ وَالنُّبُوَّةَ فيكُمْ . ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، فَاثْبُتوا عَلى هذا الدِّينِ وَحافِظوا عَلَيْهِ ، واسْتَقيموا على أَمْرِهِ ، وَلا تُفارِقوهُ وَلَوْ لِبُرْهَةٍ قَصيرَةٍ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ المَوْتُ ، فَلَرُبَّما تَأْتيكُمْ مَنِيَّتُكُمْ وَأَنْتُمْ مُفارِقونَ لِهذا الدِّينِ ، فَالإِنسانُ لا يَضْمَنُ حَياتَهُ ، وَلا يَعْلَمُ مَتى يَحينُ أَجَلُهُ ، فَلابُدَّ وَأَنْ يَكونَ مُسْتَعِدّاً دائِماً لِمُلاقاةِ رَبِّهِ عَلى هذِهِ المِلَّةِ الصَّحيحَةِ ، فَإِذا أَصْبَحَ لا يَنْتَظِرُ المَساءَ ، وَإِذا أَمْسى فَلا يَنْتَظِرُ الصَّباحَ .

وَهذِهِ الآياتُ فيها دَلالَةٌ وَإِرشادٌ إِلى أَنَّ مَنْ كانَ مُنْحَرِفاً عَنِ الإِسْلامِ ، عَلَيْهِ أَنْ لا يَيْأَسَ وَعَلَيْهِ المُبادَرَةُ وَالإِسراعُ في الرُّجوعِ إِلى اللهِ ، وَالتَّمَسُّكُ بِالدِّينِ الحَقِّ ، وَالاعتِصامِ بِحَبْلِ اللهِ المَتينِ ، فَبابُ التَّوْبَةِ مَفتوحٌ أَمامَ كُلِّ إِنْسانٍ ، مَهْما اقْتَرَفَ مِنْ ذُنوبٍ وَآثامٍ ، ما دامَ أَخْلَصَ للهِ ، وَنَدِمَ عَلى ما كانَ مِنْهُ ، وَعَزَمَ أَنْ لا يَعودَ إِلَيْهِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الإِسلامُ هُوَ الانْقِيادُ وَالخُضوعُ للهِ ، وَإِخلاصُ الاعْتِقادِ وَالعَمَلِ لَهُ .

٢ـ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ ما جاءَ بِهِ إِبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِنْ تَوحيدٍ خالِصٍ للهِ تَعالى .

٣ـ اتِّباعُ مِلَّةِ إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ سَبَبٌ في صَلاحِ الإِنسانِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ .

٤ـ مِنْ كَمالِ الإِيمانِ أَنْ يُحِبَّ الإِنْسانُ الخَيْرَ وَالصَّلاحَ وَالهِدايَةَ لِغَيْرِهِ كَما يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ .

٥ـ الثَّباتُ عَلى طَريقِ الحَقِّ وَالدِّينِ وَالحِفاظِ عَلَيْهِ ، وَالاسْتِعدادُ لِيَومِ القِيامَةِ ، حَتّى لا تَأْتِيَ الإِنسانَ المَنِيَّةُ وَهُوَ تارِكٌ لِلحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَرْغَبُ عَنْ ، مِلَّةِ إبراهيمَ ، سَفِهَ نَفْسَهُ ، اصْطَفَيناهُ .

٢ـ ما إعْرابُ : مَنْ يَرْغَبُ ؟

٣ـ اسْتَنْتِجْ ما تَدُلُّ عَلَيْهِ الآيَةُ : ﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِلَّةِ إبرَاهيم إلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ﴾ .

٤ـ ما المَكانَةُ الّتي أُعْطيها سَيِّدُنا إبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في الدُّنيا والآخِرَةِ ؟

٥ـ لِماذا جَعَلَ اللهُ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ الصَّالِحينَ في الآخِرَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الآيَةَ الكَريمَةَ الّتي تَدُلُّ على أَنَّ إبراهيمَ كانَ مُسْلِماً حَنيفاً .

٢ـ اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ على أَنَّ التَّوْبَةَ تَمْحو الذُّنوبَ .

٣ـ اكْتُبْ قِصَّةً مِمّا قَصَّهُ عَلَينا الرَّسولُ ﷺ تَدُلُّ عَلى أَنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ التّائِبِ مَهما عَظُمَ ذَنْبُهُ ، وَضَعْها على مَجَلَّةِ الحائِطِ في مَدْرَسَتِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الحادي والأربعون

سورةُ البَقرَةِ ـ القِسمُ التَّاسِعُ والثَّلاثون

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

شُهَداءَ : حاضِرينَ .

أُمَّةٌ : جَماعَةٌ .

خَلَتْ : مَضَتْ وَذَهَبَتْ .

لَها ما كَسَبَتْ : جَزاءَ مَا عَمِلَتْ .

التَّفسيرُ :

ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ أَنَّ نَبيَّ اللهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَصَّى أَبْناءَهُ بِأَنْ يَتَّبِعوا المِلَّةَ الحَنيفِيَّةَ السَّمْحَةَ ، وَهؤلاءِ أَوْصَوْا أَبْناءَهُمْ بِما أَوْصاهُمْ بِهِ أَبوهُمْ ، وَلِذا جاءَتِ الآياتُ هُنا تُؤَكِّدُ هذهِ الوَصِيَّةَ ، وتُقيمُ الحُجَّةَ على أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ بَدَّلوا وَحَرَّفوا في دينِهِمْ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ .

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ ، أَمْ : بِمَعْنى بَلْ ، وَالاسْتِفهامُ وَبَلْ هِيَ لِلإِضْرابِ الانْتِقاليِّ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَضْرِبُ صَفْحاً عَمّا يَدَّعيهِ اليَهودُ أَوِ النَّصارى مِنْ أَنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ

والسَّلامُ كانَ يَهودِيّاً أَوْ نَصرانِيّاً ، وَيَنتَقِلُ إِلى بَيانِ ما وَصّى بِهِ سَيِّدُنا يعقوبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَبْناءَهُ ، والاسْتِفهامُ اسْتِنْكاريٌّ تَوْبيخِيٌّ ، وَالمَعْنى : لَمْ تكونوا شُهَداءَ وَحاضِرينَ إِذْ حَضَرَ يَعقوبَ المَوْتُ ، وَقالَ لِبَنيهِ ما قالَ ، فَلِمَ تَدَّعونَ أَنَّ إِبراهيمَ ويَعقوبَ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ كانا يَهودِيَّيْنِ .

إِذَنْ هذهِ الآيَةُ جاءَتْ لِتُبَيِّنَ أَنَّ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ عَلى مِلَّةِ إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَلَيْسَ يَهودِيّاً ، كَما يُريدُ اليَهودُ وَالنَّصارى ، فَيقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ : أَكُنْتُمْ يا مَعْشَرَ اليَهودِ وَالنَّصارى المُكَذِّبينَ مُحَمَّداً الجاحِدينَ نُبُوَّتَهُ ، شُهوداً حينَ حَضَرَ يَعْقوبَ المَوْتُ ؟ أَيْ : وَقْتَ أَنْ أَشْرَفَ عَلى المَوْتِ وَحَضَرَتْهُ عَلاماتُهُ ؟ لا ، أَنْتُمْ لَمْ تَحضُروا ذلِكَ ، فَلا تَدَّعوا عَلَيْهِ الأَباطيلَ وَتَنْسبوهُ إِلى اليَهودِيَّةِ وَالنَّصرانِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلاّ بِالحَنيفيَّةِ السَّمْحَةِ الّتي وَصّاهُ بِها أَبوهُ إِبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وَلكِنَ بِماذا وَصّى يَعقوبُ بَنيهِ ؟ تَجيءُ الآياتُ لِتُجيبَ عَنْ هذا السُّؤالِ الّذي قَدْ يَرِدُ في ذِهْنِ القارِىء : ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى ﴾ ، سَأَلَ عَمّا يَعْبُدونَ مِن بَعْدِهِ سُؤالَ تَقريرٍ ، لِيَشْهدوا عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالتَّوْحيدِ الخالِصِ ، وَلِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ العَهْدَ وَالميثاقَ بِالثَّباتِ عَلى هذا الطَّريقِ ، وأَنْ يَكونَ مَقْصِدُهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللهِ تَعالى في جَميعِ أَعمالِهِمْ . وبِماذا أَجابَ الأَبْناءُ أَباهُمْ ؟ قالَ تَعالى : ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ .

قالوا لِيَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : إِنَّنا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ ، حَيْثُ عَرَفوا الإِلهَ بِإِضافَتِهِ إِلى يَعقوبَ وَالأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ وَذلِكَ لأَنَّهُمْ هُمُ الّذينَ انْفَرَدوا بِعِبادَةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، وَدَعوا النّاسَ إِلى عِبادَتِهِ ، في الوَقْتِ الّذي انْتَشَرَتْ فيهِ عِبادَةُ آلِهَةٍ كالأَصْنامِ وَالكَواكِبِ وَغَيْرِها .

وَسَيِّدُنا إِسماعيلُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ هُوَ عَمُّ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَسُمِّيَ أَباً ، لأَنَّ « عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبيهِ » كَما أَخْبَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ .

﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ أَيْ نَعْبُدُ اللهَ إِلهاً واحِداً ونَخُصُّهُ بِالعِبادَةِ ، لا نُشْرِكُ مَعَهُ أَحَداً ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ وَالحالُ أَنَّنا مُنْقادونَ خاضِعونَ وَمُسْتَسْلِمونَ للهِ تَعالى ، وَحْدَهُ دونَ غَيْرِهِ . وَقَدْ قُدِّمَ الجارُّ والمَجرورُ (لَهُ) لِيُفيدَ الاخْتِصاصَ ، أَيْ : نَخُصُّهُ سُبْحانَهُ وَحْدَهُ بِالانْقِيادِ لَهُ .

هذهِ وَصِيَّةُ نَبيِّ اللهِ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، يُوصي بِوَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى ، والإِخْلاصِ في العَقيدَةِ وَالعَمَلِ للهِ تَعالى وَحْدَهُ . وَقَدْ جاءَتْ هذهِ الآياتُ لِتُقَرِّرَ حَقيقَةَ الدِّينِ وَتُؤَكِّدَها ، فَقَدْ كانَتْ قَبائِلُ العَرَبِ تَدَّعي كُلُّ قَبيلَةٍ أَنَّ لَها ديناً خاصّاً ، وَأَنَّ دينَها هُوَ الحَقُّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كانَ يَفْتَخِرُ بِانْتِسابِهِ لِنَبيِّ اللهِ إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يَعْبُدُ الأَوْثانَ ، وكَذلِكَ كانَ اليَهودُ وَالنَّصارى كُلٌّ مِنْهُمْ يَدَّعي لَهُ ديناً وَيَدَّعي أَنَّ دينَهُ هُوَ الحَقُّ ، فَجاءَتْ هذهِ الآيَةُ لِتَرُدَّ على هؤُلاءِ كُلِّهِم ، وَتَدُلُّ أَنَّ

دينَ اللهِ الحَقِّ واحِدٌ ، وَهُوَ التَّوْحيدُ والاسْتِسْلامُ للهِ والخُضوعُ والإِذْعانُ لَهُ ، وبِهذا كانَ يُوصي الأَنْبياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَبْناءَهُمْ وَأَقوامَهُمْ .

وَيَقولُ سُبْحانَهُ حِكايَةً عَنْ هذهِ الزُّمْرَةِ الكَريمَةِ العَظيمَةِ مِنَ الأَنْبياءِ :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

تِلْكَ : اسْمُ إِشارَةٍ لِلبَعيدِ ، جاءَ هُنا لِلدَّلالَةِ عَلى عَظَمَةِ هذهِ الزُّمْرَةِ . يَقولُ سُبْحانَهُ : تِلْكَ الجَماعَةُ مِنَ النّاسِ : سَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَآباؤُهُ وَأَبناؤُهُ قَدْ مَضَتْ وَذَهَبَتْ مِن هذا العالَمِ ، لَها جَزاؤُها عِنْدَ اللهِ تَعالى عَلى ما عَمِلَتْ ، وكَذلِكَ أَنْتُمْ أَيُّها الكافِرونَ المُنْكِرونَ ، لَكُمْ جَزاؤُكُمْ عَلى ما كَسَبْتُمْ مِنْ عَمَلٍ ، وَلا تُسْأَلونَ يَومَ الحِسابِ وَالجَزاءِ عَمّا كانَ أُولئِكَ الأَنْبياءُ يَعْمَلونَ ، كَما أَنَّهُمْ هُمْ كَذلِكَ لا يُسْأَلونَ عَمّا تَعْمَلونَ ، فَكُلٌّ يُجازى على عَمَلِهِ ، فَلا يَنْتَفِعُ أَحَدٌ بِعَمَلِ غَيْرِهِ ، وَلا يَتَضَرَّرُ كَذلِكَ أَحَدٌ مِنْ عَمَلِ غَيْرِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ هذِهِ القَضِيَّةَ لِيَفْهَمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ لا يَنْبَغي أَنْ يَتَّكِلَ عَلى عَمَلِ آبائِهِ ، فَإِذا كانَ الأَبُ صالِحاً ، فَلا غَضاضَةَ إِذا كانَ الابْنُ سَيِّئاً سائِراً في طَريقِ الضَّلالِ كَما يَتَوَهَّمونَ ، وَذلِكَ يَشْفَعُ لابْنِهِ ، فَيَنْجو يَومَ القِيامَةِ ، فَجاءَتْ هذِهِ الآيَةُ لِتُبَيِّنَ أَنَّ صَلاحَ الأَنْبياءِ لَنْ يَنْفَعَ الأَقوامَ ، وَلَنْ يَنْفَعَ أَبناءَهُمْ كَذلِكَ إِذا تَرَكوا طَريقَ الحَقِّ . وَقَدْ ذَكَرَ لَنا القُرآنُ الكَريمُ مِثالاً عَلى ذلِكَ سَيِّدَنا نوحاً عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَعَ ابنِهِ الكافِرِ ، حَيْثُ بَيَّنَ لَهُ تَعالى أَنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صالِحٍ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ .

وَلَقَدْ بَيَّنَتْ هذِهِ الآياتُ أَنَّ أُصولَ الدِّينِ واحِدَةٌ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ تَعالى آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَكُلُّ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَكَذلِكَ نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ جاءَ بِهذِهِ العَقيدَةِ ، وَدَعا إِلى عِبادَةِ اللهِ تَعالى ، وَإِلى تَصديقِ الأَنْبياءِ الّذينَ كانوا قَبْلَهُ ، وَالإِيمانِ بِالبَعْثِ ، وَبِنَعيمِ الجَنَّةِ وَعَذابِ الآخِرَةِ ، وَحَضَّ عَلى مَكارِمِ الأَخْلاقِ ، أَمّا ما عَدا ذلِكَ مِنَ المُعامَلاتِ وَالعِباداتِ ، فَإِنَّ الشَّرائِعَ تَخْتَلِفُ فيها ، وَلِذا فَقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وَمِنْ هُنا جاءَتْ شَريعَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأُمورٍ جَديدَةٍ لَمْ تَكُنْ قَدْ شُرِعَتْ مَثَلاً لِقَوْمِ سَيِّدِنا موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، أَوْ قَوْمِ سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَمَعَ ذلِكَ فَهُناكَ تَشْريعاتٌ اتَّفَقَتْ عَلَيْها الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ كُلُّها ، واخْتِلافُ الشَّرائِعِ إِنَّما يَكونُ لاخْتِلافِ الزَّمانِ والمَكانِ والنّاسِ ، فَما يَصْلُحُ لِقَوْمٍ لا يَصْلُحُ لِغَيْرِهِمْ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يَصْلُحُ لَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ أَنَّ سَيِّدَنا إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ جاءَ بِالمِلَّةِ الحَنيفيَّةِ السَّمْحَةِ ، فَهُوَ لَيْسَ يَهودِيّاً ولا نَصرانِيّاً كَما يَدَّعي المُنْكِرونَ .

٢ـ الخُضوعُ والانْقِيادُ وَالإِخْلاصُ في القَوْلِ وَالعَمَلِ يَنْبَغي أَنْ يَكونَ للهِ تَعالى وَحْدَهُ .

٣ـ كُلُّ إنسانٍ مُحاسَبٌ عَلى عَمَلِهِ ، فَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى ، فَلَنْ يَنْفَعَ ابْناً صَلاحُ أَبيهِ إذا لَمْ يَكُنْ صالِحاً ، وإنْ كانَ الأَبُ نَبيّاً .

٤ـ الدِّينُ واحِدٌ مِنْ لَدُنِ بِعْثَةِ سَيِّدِنا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حَتّى بِعْثَةِ سَيِّدِنا مُحمَّدٍ ﷺ ، وَلكِنَّ الشَّريعَةَ المُتَمَثِّلَةَ بِالعِباداتِ وَالمُعامَلاتِ هِيَ الَّتي تَخْتَلِفُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بَيِّنْ مَعنى (أَمْ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿أَم كُنتُم شُهَدَاءَ﴾ .

٢ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿أَمْ كُنتُم شُهَدَاءَ إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ ٱلمَوتُ﴾ .

٣ـ مَنِ المُخاطَبُ في هذِهِ الآيَةِ الكَريمَةِ ؟

٤ـ ما الَّذي كانَ مِنْ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حينَ حَضَرَهُ المَوْتُ ؟

٥ـ بِماذا أَجابَ أَبْناءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَباهُمْ ؟

٦ـ لِمَ أَضافوا الإلهَ إلى أَبيهِمْ وَأَجْدادِهِمْ مِنَ الأَنْبياءِ ؟

٧ـ لِماذا قالَ أَبناءُ سَيِّدنا يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿آبائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ﴾ مَعَ أَنَّ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَيْسَ أَباهُمْ ؟

٨ـ اسْتَخْلِصِ الحِكْمَةَ مِنْ ذِكْرِ وَصِيَّةِ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِبَنيهِ ، مُبَيِّناً حَقيقَةَ هذِهِ الوَصِيَّةِ ؟

٩ـ مَنِ المَقْصودُ بِاسْمِ الإشارَةِ (تِلْكَ) ؟

١٠ـ بيِّنْ ما يَدُلُّ عليْهِ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّاكَسَبتُم وَلاَ تُسأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعمَلُونَ﴾ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ آيَةً كَريمَةً تَدُلُّ على أَنَّ كُلَّ إنسانٍ يُسْأَلُ عَنْ عَمَلِهِ فَقَط .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الّتي بَيَّنَتْ أَنَّ ابْنَ نوحٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ، واسْمَ السّورَةِ ، وَرَقْمَ الآيَةِ .

* * *

الدَّرسُ الثّاني والأربَعونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ الأَرْبَعونَ

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حَنيفاً : مائِلاً عَنِ الباطِلِ إِلى طَريقِ الحَقِّ .

الأَسْباطِ : أَولادِ سَيِّدِنا يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَأَحفادِهِ .

شِقاقٍ : عَداوَةٍ وَمُخالَفَةٍ .

صِبْغَةَ اللهِ : دينَ اللهِ الَّذي فَطَرَنا عَلَيْهِ .

التَّفسيرُ :

لَقَدْ بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ وِحْدَةَ الأَديانِ ، فَكُلُّ الأَنْبِياءِ جاءوا بِدينِ اللهِ وَدَعْوَةِ النّاسِ للإيمانِ بِهِ ، وَجاءَتْ هذِهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ جَهْلَ أَهْلِ الكِتابِ في هذِهِ القَضِيَّةِ ، فَكُلٌّ يَدَّعي أَنَّ دينَهُ يَخْتَلِفُ عَنْ دينِ الآخَرِ ، وَأَنَّهُ هُوَ الصَّوابُ ، فَكُلُّ فَريقٍ يَدَّعي الإيمانَ لِنَفْسِهِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

قالَ فَريقٌ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى لِلمُؤْمِنينَ ولأَهْلِ الكِتابِ وَالمُشْرِكينَ كونوا هوداً أَوْ نَصارى ،

وَفي هذا بيانٌ لِتفرُّقِ الطّائفتَيْنِ في الدِّينِ ، وتَعصُّبِ كُلِّ طائفَةٍ لِدينِها ، فَاليَهودُ يَدْعونَ إلى اليَهودِيَّةِ الّتي هُمَ عَلَيْها ، ويَقْصُرونَ الهِدايَةَ عَلَيْها وَحْدَها ، وَالنَّصارى يَدْعونَ إلى النَّصرانِيَّةِ الّتي هُمْ عَلَيْها وَيقْصُرونَ كَذلِكَ الهِدايَةَ عَلَيْها ، وَهذا المَعنى بَيَّنَتْهُ كَلِمَةُ (أَوْ) الّتي جاءَتْ لِلتَّنْويع .

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ . وَيُبيِّنُ لَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّهُ لَوْ كانَ ما يَقولونَ صَحيحاً لَما كانَ إبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مُهْتَدِياً ، فَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّهُ إمامُ المُهْتَدينَ ، وَمَعَ ذلِكَ لَمْ يَكُنْ يَهودِيّاً ولا نَصرانِيّاً ، فَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ (وَيا مَنْ عَرَفْتَ طَريقَ التَّوْحيدِ ، مائِلاً عَنْ الباطِلِ إلى الحَقِّ ، وَقَدْ جاءَ الكَلامُ هُنا بـ (بَلْ) الّتي هِيَ لِلإضْرابِ الإبْطالِيِّ ، لإبْطالِ ما ادَّعاهُ كُلٌّ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى ، وَبَيانِ أَنَّ سَيِّدَنا إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسّلامُ لَمْ يَكُنْ أَبداً مِمَّنْ يُشْرِكُ مَعَ اللهِ تَعالى وَثَناً أَوْ صَنَماً أَوْ بَشَراً ، وَفي هذا تَعريضٌ باليَهودِ والنَّصارى الّذينَ قالوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، أَوِ المَسيحُ ابْنُ اللهِ .

ثُمَّ أَرْشَدَ سُبْحانَهُ المُؤْمِنينَ إلى اتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ وَأَبْنائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَقالَ لَهُمْ سُبْحانَهُ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾ .

الأَسْباطِ : هُمْ أولادُ يَعقوبَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، الاثنا عَشَرَ ، كَما قالَ تَعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] ، ومَعْنى الآيةِ : ادْعوا أَيُّها المُؤْمِنونَ إلى أَصْلِ الأَدْيانِ السَّماوِيَّةِ كُلِّها ، وهو التَّسْليمُ بِنُبُوَّةِ الأَنْبياءِ وَالمُرْسَلينَ ، وَقولوا : آمَنّا بِنُبُوَّةِ جَميعِ الأَنْبياءِ والمُرْسَلينَ مَعَ الخُضوعِ والتَّسْليمِ لِرَبِّ العالَمينَ .

فَلا نُكَذِّبُ أَحَداً مِنْهُمْ فيما ادّعاهُ وَدَعا إلَيْهِ في عَصْرِهِ ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَمّا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ ضِياعٍ أَوْ تَحْريفٍ ، فَإِنّ ذلِكَ لا يَضُرُّنا ، لأَنَّ الإيمانَ المَطلوبَ مِنّا إيمانٌ إجماليٌّ ، أَمّا ما أُنْزِلَ عَلَيْنا فَالمَطْلوبُ مِنّا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ إيماناً تَفْصيلِيّاً .

رَوى الإمامُ البُخاريُّ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ كانوا يَقْرَؤونَ التَّوراةَ بِالعِبْرانِيَّةِ وَيُفَسِّرونَها بِالعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإسْلامِ ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لا تُصَدِّقوا أَهْلَ الكِتابِ وَلا تُكَذِّبوهُمْ وَقولوا آمَنّا بِاللهِ . . . . » .

وَقَدْ عَبَّرَ سُبْحانَهُ وتَعالى في جانِبِ الإيمانِ بِموسى وَعيسى عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بِالإيمانِ بِما أوتِيَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما ، كَما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] ، وَقالَ : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ وتَعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ أَيْ : لا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ، كَما فَعَلَ اليَهودُ الذين آمَنوا بموسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وَمَنْ قَبْلَهُ ، أَمّا مَنْ جاءَ بَعْدَ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فَقَدْ كَفَروا بِهِ ، فَلَمْ يُؤْمِنوا بِعيسى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَكَما قالَ النَّصارى الّذينَ كَفروا بِمُحَمَّدٍ ﷺ كَذلِكَ ، فَهؤلاءِ مُتَّبِعونَ لأَهوائِهِمْ وَشَياطينِهِمْ ، أَمّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ، فَهُمْ مُؤْمِنونَ بِجَميعِ الأَنْبِياءِ مُنْذُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتّى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِم صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ جَميعاً ، وَهُمْ خاضِعونَ مُذْعِنونَ للهِ تَعالى بِالطّاعَةِ وَالعُبودِيَّةِ ، وَهذا هُوَ الإيمانُ الصَّحيحُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ إِنْ آمَنوا بِما يُؤْمِنُ بِهِ المُؤْمِنونَ فَقَدْ ساروا في طَريقِ الهِدايَةِ الصَّحيحِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

إِنْ آمَنَ أَهْلُ الكِتابِ الإيمانَ الصَّحيحَ بِاللهِ تَعالى وَما أُنْزِلَ عَلى النَّبِيّينَ ، وَما أُنْزِلَ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وَقَدْ قالَ سُبْحانَهُ هُنا (بِمِثْلِ) أَيْ بِكُلِّ ما تُؤْمِنونَ بِهِ ، وَذلِكَ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ طَرَأَ عَلى إيمانِهِمْ بِاللهِ تَعالى بَعْضُ النَّزَعاتِ الوَثَنِيَّةِ ، وَأَضاعوا أَصْلَ دينِهِمْ ، وَهُوَ التَّوْحيدُ وَالإِخْلاصُ للهِ تَعالى وَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَطْهيرُها ، وَالتَّأليفُ بَيْنَ النّاسِ ، وَتَمَسَّكوا بِبَعْضِ الأُمورِ البَعيدَةِ عَنْ دينِهِمْ وَزادَ كُلُّ فَريقٍ في دينِهِ كَما يَحْلو لَهُ ، فَبَعُدوا بِذلِكَ عَنِ المَقْصِدِ الأَساسِيِّ لِلدِّينِ ، وَهُوَ تَوْحيدُ اللهِ تَعالى ، فَبَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّ حَقيقَةَ الدِّينِ واحِدَةٌ ، لا تَخْتَلِفُ بَيْنَ نَبِيٍّ ونَبِيٍّ .

وَهكذا يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ إِنْ آمَنوا بِمِثْلِ ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ ، فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا وَأَعْرَضوا عَمّا يَدْعوهُمْ سُبْحانَهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ الرُّجوعُ إِلى أَصْلِ دينِ الأَنْبِياءِ وَهُوَ كَما قُلْنا التَّوْحيدُ والإِخلاصُ للهِ تَعالى وَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ وتَطْهيرُها والتَّأْليفُ بَيْنَ النّاسِ - فَهُمْ في شِقاقٍ ، أَيْ أَنَّ أَمْرَهُمْ مَحْصورٌ في العَداوَةِ وَالمُشاقَّةِ ، إِذْ كُلُّ فَريقٍ يُعادي الآخَرَ .

وَيُبَشِّرُ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسّلامُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ تَثْبيتاً لَهُ وَلِلْمُؤْمِنينَ عَلى ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ ، أَيْ سَيَكْفيكَ اللهُ إِيذاءَ أَهْلِ الكِتابِ وَمَكْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ ، وَيُؤَيِّدُ سُبْحانَهُ دَعْوتَكَ وَيَنْصُرُ أُمَّتَكَ ، وَقَدْ أَنْجَزَ اللهُ تَعالى ما وَعَدَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَأُمَّتَهُ .

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

وَبَعْدَ ذلِكَ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّهُ صَبَغَنا وَفَطَرَنا عَلى الاسْتِعْدادِ لِلحَقِّ والإيمانِ بِما جاءَ بِهِ الأَنْبِياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَعَدَمِ اتِّباعِ الأَهْواءِ وَآراءِ الرُّؤَساءِ البَعيدَةِ عَنِ الحَقِّ ، فَهذِهِ فِطْرَةُ اللهِ

تعالى ، ولا أَحَدَ يُمْكِنُ أَنْ تكونَ صِبْغَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ صِبْغَةِ اللهِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ الّذي يَصْبُغُ وَيَفْطُرُ عِبادَهُ عَلى الإيمانِ وَيُطَهِّرُهُمْ مِنْ أَدْرانِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ ، وَيُنَجّيهِمْ مِنْها ، وَفي هذا كُلِّهِ تَعْريضٌ بِأَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ أَضافوا ما أَضافوا إلى دينِهِمْ ، وَحَرَّفوا وَبَدَّلوا ، فَهذا مِنَ البَشَرِ وَلَيْسَ مِنْ صِبْغَةِ اللهِ تَعالى ، فَإِنَّهُ تَعالى قَدْ فَطَرَ النّاسَ عَلى الإِخْلاصِ وَحُبِّ الخَيْرِ والاعْتِدالِ . ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

وَخُتِمَتِ الآيَةُ بِقَوْلِ اللهِ : ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ ، أَيْ : نَخُصُّ اللهَ تَعالى وَحْدَهُ بِالعِبادَةِ ، وَلَيْسَ كَما فَعَلَ أَهْلُ الكِتابِ الّذينَ اتَّخذوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دونِ اللهِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ إِنَّ سَيِّدَنا إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ حَنيفاً مُسْلِماً مُتَّبِعاً لِدينِ اللهِ تَعالى ، وَلَمْ يَكُنْ يَهودِيّاً ولا نَصرانِيّاً .

٢ـ المُؤْمِنُ الصّادِقُ لا يُفَرِّقُ بَيْنَ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِجَميعِ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

٣ـ إِنَّ الأَنْبياءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ جاءوا جَميعاً بِأَصْلٍ واحِدٍ ، وَهُوَ التَّوْحيدُ والإِخْلاصُ للهِ تَعالى وَتَزْكِيَةُ النُّفوسِ وَالتَّأْليفُ بَيْنَ القُلوبِ .

٤ـ فِطْرَةُ اللهِ تَعالى الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ، هِيَ تَوْحيدُ اللهِ وَالإِخلاصُ ، وَحُبُّ الخَيْرِ والاعْتِدالُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما الّذي ادَّعاهُ اليَهودُ والنَّصارى كَما بَيَّنَتْ آياتُ الدَّرْسِ ؟

٢ـ بَيِّنْ ما نَسْتَفيدُهُ مِنْ كَلِمَةِ (أَوْ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿كُونُواْ هُوداً أَو نَصارَى﴾ .

٣ـ كَيْفَ رَدَّ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى اليَهودِ والنَّصارى في دَعْوَتِهِمْ لليَهودِيَّةِ أَوْ النَّصْرانِيَّةِ ؟

٤ـ بماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى المُؤْمِنينَ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ؟

٥ـ مَنْ هُمُ الأَسْباطُ ؟

٦ـ اشْرَحْ مَعنى قَوْلَهُ تَعالى : ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ .

٧ـ اسْتَنْتِجْ ما تَدُلُّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ (بِمِثْلِ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿فَإِن آمَنُواْ بِمِثلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ ٱهتَدَواْ﴾ .

٨ـ ما مَعْنى : ﴿فَسَيَكفِيكَهُمُ اللهُ﴾ ؟ وما البِشارَةُ الّتي وَرَدَتْ في هذِهِ الكَلِمَةِ وما يَتْبَعُها ؟

٩ـ ما صِبْغَةُ اللهِ الّتي صَبَغَ النّاسَ عَلَيْها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ نُبَرْهِنُ عَلى أَنَّ إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ما كانَ يَهودِيّاً ولا نَصْرانِيّاً .

٢ـ اشْرَحْ قَوْلَ الرَّسولِ الوارِدَ في شَرْحِ الآيَةِ (١٣٦) واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ بَيِّنْ كَيْفَ اتَّخَذَ أَهْلُ الكِتابِ أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دونِ اللهِ ، اكْتُبِ الإِجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ البَقرَةِ - القِسْمُ الحادي والأَرْبَعونَ

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَتُحاجّونَنا : المُحاجَّةُ : المُجادَلَةُ .

مُخْلِصونَ : يَقْصِدونَ بِنِيَّتِهِمْ وَأَعْمالِهِمْ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالى .

خَلَتْ : ذَهَبَتْ وانْقَضَتْ .

التَّفْسيرُ :

بَيَّنَتِ الآياتُ السّابِقَةُ أَنَّ المِلَّةَ الصَّحيحَةَ هِيَ مِلَّةُ سَيِّدِنا إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَهِيَ لَيْسَتْ يَهودِيَّةً وَلا نَصْرانِيَّةً ، وَإِنَّما هِيَ تَوْحيدُ اللهِ تَعالى ، وهِيَ بَريئَةٌ مِنْ تِلْكَ العاداتِ والتَّقاليدِ الّتي أَدْخَلَها النّاسُ إِلى الدِّينِ ، وَطَلَبَ مِنَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ وَأَصحابِهِ وَأُمَّتِهِ اتِّباعَ هذِهِ المِلَّةِ الصَّحيحَةِ ، وَجاءَتْ هذِهِ الآياتُ تُبَيِّنُ الحُجَّةَ في ذَلِكَ . فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ .

قُلْ يا مُحَمَّدُ لأَهْلِ الكِتابِ أَتَدَّعونَ أَنَّ الدِّينَ الحَقَّ هُوَ اليَهودِيَّةُ والنَّصرانِيَّةُ ، وَتَدَّعونَ أَنَّهُ لَنْ

يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى ، وَيُجادِلونَ في هذا الأَمْرِ . وَالهَمْزَةُ في (أَتُحاجّونَنا) لِلاسْتِفْهامِ الاسْتِنْكارِيِّ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ هذا الأَمْرَ ، وَيُقيمُ الحُجَجَ القاطِعَةَ عَلى عَدَمِ صِحَّةِ ما يَقولُهُ أَهْلُ الكِتابِ ، وَهذِهِ الحُجَجُ هِيَ :

١ـ ﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ يُقَرِّرُ سُبْحانَهُ هذِهِ الحقيقَةَ الّتي لا يُمْكِنُ إِنْكارُها ، وَهِيَ أَنَّ اللهَ تَعالى رَبُّ العالَمينَ ، وَهُوَ رَبُّ المُؤْمِنينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ أَيْضاً رَبُّ اليَهودِ والنَّصارى ، فَهُوَ سُبْحانَهُ خالِقُ الخَلْقِ ، وَالجَميعُ مَخلوقاتُهُ ، وَلكِنَّ المَخْلوقاتِ تَتَفاضَلُ في أَعْمالِها ، وَلِذلِكَ قالَ سُبْحانَهُ مُعلِّماً المُؤْمِنينَ : ﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ آثارُ أَعمالِنا تَعودُ عَلَيْنا ، فَإِنْ كانَتْ أَعْمالُنا خَيِّرَةً عادَتْ عَلَيْنا بِالخَيْرِ ، وَإِنْ كانَتْ شَرّاً عادَتْ عَلَيْنا بِالشَّرِّ ، كَما أَنَّ آثارَ أَعمالِكُمْ تَعودُ عَلَيْكُمْ كَذلِكَ ، فَكُلٌّ مِنّا يَخْتَصُّ بِآثارِ أَعمالِهِ ، وَقَدْ دَلَّ عَلى هذا المَعنى تَقَدُّمُ الجارِّ والمَجْرورِ : (لَنا) وَ (لَكُمْ) ، فَنَتيجَةُ أَعمالِنا عائِدَةٌ عَلَيْنا وَحْدَنا ، وَنَتيجَةُ أَعمالِكُمْ عائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ كَذلِكَ .

إِذَنْ كَما أَنَّ اللهَ هُوَ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ ، فَنَتَساوى مَعَكُمْ في أَنَّنا مُخْلوقاتٌ للهِ ، لابُدَّ وأَنْ نَتَساوى مَعَكُمْ في الجَزاءِ عَلى الأَعمالِ الّتي يَعَمَلُها كُلُّ فَريقٍ ، وَالتَّفاضُلُ في المَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ تَعالى إِنَّما يَكونُ بِالأَعْمالِ الصَّالِحَةِ فَقَط وَالإِخْلاصِ فيها .

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ نَحْنُ المُسْلِمونَ مُوَحِّدونَ للهِ تَعالى لَهُ في العَمَلِ وَالعِبادَةِ ، أَمّا أَنْتُمْ فَقَدِ اتَّكَلْتُمْ عَلى أَسْلافِكُمُ الصّالِحينَ ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُفَعاءُ وَوُسطاءُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، وانْحَرَفْتُمْ عَنِ الطَّريقِ الحَقِّ ، الّذي هُوَ التَّقَرُّبُ إِلى اللهِ بِالأَعْمالِ الصّالِحَةِ .

٢ـ الحُجَّةُ الثّانِيَةُ الّتي جاءَتْ رَدّاً عَلى أَهْلِ الكِتابِ في ادِّعائِهِمْ :

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٠ ﴾ .

جاءَتِ الآيَةُ تُبْطِلُ دَعوى أَهْلِ الكِتابِ في أَنَّ أَسلافَهُمْ مِنَ الأَنْبياءِ كانوا هوداً أَوْ نَصارى ، فَيَقولُ لَهُمْ سُبْحانَهُ مُنْكِراً عَلَيْهِمْ ، أَتَدَّعونَ ما ادَّعَيْتُموهُ لاخْتِصاصِكُمْ بِالقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعالى ، أَمْ لأَنَّ أَسْلافَكُمُ الأَنْبياءَ كانوا عَلى اليَهودِيَّةِ أَوِ النَّصْرانِيَّةِ ؟

إِذا كانَ هذا الّذي تَدَّعونَهُ فَأَنْتُمْ كاذِبونَ فيما تَقولونَ ، فَإِنَّ إِبراهيمَ وَإِسماعيلَ وَإِسْحقَ وَيَعقوبَ وَالأَسْباطَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ لَمْ يَكونوا يَهوداً أَوْ نَصارى ؛ إِذْ إِنّ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ اليَهودِيَّةِ والنَّصرانِيَّةِ ، كانا بَعْدَ هؤلاءِ الأَنْبياءِ ، فَاليَهودِيَّةُ ما كانَتْ إِلاّ بَعْدَ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَالنَّصرانِيَّةُ ما كانَتْ إِلاّ بَعْدَ عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، العَقْلُ إِذَنْ يَشْهَدُ بِكَذِبِكُمْ يا أَهْلَ الكِتابِ .
ثُمَّ قالَ لَهُمْ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ قُلْ لَهُمْ يا مُحَمَّدُ ﷺ على سَبيلِ التَّوبيخ لَهُمْ : أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بما كانَ عَلَيْهِ هؤُلاءِ الأَنْبياءُ ، أَم اللهُ هُوَ الأَعْلَمُ بِذلِكَ دونَكُمْ ؟ ولا شَكَّ في أَنَّهُمْ لَنْ يَدَّعوا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِذلِكَ مِنَ اللهِ تَعالى ، بَلْ سَيَقولونَ إِنَّ اللهَ أَعْلَمُ بِذلِكَ ، وَإِذا كانَ الأَمْرُ كَذلِكَ فَدَعواكُمْ لا أَساسَ لَها ، وَبِذلِكَ أَقامَتِ الآيَةُ عَلَيْهِمْ حُجَّةً ثانِيَةً .

٣ـ وَأَقامَ عَلَيْهِمْ سُبْحانَهُ حُجَّةً ثالِثَةً بِرَدِّ ما ادَّعوهُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ والاسْتِفْهامُ : (وَمَنْ) إِنْكارِيٌّ يُفيدُ النَّفيَ ، أَيْ : لا أَحَدَ أَشَدُّ ظُلْماً مِمَّنْ يَكْتُمُ شَهادَةً مُثْبَتَةً في كِتابِ اللهِ تُبَشِّرُ بِأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ نَبِيّاً مِنْ بَني إِخْوَتِهِمْ وَهُمُ العَرَبُ أَبْناءُ سَيِّدِنا إِسماعيلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَهُمْ قَدْ كَتَموا هذا الأَمْرَ قَبْلَ بِعْثَةِ الرَّسولِ ﷺ وبَعْدَ بِعْثَتِهِ كَذلِكَ ، وما يَزالونَ حَتّى اليَوْمَ يُنْكِرونَ هذا الأَمْرَ .

إِنَّ أَهْلَ الكِتابِ ما هُمْ إِلاّ مُجادِلونَ في الحَقِّ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ ، فَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَمَعَ ذلِكَ يُنْكِرونَ ، وإِنَّ ظُلْمَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ انْتَهى بِهِمْ إِلى آخِرِ حُدودِ الظُّلْمِ ، وَهُوَ كِتمانُ شَهادَةِ اللهِ تَعالى تَعَصُّباً لِجِنْسِهِمْ وَكَراهِيَةً لِغَيْرِهِمْ ، فَهُمْ يُريدونَ أَنْ يَكونَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ ، وَلِذا وَبَّخَهُمْ سُبْحانَهُ هَنا بِهذا التَّوبيخِ ، وَاتَّجَهَ بِالوَعيدِ لَهُمْ : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فَهُوَ سُبْحانَهُ لَنْ يَتْرُكَكُمْ ، بَلْ يُعَذِّبُكُمْ أَشَدَّ العَذابِ ، وَهُوَ عالِمٌ مُحيطٌ بِكُلِّ ما تَعْمَلونَ . وَتُعَقِّبُ الآياتُ أَخيراً بِالحَديثِ عَنْ جَماعَةِ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِقَوْلِهِ تَعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

إِنَّ جَماعَةَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَدْ مَضَتْ وانْقَضَتْ بِالمَوْتِ ، لَها عِنْدَ اللهِ تَعالى ما كَسَبَتْ مِنَ الخَيْرِ ، وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ مِنَ الشَّرِّ ، وَلا يَنْفَعُها غَيْرُ صالِحِ أَعمالِها ، وَلا يَضُرُّها سِوى سَيِّءِ الأَعمالِ ، كَذلِكَ الأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لَكُمْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ إِلاّ صالِحُ أَعْمالِكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْلُكوا طَريقَ العَمَلِ الصّالِحِ والإِيمانِ الحَقِّ .

إِنَّ إِبراهيمَ وَبَنيهِ وَحَفَدَتِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَدْ مَضَوْا إِلى رَبِّهِمْ بِسَلامَةِ قُلوبِهِمْ وَإِخلاصِهِم في أَعمالِهِمْ ، وانْقَطَعَتِ النِّسْبَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ ، وَكُلُّ واحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ ، لا يَنْفَعُ أَحَداً مِنْهُمْ عَمَلُ غَيْرِهِ .

إِنَّ جَهْلَ بَعْضِ النّاسِ جَعَلَهُمْ يَعْتَمِدونَ في طَلَبِ سَعادَةِ الآخِرَةِ عَلى كَراماتِ الصّالِحينَ ، فَجاءَ القُرآنُ لِيُبَيِّنَ أَنْ السَّعادَةَ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ مُرْتَبِطَةٌ ارْتِباطاً وَثيقاً بِالكَسْبِ وَالعَمَلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ روحُ الدِّينِ الإلهيِّ هُوَ التَّوْحيدُ وَالإِخلاصُ ، وَكُلُّ أَمْرٍ أَمَرَ بِهِ الدِّينُ ، الغَرَضُ مِنْهُ إِصلاحُ القُلوبِ وَالعُقولِ بِسَلامَةِ الاعْتِقادِ وحُسْنِ القَصْدِ .

٢ـ السَّعادَةُ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ مُرْتَبِطَةٌ ارْتِباطاً وَثيقاً بِالعَمَلِ الصّالِحِ .

٣ـ الجَزاءُ إِنَّما سَيَكونُ عَلى العَمَلِ وَالكَسْبِ ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَتَوَسَّطَ أَوْ يَشْفَعَ لأَحَدٍ عِنْدَ اللهِ تَعالى إلاّ بِإِذْنِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلَةِ التّالِيَةِ :

١ـ مَنِ المُخاطَبُ في الآيَةِ الكَريمَةِ : ﴿قُل أَتُحَاجُّونَنَا﴾ ؟

٢ـ ما مَعنى الهَمْزَةِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ ؟

٣ـ أَقامَتِ الآياتُ الكَريمَةُ بَعْضَ الحُجَجِ عَلى اليَهودِ وَالنَّصارى ، لادِّعائِهِمْ أَنَّ دينَهُمْ هُوَ الحَقُّ ، هاتِ الحُجَّةَ الأولى مُوَضِّحاً لَها .

٤ـ لِماذا تَقَدَّمَ الجارُّ وَالمَجرورُ (لَنا) ، (لَكُمْ) ؟

٥ـ بِمَ يَكونُ التَّفاضُلُ في المَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ تَعالى ؟

٦ـ هاتِ الحُجَّةَ الثّانِيَةَ الّتي أَقامَتْها الآياتُ عَلى اليَهودِ وَالنَّصارى .

٧ـ ما المَقْصودُ بِقَولِهِ تَعالى : ﴿قُل أَأَنتُم أَعلَمُ أَمِ اللهُ﴾ ؟ وَما مَعنى الاسْتِفهامِ هُنا ؟

٨ـ كَيْفَ كَتَمَ اليَهودُ وَالنَّصارى شَهادَةَ اللهِ تَعالى الّتي أَثْبَتَها في كِتابِهِ ؟ وما مَعنى الاسْتِفهامِ ؟

٩ـ بَيِّنْ مَعنى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَتْ﴾ .

١٠ـ هاتِ ما تَسْتَخْلِصُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّا كَسَبتُم﴾ مِنَ الدُّروسِ وَالعِبَرِ .



نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورَةِ الحُجُراتِ الدّالَّةَ عَلى أَنَّ الكَرامَةَ عِنْدَ اللهِ بِالتَّقْوى .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورَةِ الصَّفِّ الدَّالَّةَ على تَبشيرِ سَيِّدِنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِبعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والأرْبَعونَ

سورَةُ البَقرَةِ - القِسْمُ الثّاني والأَرْبَعونَ

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

السُّفَهاءُ : السَّفَهُ : الخِفَّةُ في العَقْلِ الَّذي يُؤَدّي إلى الطَّيْشِ وَالجَهْلِ .

وَلاهُمْ : صَرَفَهُمْ .

قِبْلَتِهِمْ : الجِهَةِ الّتي يَسْتَقْبِلُها الإنْسانُ في الصَّلاةِ .

أُمَّةً وَسَطاً : مُتَوَسِّطينَ مُعْتَدِلينَ .

القِبْلَةَ الّتي كُنْتَ عَلَيْها : التَّوَجُّهَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ .

يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ : يَرْتَدُّ عَنِ الإسْلامِ وَيَرْجِعُ إلى الكُفْرِ .

التَّفسيرُ :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

جاءَتْ هذِهِ الآياتُ الكَريمَةُ لِتُبَيِّنَ سِرّاً مِنْ أَسْرارِ هذا الدِّينِ ، الّذي كانَ أَهْلُ الكِتابِ في غَفْلَةٍ عَنْهُ

وَجَهْلٍ بِهِ ، وَهُوَ سِرُّ تَحويلِ القِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ ، فَالآياتُ مَتَّصِلَةٌ بِما قَبْلَها ، لِكَوْنِها جاءَت في مُحاجَّةِ أَهْلِ الكِتابِ وَمُجادَلَتِهِمْ في أَمْرِ الدِّينِ الّذي مالوا وَانْحَرَفوا عَنْهُ .

وَقَدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ المَقْدِسِ في صَلاتِهِ ، كَما كانَ يُصلّي الأَنْبياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنْ قَبْلُ ، وَلكِنَّهُ كانَ يَتَمَنّى أَنْ يَتَوجَّهَ في صَلاتِهِ إلى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ .

أَخْرَجَ الإِمامُ البُخاريُّ عَنِ البَراءِ بنِ عازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ صَلّى إلى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً ، وَكانَ رَسولُ اللهِ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلاّها العَصْرَ ، وَصَلّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّن كانَ مَعَهُ فَمَرَّ عَلى أَهْلِ المَسْجِدِ وَهُمْ راكِعونَ ، فَقالَ : أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ جِهَةَ مَكَّةَ ، فَداروا كَما هُمْ قِبَلَ البَيْتِ ، وَكانَ اليَهودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ ، إِذْ كانَ يُصَلّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، فَلَمّا وَلّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ أَنْكَروا ذَلِكَ[1] .

لَقَدِ اسْتَجابَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ ، وَلَبّى رَغْبَتَهُ ، فَحَوَّلَ القِبْلَةَ إلى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ .

وَلكِنْ ما مَوْقِفُ اليَهودِ وَالمُنافِقينَ وَالمُشْرِكينَ البَعيدينَ عَنْ دينِ اللهِ تَعالى ، مِنْ تَحويلِ القِبْلَةِ ؟

إِنَّ اليَهودَ وَمَنْ هُمْ عَلى شاكِلَتِهِمْ في بُعْدِهِمْ عَنْ دينِ اللهِ ، قابَلوا هذا الأَمْرَ بِالاسْتِهْزاءِ وَإِثارَةِ الشُّبُهاتِ ، لِتَشْكيكِ المُسْلِمينَ في عَقيدَتِهِمْ ، فَتارَةً تَجِدُ المُشْرِكينَ يَقولونَ إِنَّ مُحَمّداً قَدْ تَحيَّرَ في دينِهِ ، ويوشِكُ أَنْ يَرْجِعَ إلى دينِنا كَما رَجَعَ إلى قِبْلَتِنا وَهِيَ الكَعْبَةُ ، وَتارَةً يَقولُ المُنافِقونَ : ما بالُ المُسْلِمينَ كانوا عَلى قِبْلَةٍ ثُمَّ تَرَكوها ؟ ، وَيَقولُ اليَهودُ : إِنَّ القِبْلَةَ الأولى ، وَهِيَ بَيْتُ المَقْدِسِ إِنْ كانَتْ عَلى حَقٍّ فَقَدْ تَرَكْتُمْ أَيُّها المُسْلِمونَ الحَقَّ ، وَإِنْ كانَتْ عَلى باطِلٍ فَعِبادَتُكُمُ السّابِقَةُ باطِلَةٌ ، وَلَوْ كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيّاً حَقّاً ما تَرَكَ قِبْلَةَ الأَنْبياءِ قَبْلَهُ وَتَحَوَّلَ إلى قِبْلَةٍ غَيْرِها .

وَهؤلاءِ كُلُّهُمْ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعالى بِالسَّفاهَةِ ، سَفاهَةٍ في الرَّأْيِ ، وَسَفاهَةٍ في الأَخْلاقِ ، هؤُلاءِ السُّفَهاءُ سَيَقولونَ : أَيُّ شَيْءٍ لِهؤُلاءِ المُسْلِمينَ حَوَّلَهُمْ وَصَرَفَهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الّتي كانوا عَلَيْها ، وَهِيَ قِبْلَةُ الأَنْبياءِ مِنْ قَبْلُ ؟ وَ (ما) هُنا لِلاسْتِفهامِ الإِنْكاريِّ التَّعَجُّبِيِّ . فَبِماذا أَجابَ اللهُ تَعالى هؤُلاءِ المُنْكِرينَ ؟

إِنَّ هؤُلاءِ السُّفَهاءِ يَعْتَقِدونَ أَن القِبْلَةَ هِيَ الأَصْلُ في الدِّينِ مِنْ حَيْثُ هِيَ الصَّخْرَةُ المَعْنِيَّةُ ، أَوِ البِناءُ المُعَيَّنُ ، فَأَرادَ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ صَخْرَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ لَيْسَتْ بِأَفْضَلَ مِنْ سائِرِ الصُّخور ، فَلَقَّنَ نَبِيَّهُ ﷺ حُجَّةً يَرُدُّ بِها عَلى أُولئِكَ المُنْكِرينَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ أَجِبْهُمْ يا مُحَمَّدُ أَنَّ الجِهاتِ كُلَّها للهِ تَعالى ، وَلا فَضْلَ لِجِهَةٍ عَلى جِهَةٍ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ لَمْ

(١) أخرجه البخاري باب (الصلاة من الإيمان/ كتاب الإيمان) .

يُخَصِّصْ جِهَةً مِنْها لِتَكونَ لِمَنْ شاءَ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ الّذي ﴿ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ أَيْ : يُرْشِدُ اللهُ مَنْ يَشاءُ إِرْشادَهُ إِلى الطَّريقِ المُسْتَقيمِ ، الّذي لا اعوجاجَ فيهِ ، العِبْرَةُ ـ إِذَنْ ـ لَيْسَتْ بِالجِهَةِ وَلٰكِنْ بِتَوَجُّهِ القُلوبِ إِلى اللهِ تَعالى ، والالْتِزامِ بِتَنفيذِ أَمْرِ اللهِ تَعالى . ثُمَّ وَصَفَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ بِأَنَّها أُمَّةٌ خَيِّرَةٌ عادِلَةٌ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

أَيْ : خِياراً وَعُدولاً ؛ وَذٰلِكَ أَنَّ الزِّيادَةَ عَلى المَطْلوبِ في الأَمْرِ إِفْراطٌ ، وَالنَّقْصَ عَنْهُ تَفْريطٌ ، وَفي الإِفْراطِ وَالتَّفْريطِ مَيْلٌ عَنْ الطَّريقِ الصَّحيحِ ، فَالمُسْلِمونَ خِيارٌ عُدولٌ لأَنَّهُمْ وَسَطٌ ، لَيْسوا مِنَ المُغالينَ في الدِّينِ المُفْرِطينَ ، وَلا مِنَ المُقَصِّرينَ المُفَرِّطينَ ، وهٰذِهِ هِيَ الصِّفَةُ تُخَوِّلُكُمْ لأَمْرٍ عَظيمٍ وَمَسْؤوليَّةٍ كُبْرى : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ، أَيّ : لِتَشْهَدوا أَمامَ اللهِ عَلى أُولٰئِكَ الذينَ غالَوْا في الدِّينِ ، وَأُولٰئِكَ الذينَ فَرَّطوا في جَنْبِ اللهِ تَعالى ، وَأَشْبَعوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ اللَّذاتِ ، وَادَّعوا أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ حَياةٌ إِلا الحَياةُ الدُّنيا وَلَيْسَ هُناكَ آخِرَةٌ .

فَالمُسْلِمونَ يَسْبِقونَ الأُمَمَ كُلَّها بِالاعْتِدالِ وَالتَّوَسُّطِ في الأُمورِ ، فَهُمْ يُعْطونَ كُلَّ ذي حَقٍّ فَيُؤَدّونَ حُقوقَ اللهِ ، وَحُقوقَ أَنْفُسِهِمْ ، وَحُقوقَ أَجْسامِهِمْ ، وَحُقوقَ أَقْرِبائِهِمْ ، وَحُقوقَ سائِرِ المُسْلِمينَ .

﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ القُدْوَةُ وَالمَثَلُ الأَعْلى لأُمَّتِهِ ، فَمَنِ اتَّبَعَ سيرَةَ الرَّسولِ ﷺ وَشَريعَتَهُ كانَ مِنَ الأُمَّةِ الوَسَطِ ، الَّذينَ يَشْهَدُ لَهُمْ رَسولُهُمْ بِأَنَّهُمْ عَمِلوا بِسُنَّتِهِ ﷺ ، وَأَنَّهُمُ اسْتَقاموا عَلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ ، فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ .

وَقَدْ أَعْلَمَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ والمُؤْمِنينَ بِما سَيَكونُ مِنَ المُنْكِرينَ ، وَلَقَّنَهُمُ الحُجَّةَ الّتي يَرِدّونَ بِها عَلَيْهِمْ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ هُمْ في مَنْزِلَةِ الشُّهداءِ وَالمُحَكَّمينَ عَلى هَؤلاءِ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ لا يَقِفوا عِنْدَ ظَواهِرِ الأُمورِ ، فَالقِبْلَةُ الّتي وُجِّهوا إِلَيْها لا شَأْنَ لَها في ذاتِها ، وَلٰكِنَّ العِبْرَةَ فيها اجْتِماعُ الأُمَّةِ كُلِّها عَلى قِبْلَةٍ واحِدَةٍ ، وَمِنْ ثُمَّ اجْتِماعُهُمْ عَلى أَمْرِ الرَّسولِ ﷺ . وَيَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ ما جَعَلْنا القِبْلَةَ الّتي كُنْتَ عَلَيْها يا مُحَمَّدُ وَهِيَ بَيْتُ المَقْدِسِ ، إِلاّ اخْتِباراً لِلناسِ ، لِيَتَبَيَّنَ الثّابِتُ عَلى إِيمانِهِ ، فَتُعْلَموا أَنْتُمْ أَيُّها المُؤْمِنونَ المُتَّبِعونَ لِلرَّسولِ ﷺ وَتُعْلَموا كَذٰلِكَ الّذي ارْتَدَّ عَنْ دينِهِ وَعادَ إِلى الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ كانَ مُسْلِماً ، وَالمُرادُ بِالعِلْمِ في قَوْلِهِ تَعالى : (لِنَعْلَمَ) عِلْمُ وُقوعٍ وَوُجودٍ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الجَزاءُ ، وَذٰلِكَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ قَديمٌ فَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ الأَشْياءَ قَبْلَ وُقوعِها أَنَّها سَتَقَعُ ، وَيَعْلَمُها بَعْدَ وُقوعِها أَنَّها وَقَعَتْ .

ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ وتَعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ وَإِنْ كانَ التَّحَوُّلُ عَنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ لَكَبيرَةُ الشَّأْنِ ، شاقَّةٌ ثَقيلَةٌ عَلى مَنْ أَلِفَ التَّوَجُّهَ إلى القِبْلَةِ الأولى ، ذلِكَ أَنَّ الإِنْسانَ إِذا أَلِفَ أَمْراً ما شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحوَّلَ عَنْهُ ، وَبالتّالي فَإِنَّ التَّحَوُّلَ مِنَ القِبْلَةِ الأولى أَمْرٌ شَديدٌ وَشاقٌّ عَلى النّاسِ ، لكِنَّها لَيْسَتْ كَذلِكَ عَلى الَّذينَ هَداهُم اللهُ تَعالى بِمَعْرِفَةِ أَحكامِ دينِهِ وَسِرِّ تَشْريعِهِ ، فَعَلِموا أَنَّ تَعَبُّدَهُمْ للهِ تَعالى لا يَكونُ إِلاّ بِطاعَتِهِ سُبْحانَهُ ، وعَلِموا أَنَّ أَيَّ جِهَةٍ لَيْسَتْ مُعَظَّمَةً لِذاتِها ، وَلكِنْ لأَمْرٍ آخَرَ قَدْ يَكونُ ـ كَما قُلْنا ـ اجْتِماعُ الأُمَّةِ كُلِّها عَلى هذِهِ القِبْلَةِ لِيَكونَ سَبَباً في اتِّحادِهِمْ وَجَمْعِ كَلِمَتِهِمْ .

وَيَقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ما كانَتْ كَلِمَةُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ تَقْضي بِإِضاعَةِ إيمانِكُمْ الذي يَحُثُّكُمْ وَيَحُضُّكُمْ على اتِّباعِ الرَّسولِ ﷺ في الصَّلاةِ ، وَفي التَّوَجُّهِ في الصَّلاةِ إلى قِبْلَةٍ ما ، فَلَوْ كانَ تَحويلُ القِبْلَةِ يُضيعُ إيمانَ النّاسِ وَالثَّوابَ المُتَرَتِّبَ عَلى الإيمانِ لَما حَوَّلَها سُبْحانَهُ ، وَفي هذا بُشْرى لِلمُؤْمِنينَ ، بِأَنَّهُ لَنْ يُضيعَ أَيَّ أَجْرٍ ، ما دامَ أَيُّ عَمَلٍ يَصْدُرُ مِنْهُمْ يَكونُ باعِثُهُ الإيمانَ واتِّباعَ الرَّسولِ ﷺ وَتَنْفيذَ أَمْرِ اللهِ تَعالى .

وَقَدْ أَخْرَجَ الإِمامُ البُخارِيُّ عَنِ البَراءِ بنِ عازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ ماتَ عَلى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجالٌ وَقُتِلوا ، فَلَمْ نَدْرِ ما نَقولُ فيهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ﴾ .

وهذِهِ طَبيعَةُ المُسْلِمِ ، لا يُحِبُّ الخَيْرَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ ، وَلكِنَّهُ يُحِبُّهُ لِغَيْرِهِ كَذلِكَ ، فَقَدْ حُوِّلَتِ القِبْلَةُ الآنَ ، وَتَوَجَّهَ المَوْجودونَ إلى القِبْلَةِ الجَديدَةِ . فَما بالُ أَصحابِنا الَّذينِ ماتوا قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ القِبْلَةُ ، وَقَدْ كانوا يُصَلّونَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ وَلَمْ يَتَوجَّهوا إلى الكَعْبَةِ ، هَلْ مَعنى ذلِكَ أَنَّهُ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الإيمانِ ؟

فَبَيَّنَ لَهُمْ سُبْحانَهُ وَتَعالى أَنَّ اللهَ لا يُضيعُ عَمَلَ أَحَدٍ ما دامُ هذا العَمَلُ مُنْبَثِقاً عَنِ الإيمانِ ، وَطاعَةَ اللهِ وَرَسولِهِ ﷺ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ رَؤوفٌ بِالنّاسِ لا يُضيعُ لأَحَدٍ مِثْقالَ ذَرَّةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الجِهاتُ كُلُّها للهِ تَعالى ، وَهُوَ سُبْحانَهُ لَهُ أَنْ يَخْتارَ جِهَةً مُعَيَّنَةً يَأْمُرُ النّاسَ بِالتَّوجُّهِ إِلَيْها .

٢ـ تَحويلُ القِبْلَةِ كانَتْ ابْتِلاءً واخْتِباراً لِلنّاسِ ، لِيَعْلَمَ الثّابِتَ عَلى دينِهِ مِنْ غَيْرِهِ .

٣ـ المُؤْمِنونَ شُهَداءُ عَلى النّاسِ لأَنَّهُمْ أُمَّةٌ مُعْتَدِلَةٌ في كُلِّ أُمورِها .

٤ـ إِنَّ اللهَ تَعالى يَقْبَلُ عَمَلَ العَبْدِ ما دامَ الباعِثُ إِلَيْهِ الإيمانَ وطاعةَ اللهِ تَعالى ورسولِهِ ﷺ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

السَّفَهاءُ ، ما وَلاّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ ، أَمَّةً وَسَطاً ، يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ .

٢ـ جاءَتِ الآياتُ لِتَتَحدَّثَ عَنْ قَضِيَّةٍ خَطيرَةٍ عَظيمَةٍ ، ما تِلكَ القَضِيَّةُ ؟

٣ـ ما الَّذي كانَ يَوَدُّهُ الرَّسولُ ﷺ ؟

٤ـ هَلِ اسْتَجابَ لَهُ سُبْحانَهُ وتَعالى وَلبّى رَغْبَتَهُ ؟ وَضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ كَيْفَ قابَلَ اليَهودُ ـ لَعَنَهُمُ اللهُ ـ أَمْرَ تَحويلِ القِبْلَةِ ؟

٦ـ بِمَ وَصَفَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ المُنْكِرينَ ؟

٧ـ ناقَشَتِ الآياتُ اليَهودَ المُنْكِرينَ لِتَحويلِ القِبْلَةِ ، هاتِ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ .

٨ـ بِمَ وَصَفَ اللهُ تَعالى الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ ؟

٩ـ بِماذا تَسْبِقُ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ الأُخْرى ؟

١٠ـ عَلى ماذا يَشْهَدُ النَّبيُّ ﷺ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيداً﴾ ؟

١١ـ وَضِّحْ قَوْلَهَ تَعالى : ﴿إلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبيهِ﴾ .

١٢ـ كَيْفَ كانَتِ القِبْلَةُ شاقَّةً وَكَبيرَةً عَلى جَماعَةٍ مِنَ النّاسِ ؟ وَما مَوْقِفُ المُسْلِمينَ مِنْ ذلِكَ ؟

١٣ـ ما المَقْصودُ بِقَولِهِ تَعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُم﴾ ؟ وَعَمَّنْ تَتَحَدَّثُ الآيَةُ ؟

١٤ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّ العِبْرَةَ لَيْسَتْ في التَّوَجُّهِ إلى قِبْلَةٍ ما ، ما الحِكْمَةُ الّتي أَرادَها اللهُ تَعالى مِنْ ذلِكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ هاتِ حَديثاً عَنِ الرَّسولِ ﷺ يَدُلُّ عَلى مَسؤولِيَّةِ الإِنْسانِ عَنْ كُلِّ ما حَوْلَهُ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ هاتِ آيَةً مِنْ كِتابِ اللهِ تَدُلُّ عَلى خَيْرِيَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، والسَّبَبَ في كَونِها كَذلِكَ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ البَقرَةِ - القِسْمُ الثّالِثُ والأَرْبَعونَ

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ : تَطَلُّعَكَ وَتَرَدُّدَ نَظَرِكَ إلى جِهَةِ السَّماءِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ : فَلَنُوَجِّهَنَّكَ .

شَطْرَ : نَحْوَ وجْهِهِ .

أَهواءَهُمْ : جَمْعُ هَوًى ، وَهُوَ ما تَميلُ إِلَيْهِ نُفوسُهُمْ .

التَّفْسيرُ :

لَقَدْ كانَ النَّبِيُّ ﷺ - كَما قُلْنا مِنْ قَبْلُ - يَتَطَلَّعُ لِتَحويلِ القِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى الكَعْبَةِ ، وكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يَنْتَظِرُ هذا الأَمْرَ ، لأَنَّ الكَعْبَةَ كانَتْ قِبْلَةَ أَبيهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، وَهُوَ قَدْ جاءَ لإِحْياءِ مِلَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَقَدْ كانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يَتَطَلَّعُ لأَنْ يُؤْمِنَ بِهِ العَرَبُ ، إذا كانَتْ قِبْلَتَهُ الكَعْبَةُ ، فَهُمْ أَكْثَرُ النّاسِ اسْتِعداداً لِقَبولِ الإيمانِ ، وَيَوَدُّ أَنْ يُخالِفَ اليَهودَ كَذلِكَ في قِبْلَتِهِمْ ، وَهُمُ الذينَ كانوا يَقولونَ إِنَّ مُحَمّداً يُخالِفُنا في دينِنا وَيَتَّبِعُ قِبْلَتَنا ، يَقولُ سُبْحانَهُ وتَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أَيْ : نَرى تَرَدُّدَ نَظَرِكَ جِهَةَ السَّماءِ حيناً بَعْدَ حينٍ ، وَمرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، تَطَلُّعاً إِلى نُزولِ الوَحْيِ عَلَيكَ ، وَتَوَقُّعاً لِما أُلْقِيَ في نَفْسِكَ مِنْ تَحويلِ القِبْلَةِ : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ فَلنجْعَلَنَّكَ يا مُحَمَّدُ تَتَحوَّلُ إِلى قِبْلَةٍ تَرْضاها وَتُحبُّها ، فَها نَحْنُ قَدْ أَجَبْناكَ إِلى ما طَلَبْتَ وَأَعطَيناكَ ما سَأَلْتَ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أَيْ : تَوَجَّهْ في صَلاتِكَ جِهَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ . وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ (المَسْجِدَ الحَرامَ) وَلَمْ يَذْكُرِ (الكَعْبَةَ) ، لأَنَّ المَطلوبَ مِنَ المُسْلِمِ إِذا كانَ بَعيداً عَنِ الكَعْبَةِ بِحَيْثُ لا يَراها ، أَنْ يُراعِيَ جِهَةَ الكَعْبَةِ فَقَطْ ، وَلا يَجِبُ اسْتِقبالُ عَيْنِ الكَعْبَةِ إِلاّ لِمَنْ يَراها ، فَمَنْ يُصَلّي داخِلَ المَسْجِدِ الحَرامِ يَتَوجَّهُ إِلى الكَعْبَةِ مِنْ جَميعِ الجِهاتِ ، بِحَيْثُ تَقَعُ عَيْنُهُ عَلَيْها .

ثُمَّ أَمَرَ سُبْحانَهُ عامَّةَ المُؤْمِنينَ بِاسْتِقبالِ الكَعْبَةِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ في أَيِّ مَكانٍ كُنْتُمْ فَاسْتَقْبِلوا المَسْجِدَ الحَرامَ بِوُجوهِكُمْ في صَلاتِكُمْ ، وهَذا دَليلٌ عَلى أَنَّ المُسْلِمينَ يُصَلّونَ في بِقاعِ الأَرْضِ المُخْتَلِفَةِ إِلى جَميعِ الجِهاتِ ، فَكُلُّ أَهْلِ بَلَدٍ يَتَوجَّهونَ إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ ، فَقَدْ يَقَعُ المَسْجِدُ جِهَةَ المَشْرِقِ لِبَلَدٍ ، أَوْ جِهَةَ المَغْرِبِ لِبَلَدٍ آخَرَ وهَكَذا ، أَمَّا غَيرُ المُسْلِمينَ فَالنَّصارى لا يَتَوجَّهونَ إِلاّ إِلى جِهَةِ المَشْرِقِ ، واليَهودُ لا يَتَوجَّهونَ إِلاّ إِلى جِهَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ .

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ بِالتَّوَجُّهِ إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ ، وَأَتْبَعَهُ بِأَمْرِ المُؤْمِنينَ بِذلِكَ مَعْ أَنَّ عادَةَ القُرآنِ الكَريمِ أَنْ يَجْعَلَ الأَمْرَ الَّذي يُؤْمَرُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ خاصَّةً وَلأُمَّتِهِ عامَّةً .

إِنَّ حادِثَةَ نَقْلِ القِبْلَةِ ، كانَتْ حادِثَةً كَبيرَةً ، اسْتَتْبَعتْ فِتْنَةً عَظيمَةً ، فَأَرادَ اللهُ تَعالى أَنْ يُعْلِمَ المُؤْمِنينَ بِعِنايَتِهِ بِها ، وَيُقَرِّرَها في أَنْفُسِهِمْ ، فَأَكَّدَ الأَمْرَ وَشَرَّفَهُمْ بِالخِطابِ مَعَ خِطابِ الرَّسولِ ﷺ لِتَقْوى قُلوبُهُمْ وتَطْمَئِنَّ نُفوسُهُمْ ، وَيَتَلَقَّوْا تِلكَ الفِتْنَةَ الَّتي أَثارَها المُنافِقونَ وَالكافِرونَ وَاليَهودُ ، بِالثَّباتِ عَلى اتِّباعِ أَوامِرِ اللهِ تَعالى ، ولِئَلاّ يُتَوهَّمَ أَنَّ هذا الأَمْرَ خاصٌّ بِالرَّسولِ ﷺ .

ثُمَّ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ يَعْلَمونَ أَنَّ التَّحويلَ إِلى الكَعْبَةِ هُوَ الحَقُّ الَّذي لا رَيْبَ فيه ، فَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ فَهَؤُلاءِ الَّذينَ يُنكِرونَ تَوَجُّهَكُمْ في صَلاتِكُمْ جِهَةَ الكَعْبَةِ ، لَيَعْلَمونَ أَنَّ هذا الأَمْرَ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، كَما أَنَّ عِنْدَهُمُ الآياتِ البَيِّناتِ الدَّالَّةَ عَلى أَنَّ مُحمَّداً رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَهُمْ مَعْ ذَلِكَ

يَفْتِنونَ ضِعافَ المُؤْمِنينَ عَنْ دينِهِمْ ، وَيُثيرونَ الشُّكوكَ في نُفوسِهِمْ ، وَمِنْ ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى كَذِبَ هَؤلاءِ المُنْكِرينَ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ العَليمُ بِظَواهِرِ الخَلْقِ وَبَواطِنِهِمْ ، وَالرَّقيبُ عَلى الأَعْمالِ ، فَيُجازي كُلَّ عامِلٍ بِما عَمِلَ ، إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ ، وإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ ، وَفي قَوْلِ اللهِ تَعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ تَهديدٌ وَوَعيدٌ شَديدٌ لأَهْلِ الكِتابِ عَلى عِنادِهِمْ ، وإِثارَتِهِمُ الفِتَنَ . وَبَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أَنَّ هؤلاءِ المُنْكِرينَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَنْ يُؤْمِنوا بِكَ أَبَداً يا مُحمَّد مَهما جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ آياتٍ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ ﴾ وَاللهِ لَوْ جِئْتَ يا مُحَمَّدُ بِكُلِّ بُرهانٍ وَحُجَّةٍ تَدُلُّ عَلى صِدْقِكَ وَنُبُوَّتِكَ ، ما تَبِعوا قِبْلَتَكَ كَما لَمْ يَتَّبِعوا دينَكَ ، وَإِنَّ تَرْكَهُمْ لاتِّباعِكَ يا مُحَمَّدُ ، لَيْسَ عَنْ شُبْهَةٍ يُمْكِنُ دَفْعُها بِالحُجَجِ وَالبَراهينِ ، وَلكِنَّهُمْ خالَفوكَ عِناداً وَمُكابَرَةً .

وَكَما أَيْأَسَ اللهُ تَعالى النَّبِيَّ ﷺ مِنَ اتِّباعِ أَهْلِ الكِتابِ لِقِبْلَتِهِ ، أَيْأَسَهُمْ سُبْحانَهُ وتَعالى مِنَ اتِّباعِ النَّبِيِّ ﷺ قِبْلَتَهُمْ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ ﴾ فَأَنْتَ يا مُحَمَّدُ عَلى قِبْلَةِ إِبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ الَّذي يُجِلُّونَهُ ، وَلا يَخْتَلِفونَ في حَقيقَةِ مِلَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَكانَ الأَجْدَرُ بِهِمْ أَنْ يُصَدِّقوا بِما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ ، لأَنَّهُ جاءَ يُحْيي ما كانَ عَلَيْهِ جَدُّهُمْ إِبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ ﴾ فَكُلٌّ مِنْهُمْ مُتَعَصِّبٌ لِقِبْلَتِهِ ، مُقَلِّدٌ تَقليداً أَعمى لِطائِفَتِهِ ، لا يَحيدُ عَنْ شَعائِرِه أَبَداً حَتّى لَوْ كانَتْ باطِلَةً بَعيدَةً عَنْ الحَقِّ ، فَالنَّصارى مُتَمَسِّكونَ بِقِبْلَتِهِمْ ، لا يُمْكِنْ أَنْ يَتَّجِهوا في صَلاتِهِمْ إِلى جِهَةٍ أُخْرى ، وَاليَهودُ مُتَمَسِّكونَ بِقِبْلَتِهِمْ لا يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَجَّهوا إِلى جِهَةٍ غَيْرِها . ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أَيْ : عَلى فَرَضِ أَنْ وافَقْتَهُمْ فيما يُريدونَ ، وَصَلَّيْتَ إِلى قِبْلَتِهِمْ مُجاراةً لَهُمْ ، وَحِرْصاً مِنْكَ عَلى أَنْ يَتَّبِعوكَ وَيُؤْمِنوا بِكَ ، مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ الحَقُّ اليَقينُ بِالنَّصِّ القاطِعِ ، وَالعِلْمِ الَّذي لاشَكَّ فيه ، إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذا وَلَنْ تَفْعَلَهُ يا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ إِذاً مِنَ الظّالِمينَ البَعيدينَ عَنْ الحَقِّ .

وَقَدْ ذَكَرْنا مِنْ قَبْلُ بِأَنَّ التَّعْبيرَ بِـ (إِنْ) لِما هُوَ غَيْرُ مُحَقَّقٍ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ حاشاهُ أَنْ يَتَّبِعَ اليَهودُ وَالنَّصارى وَغَيْرَهُمْ ، وَلكِنْ هذا وَعيدٌ شَديدٌ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ يَتَّبِعُ الهَوى ، وَيُحاوِلُ اسْتِرْضاءَ النّاسِ بِمُجاراتِهِمْ عَلى ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ لَقَدْ تَعَبَّدَنا اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالى فَأَمَرَنا بِالتَّوَجُّهِ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرامِ حَيْثُما كُنّا في أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقاعِ الأَرْضِ ، فَعَلَيْنا بِقَبولِ أَوامِرِ اللهِ تَعالى دونَ جِدالٍ .

٢ـ اليَهودُ يَعْلَمونَ عَنْ مُحَمَّدٍ ودينِهِ ما يَجْعَلُهُمْ يُؤْمِنونَ بِهِ ، وَلكِنَّهُمْ يُنْكِرونَ وَيَجْحَدونَ .

٣ـ إِنَّ الحَقَّ قَوِيٌّ بِذاتِهِ ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ وَجارى أَهْلَ الكِتابِ فَهُوَ ظالِمٌ .

٤ـ اتِّباعُ أَهواءِ النّاسِ وَمُجاراتُهُمْ عَلى الباطِلِ ، وَلَوْ كانَ لِغايَةٍ سَليمَةٍ ، مِثْلَ تَأْليفِ قُلوبِهِمْ لِلدُّخولِ في الإِسْلامِ ، ظُلْمٌ عَظيمٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ لِمَ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَتَطَلَّعُ لِتَحويلِ القِبْلَةِ إِلى البَيْتِ الحَرامِ ؟

٢ـ ما مَعنى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ؟

٣ـ هَلْ أَجابَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ ؟ وَماذا قالَ لَهُ ؟

٤ـ لِمَ ذَكَرَتِ الآياتُ المَسْجِدَ الحَرامَ ، وَلَيْسَ الكَعْبَةَ ؟

٥ـ هَلْ كانَ الأَمْرُ بِالتَّوَجُّهِ إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ خاصّاً بِالنَّبيِّ ﷺ ؟ وَضِّحْ ذلِكَ .

٦ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ خِطابِ الرَّسولِ ﷺ بِتَوَلِيَّهِ جِهَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ ثُمَّ خِطابِ المُؤْمِنينَ بِذلِكَ ؟

٧ـ هَلْ كانَ يَعْلَمُ أَهْلُ الكِتابِ أَنَّ التَّحَوُّلَ إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ حَقٌّ ؟ وَلِمَ كانوا يُثيرونَ الشُّبُهاتِ ؟

٨ـ بِمَ تَوَعَّدَ اللهُ أَهْلَ الكِتابِ ؟ وَلِماذا تَوَعَّدَهُمْ ؟

٩ـ أَيْأَسَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ إِيمانِ أَهْلِ الكِتابِ ، هاتِ الآيَةَ الَّتي تَدُلُّ عَلى ذلِكَ مُوَضِّحاً لَها .

١٠ـ لا يُمْكِنُ لِلنَّبيِّ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ قِبْلَةَ أَهْلِ الكِتابِ أَوْ أَنْ يَتَّبِعوا قِبْلَتَهُ ، وَضِّحْ سَبَبَ ذلِكَ مِنْ خِلالِ الآيةِ .

١١ـ مَنِ المَقْصودُ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَمَا بَعضُهُم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بَعضٍ﴾ ؟

١٢ـ هَلْ يُمْكِنُ لِلنَّبيِّ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ أَهواءَ أَهْلِ الكِتابِ ؟ وَلِمَ خاطَبَهُ بِذلِكَ في الآيَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ جاءَ في كِتابِ اللهِ تَعالى بَعْضُ الأَوامِرِ الخاصَّةِ لِلَّرسولِ بِأُسْلوبٍ خاصٍّ ، هاتِ آيَتَيْنِ ، واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سورَةَ (الكافِرونَ) .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبَعونَ

سورةُ البَقرَةِ - القِسْمُ الرَّابِعُ والأَرْبَعونَ

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَكْتُمونَ : يُخْفونَ .

المُمْتَرينَ : الشّاكّينَ المُتَرَدِّدينَ .

وِجْهَةٌ : قِبْلَةٌ .

مُوَلِّيها : مائِلٌ إِلَيها بِوَجْهِهِ .

التَّفْسيرُ :

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ .

ذَكَرَتِ الآياتُ السّابِقَةُ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ يَعْلَمونَ أَنَّ ما جاءَ بِهِ النَّبِيُّ مِنْ أَمْرِ القِبْلَةِ حَقٌّ ، وَلٰكِنَّهُم

يُنْكِرونَ هذا الحَقَّ عِناداً واسْتِكباراً ، وَتَذْكُرُ هذِهِ الآياتُ إنْكارَهُمْ لِما هُوَ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ لَهُ ، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَهُمْ يَعْرِفونَهُ مِنْ صِفاتِهِ الّتي ذُكِرَتْ في كُتُبِهِمْ وَبَشَّرَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ ، وَهذِهِ الصِّفاتُ لا تَنْطَبِقُ عَلى أَحَدٍ غَيْرِهِ ، فَهُمْ يَعرِفونَ مَثَلاً أَبْناءَهُمُ الَّذينَ هُمْ مِنْ أَصْلابِهِمْ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنْ سَلامٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَهُوَ مِنْ عُلَماءِ اليَهودِ الَّذينَ أَسْلَموا : أَنا أَعْلَمُ بِهِ مِنّي بِابْني ، فَقالَ لَهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : لِمَ ؟ قالَ : لأَنّي لَسْتُ أَشُكُّ في مُحَمَّدٍ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، أَمّا وَلَدي فَلَعلَّ والِدَتَهُ خانَتْ .

وَإِنَّ مِنْهُمْ فَريقاً يَكْتُمُ الحَقَّ وَيُخْفيهِ ، هذا الحَقَّ الّذي لا مِرْيَةَ فيهِ ، وَيَتَمادونَ في إِخْفائِهِ وَجُحودِهِ وَهُمْ يَعْلَمونَ ما يَتَرَتَّبُ عَلى هذا الأَمْرِ مِنْ سوءِ المَصيرِ ، وَقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكْتُموا الحَقَّ كُلُّهُمْ ، إِذْ مِنْهُمْ مَنِ اعتَرَفَ بِالحَقِّ ، وَآمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَحَدَهُ وأَنْكَرَهُ . وَبَيَّنَ سُبْحانَهُ لِلنَّبيِّ ﷺ تَثبيتاً لَهُ أَنَّهُ عَلى الحَقِّ :

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

الحَقُّ هُوَ ما أَتاكَ مِنْ رَبِّكَ وَحْياً ، لا ما يَدَّعيهِ وَيفْتَريهِ اليَهودُ والنَّصارى ، فَالقِبْلَةُ الّتي وَجَّهَكَ اللهُ تَعالى نَحْوَها ، هِيَ القِبْلَةُ الحَقُّ الّتي كانَ عَلَيْها إبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ . فاعْمَلْ بما أَمَرَكَ اللهُ ، وَلا تَكونَنَّ مِنَ المُمْتَرينَ . وَالشَّكُّ لَيْسَ مَقْصوداً مِنَ الرَّسولِ ﷺ ، فَالمَقْصودُ بِهِ أُمَّةُ الرَّسولِ ﷺ .

وانْتَقَلَتِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ لَها قِبْلَتُها الخاصَّةُ بِها الّتي تَتَوَجَّهُ إِلَيْها ، فَقالَ تَعالى :

﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جِهَةٌ تُوَلّيها في صلاتِها ، حَيْثُ تَوَجَّهَ إبراهيمُ وإِسْماعيلُ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلى الكَعْبَةِ ، وَتَوَجَّهَ بَنو إِسْرائيلَ إِلى بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَتَوَجَّهَ النَّصارى إِلى المَشْرِقِ ، فَالقِبْلَةُ إِذاً لَيْسَتْ أَمْراً ثابِتاً حَتّى يُثيرَ أَهْلُ الكِتابِ هذِهِ الفِتْنَةَ والشُّبُهاتِ حَوْلَها ، وَإِذا كانَتِ القِبْلَةُ لَيْسَتِ مِنَ الأُصولِ الّتي تَتَّفِقُ عَلَيْها الأُمَمُ ، وَهِيَ مِنَ الفُروعِ الّتي اخْتَلَفَتْ بِاخْتِلافِ الأُمَمِ ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُبادِروا إِلى فِعْلِ أَنواعِ الخَيْرِ ، وَأَنْ يَكونَ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ سَبّاقاً إِلى الخَيْرِ ، كَما قالَ تَعالى : وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسونَ . ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ . [المطففين : ٢٦] .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) ﴾ .

وبعْدَ أَنْ أَمَرَ سُبْحانَهُ بالاسْتِباقِ إلى الخَيْراتِ ، ذَكَرَ الجزاءَ على ذلكَ ، لِيُبيِّنَ أَنَّ الجزاءَ إنَّما يكونُ على فِعْلِ الخَيْرِ أَوْ تَرْكِهِ ، ولَيْسَ على كَونِ إنسانٍ في بَلَدٍ ، وآخرُ في بَلَدٍ آخرَ ، فأَيْنما تكونوا فإنَّ اللهَ تعالى يَأْتي بِكُمْ ، ويَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الحِسابِ ، فالبلادُ والجهاتُ لا شَأْنَ لَها عِنْدَ اللهِ . وإنَّما الشَّأْنُ لِعَمَلِ الخَيْرِ ، وفي هذا وَعْدٌ وبِشارَةٌ لِمَنْ يُطيعُ أَمْرَ اللهِ تعالى ، ووَعيدٌ لِمَنْ عَصى اللهَ تعالى ، وَهُوَ سُبْحانَهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، لا يُعْجِزُهُ حَشْرُ النّاسِ مَهما تَعَدَّدَتْ بُلدانُهُمْ وجِهاتُهُمْ .

ثُمَّ انْتَقَلَتِ الآياتُ لِتَأْمُرَ النَّبيَّ ﷺ مَرَّةً ثانِيَةً بالتَّوَجُّهِ إلى المَسْجِدِ الحَرامِ في أَيِّ مَكانٍ كانَ ، وفي أَيِّ زَمانٍ ، فالحُكْمُ عامٌّ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ، وبَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ هذا التَّوَلِّي إلى المَسْجِدِ الحَرامِ : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أيْ : إنَّ تَوَلِّيَكَ هُوَ الحَقُّ الثّابِتُ المُحْكَمُ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فَأَنْتُمْ أَيُّها المُخاطَبونَ تَحْتَ نَظَرِ اللهِ تعالى ، لَيْسَ غافِلاً عَنْ أَعْمالِكُمْ .

وذَكَرَ الأَمْرَ بالتَّحَوُّلِ إلى المَسْجِدِ الحَرامِ مَرَّةً ثالِثَةً ، ولكِنْ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ هذا الأَمْرِ ثَلاثَ مَرّاتٍ هُنا ؟ هُناكَ مَنْ يَقولُ أَنَّ هذا كانَ لِلتَّأْكيدِ ، ولكِنَّنا حينَما نُمْعِنُ النَّظَرَ نَجِدُ أَنَّ الآياتِ الكَريمَةَ لَمْ تُذْكَرْ لِلتَّأْكيدِ فَقَط ، وإنَّما كانَ لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْها غَرَضُها الّذي تُؤَدّيهِ ، وغايَتُها الّتي تَقْصِدُ إلَيْها ؛ ونَحْنُ نَعْلَمُ خُطورَةَ هذهِ القَضِيَّةِ ، مِنْ حَيْثُ إنَّها جاءَتْ تَلْبِيَةً لِرَغْبَةِ النَّبيِّ ﷺ ، ومِنْ حَيْثُ ما فيها مِن تَمَيُّزِ المُسْلِمينَ واسْتِقلالِ شَخْصِيَّتِهِمْ ، حَتّى في عِباداتِهِمْ ، ولَقَدْ كانَ تَحويلُ القِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى الكَعْبَةِ أَوَّلَ نَسْخٍ في الإسْلامِ ، لذا وَجَدْنا هذِهِ العِنايَةَ في شَأْنِ هذا التَّحويلِ ، ومَعَ ذلكَ كانَ لِكُلِّ آيَةٍ مَغْزىً خاصٌّ بِها .

فالآيَةُ الأولى جاءَتْ تُبَيِّنُ لِلنَّبيِّ ﷺ والمُؤْمِنينَ ، أَنَّ هذهِ القِبْلَةَ الّتي تَمَنَّيْتُموها ورَغِبْتُمْ فيها ـ وقَدْ عَلِمَ اللهُ بذلكَ مِنْكُمْ ـ اسْتَجابَ اللهُ لَكُمْ فوَجَّهَكُمْ إلَيْها .

وأَمّا الآيَةُ الثّانِيَةُ ، فَلَقَدْ كانَ الأمْرُ فيها لِبَيانِ قَضِيَّةٍ أُخرى ، وهِيَ أَنَّ هذهِ القِبْلَةَ الّتي أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَتَحوَّلوا إلَيْها ، لَنْ تُنْسَخَ أَبَداً وهِيَ القِبْلَةُ الباقِيَةُ ؛ لِذلكَ قالَ تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ ﴾ وأَمّا الآيَةُ الثّالِثَةُ فَجاءَتْ تُبَيِّنُ أَنَّ الهَدَفَ مِنْ هذا الأَمْرِ بالتَّحَوُّلِ إلى هذهِ القِبْلَةِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْطَعوا دابِرَ كُلِّ قَوْلٍ ، فَلا يَبْقى لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ . والمُرادُ بالنّاسِ هُنا أَهْلُ الكِتابِ والمُشْرِكونَ والمُنافِقونَ ، ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ، هذا التحوُّلُ وَالتَّوَجُّهُ لِئَلا يكونَ عَلَيْكُم حُجّةً لأَحَدٍ مِنَ اليَهودِ إلاّ لِلمُعانِدينَ مِنْهُمْ ، الَّذينَ يَقولونَ ما تَرَكَ قِبْلَتَنا إلاّ مَيْلاً إلى دينِ قَوْمِهِ وَحُبّاً لِبَلَدِهِ ، وَلَوْ كانَ عَلى الحَقِّ لَلَزِمَ قِبْلَةَ الأَنْبياءِ قَبْلَهُ ، وَقَدْ أَطْلَقَ اللهُ تَعالى عَلى قَوْلِ المُعانِدينَ حُجَّةً ، لأَنَّهُمْ ساقوا كَلامَهُمْ سِياقَ الحُجَّةِ ، فَهؤُلاءِ لا تَخْشَوْهُمْ في تَوَجُّهِكُمْ إلى الكَعْبَةِ ، لأَنَّ كَلامَهُمْ لا يَسْتَنِدُ إلى حُجَّةٍ ، وَاخْشَوْا اللهَ وَحْدَهُ ، لأَنَّهُ القادِرُ عَلى جَزائِكُمْ ، وَفي خَشْيَتِكُمْ لي ما يُؤَدّي إلى إتْمامِ نِعْمَتي عَلَيْكُمْ بِالهِدايَةِ والسَّدادِ وَالرَّشادِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تَعَنُّتُ أَهْلِ الكِتابِ وَإصرارُهُمْ على الكُفْرِ مَعَ مِنْ عِلْمِهِمْ بِالحَقِّ وَبِنُبُوَّةِ الرَّسولِ ﷺ .

٢ـ الصِّراعُ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ قائِمٌ إلى يَوم الدِّين .

٣ـ الفِتَنُ تُنيرُ الطَّريقَ لأَهْلِ الحَقِّ ، إِذْ إن أَهْلَ الباطِلِ يُثيرونَ الشُّبُهاتِ ، وَيَبْحَثونَ عَنِ الهَفَواتِ ، وَطالِبُ الحَقِّ يَسْتَفيدُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ ، وَيَبْحَثُ عَنِ العِبْرَةِ .

٤ـ امْتِثالُ أَوامِرِ اللهِ تَعالى نِعْمَةٌ عَظيمَةٌ ، وَتكونُ هذِهِ النِّعمَةُ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ إذا كانَتِ الحِكْمَةُ ظاهِرَةً في هذا الأَمْرِ الإلهيِّ ، وَإذا كانَ فيهِ شَرَفٌ للأُمَّةِ .

٥ـ التَّنافُسُ في عَمَلِ الخَيْرِ ، التَّقَرُّبُ إلى اللهِ بِالعباداتِ وَالطّاعاتِ .

٦ـ خَشْيَةُ اللهِ تَعالى مِنَ أَعْظَمِ الأُمورِ الدّالَّةِ عَلى صِدْقِ المُؤْمِنِ ، وَهِيَ تُجَنِّبُ الأُمَّةَ الكَثيرَ مِنَ الزَّلاتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ يُنْكِرونَ أَمْراً عَظيماً ، ما هذا الأَمْرُ ؟

٢ـ هَلْ كانَ أَهْلُ الكِتابِ يَعْرِفونَ النَّبيَّ ﷺ ؟ اذْكُرْ دَليلَ ذلِكَ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ .

٣ـ كَيْفَ كانَتْ مَعْرِفَتُهُمْ لِلنَّبيِّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ لأَبْنائِهِمْ ؟

٤ـ ما مَعْنى : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ؟ وَهَلْ هذا مَقْصودٌ في حَقِّ النَّبيِّ ﷺ ؟

٥ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ﴾ .

٦ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الجَزاءَ الَّذي أَعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِهؤلاءِ الَّذينَ يَتَسابَقونَ في الخَيراتِ ، وَضِّحْ ذلِكَ .

٧ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ تَحويلِ القِبْلَةِ ثَلاثَ مَرّاتٍ في السّورَةِ الكَريمَةِ ؟

٨ـ ما المَنافِعُ المَرْجُوَّةُ مِنَ التِزامِ المُسْلِمينَ بِالتَّوَجُّهِ إِلى البَيْتِ الحَرامِ كَما ذَكَرَتْها الآياتُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَسماءَ بَعْضِ اليَهودِ الَّذينَ أَسْلَموا وَاتَّبَعوا مُحَمَّداً ﷺ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ

سورةُ البَقرةِ - القِسْمُ الخامِسُ والأَرْبَعونَ

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يُزَكِّيكُمْ : يُطَهِّرُكُمْ مِنَ الشِّرْكِ ، ويَرْفَعُ مِنْ أخلاقِكُمْ .

الحِكْمَةَ : سُنَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، أو حُسْنَ الفَهْمِ عَنْهُ .

بالصَّبْرِ : بتَوْطينِ النَّفْسِ على احْتِمالِ المَكارِهِ .

لَنَبْلُوَنَّكُمْ : لَنَخْتَبِرَنَّكُمْ ونَمْتَحِنَنَّكُمْ .

مُصيبَةٌ : أَمْرٌ مَكْروهٌ .

التَّفْسيرُ :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

ما زالَ السِّياقُ ، سِياقَ تَحويلِ القِبْلَةِ ، فهو سُبْحانَهُ يَقولُ إنَّهُ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ أيُّها المؤمِنونَ

باسْتيلائِكُمْ عَلى بَيْتِهِ الّذي جَعَلَهُ قِبْلَةً لَكُمْ ، وتَطهيرِكُمْ إيّاهُ مِنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ والأَوْثانِ ، وهُوَ البَيْتُ الّذي جَعَلَهُ في بِلادِكُمْ ، وَجَعَلَهُ مَوْضِعَ فَخْرِكُمْ وعِزِّكُمْ ، كَما أَتَمَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ عَلَيْكُمْ بِإرْسالِهِ رَسولاً مِنْكُمْ ، فالكافُ في (كَما) للتَّشبيهِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ قَدْ أَكْرَمَ العَرَبَ بِأَنْ جَعَلَ الرَّسولَ ﷺ مِنْهُمْ ، وهَذِهِ نِعْمَةٌ لَيْسَ بَعْدَها نِعْمَةٌ .

وهَذا الرَّسولُ لَهُ صِفاتٌ عَظيمةٌ تَدُلُّ عَلى عَظَمَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَهُوَ رَسولٌ مِنْكُمْ ومِنْ صِفاتِهِ :

١ـ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وتِلاوَةُ الآياتِ قِراءَتُها ، والمَقْصودُ بِها آياتُ القُرْآنِ الكَريمِ المتلوَّةُ . وهَذِهِ الآياتُ تَدُلُّ عَلى دينِ التَّوْحيدِ وطُرُقِ الهِدايَةِ الّتي جاءَ بِها مُحَمَّدٌ ﷺ إنّما هِيَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، وهَذِهِ الجُمْلَةُ كَذلِكَ تَدُلُّ عَلى صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ، فَهُوَ أُمِّيٌّ لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ ، ومَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جاءَ يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِ اللهِ العظيمةَ .

وقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهذا الرَّسولِ الّذي يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِهِ ، لأَنَّهُ في ذَلِكَ يَهْديهِمْ إلى الحَقِّ المَصْحوبِ بالدَّليلِ والبُرْهانِ العَقْلِيِّ ، ولَيْسَ بالتَّسليمِ دونَ تَبَصُّرٍ وفَهْمٍ .

٢ـ الصِّفَةُ الثّانِيَةُ ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يُطَهِّرُ نُفوسَكُمْ مِنَ الأَخْلاقِ السَّيِّئَةِ ، ومِنَ الرَّذائِلِ الّتي تَمْقُتُها النَّفْسُ ، ويُحلّي نُفوسَكُمْ بالأَخْلاقِ الحَميدَةِ ، فَقَدْ كانَ مِنْ رَذائِلِهِمْ دَفْنُهُمْ لِبَناتِهِمْ وهُنَّ أَحْياءٌ ، وَقَتْلُهُمْ لأَولادِهِمْ خَوْفاً مِنَ الفَقْرِ ، وسَفْكُ دماءِ بَعْضِهِمْ لأَتْفَهِ الأَسْبابِ ، وعلى رَأْسِ هَذِهِ الرَّذائِلِ الشِّرْكُ باللهِ .

فَرَسولُ اللهِ ﷺ زَكّى المُسْلِمينَ بِتِلْكَ الأَخْلاقِ الكَريمةِ العالِيَةِ ، فَمَلَكوا الشُّعوبَ وفَتَحوا البُلْدانَ ، وكانوا الأَئِمّةَ ، والقادَةَ لأَعْظَمِ الشُّعوبِ . وهَذِهِ الصِّفَةُ تَتَعلَّقُ بِتَهذيبِ الأَخْلاقِ .

٣ـ وانْتَقَلَ بَعْدَ ذِكْرِ الأَخْلاقِ وهِيَ تَربيةٌ بالقُدْوَةِ ، إلى قَضِيَّةِ التَّعليمِ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يُعَلِّمُكُمُ القُرْآنَ الكَريمَ ، فَيُبَيِّنُ لَكُمْ ما خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ مَعانٍ وأَسْرارٍ وحِكَمٍ ، لِتَهْتَدوا بِهَدْيِهِ ، والحِكْمَةُ هِيَ العِلْمُ المُقْتَرِنُ بِأَسْرارِ الأَحْكامِ ومَنافِعِها ، الباعِثُ عَلى العَمَلِ ، والمَقْصودُ بِها السُّنَّةُ الّتي جاءَتْ مُفَصِّلَةً لِمُجْمَلِ القُرْآنِ الكَريمِ ، مُبَيِّنَةً لِمُبْهَمِهِ ، فَكانَتْ سيرَةُ الرَّسولِ ﷺ العَمَلِيَّةُ في بَيْتِهِ ومَعَ أَصْحابِهِ ومَعَ أَعْدائِهِ خَيْرَ هادٍ للأُمَّةِ .

لَقَدْ أَرادَ الرَّسولُ ﷺ أَنْ يَكونَ صَحابَتُهُ فُقَهاءَ حُكَماءَ أَذْكِياءَ ، فالعِلْمُ وَحْدَهُ لا يَكْفي ، ولَكِنْ لابُدَّ مِنْ فِقْهٍ يَفْهَمونَ بِهِ أَسْرارَ الحُكْمِ .

٤ـ ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ ، أَيْ : إنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُعَلِّمُكُمْ مَعَ الكِتابِ والحِكْمَةِ ما لا يُمْكِنُكُمْ مَعْرِفَتُهُ ، إلاّ عَنْ طَريقِ الوَحْيِ ، وذَلِكَ مِثْلُ الأَخْبارِ الغَيْبِيَّةِ ، وسِيَرِ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وأَحْوالِ الأُمَمِ ، ويُعَلِّمُكُمْ كَذلِكَ كَيْفَ تَكونُ شُؤونُكُمْ مَعَ العالَمِ ، ويُعَلِّمُكُمْ

سِياسَةَ الحُروبِ ويُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَعْلَموهُ مِنْ شُؤونِ أَنْفُسِكُمْ .

وَهَذهِ نِعْمَةٌ عَظيمَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى فالواجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُقابِلوها بِما يَليقُ بِها ، ولِذلِكَ قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾ .

أيْ اذْكُروني بِأَلْسِنَتِكُمْ بالحَمْدِ والتَّسْبيحِ والتَّمْجيدِ وتَلاوةِ آياتي ، واذْكُروني بِقُلوبِكُمْ بِتَفَكُّرِكُمْ في الدَّلائِلِ الدَّالَّةِ عَلى ذاتي وصِفاتي ، وبِتَفَكُّرِكُمْ في تَكاليفي وأَحْكامي وأَوامِري ونَواهِيَّ ، وأَسْرارِ مَخْلوقاتي ، فالتَّفَكُّرُ يُقَوِّي مِنْ إيمانِ الإنْسانِ ويُصَفِّي نَفْسَهُ ويُزَكِّيها .

واذْكُروني بِجوارِحِكُمْ ، وذلِكَ بالقِيامِ بِما أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، واجْتِنابِكُمْ ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، فإذا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ذَكَرْتُكُمْ بالرِّعايَةِ والنُّصْرَةِ ، وصَلاحِ الحالِ في الدُّنْيا ، والرَّحْمَةِ وعَظيمِ الثَّوابِ في الآخِرَةِ . وأيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ للإنْسانِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى ، وأَعْظِمْ بحالِ الإنْسانِ إذا كانَ الّذي يَذْكُرُهُ هُوَ خالِقُ العِبادِ كُلِّهِمْ .

أَخْرَجَ الإمامُ البُخارِيُّ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يقول اللهُ تَعالى أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي ، وأنا مَعَهُ حينَ يَذْكُرُني ، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسي ، وإنْ ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعاً ، وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ إليهِ باعاً ، وإنْ أَتاني يَمْشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[1] .

هَكَذا عَلَّمَ اللهُ تَعالى المُؤْمِنَ كَيْفَ يَحْفَظُ اللهُ تَعالى نِعَمَهُ عَلَيْهِ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، ثُمَّ عَلَّمَهُ أَيْضاً كَيْفَ يَزيدهُمُ سُبْحانَهُ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ ، فَقالَ تَعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ اشْكُروا لي هَذهِ النِّعَمَ بالعَمَلِ ، بِأَنْ تَسْتَعْمِلوا تِلْكَ النِّعَمَ فيما خُلِقَتْ لَهُ ، وبِأَنْ تُطيعوني في السِّرِّ والعَلَنِ ، وبِأَنْ تَعْتَرِفوا بِإحْساني إلَيْكُمْ ، ولا تَكْفُروا هَذهِ المِنَنَ وتَجْحَدوها ، وتَسْتَعمِلوها فيما حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ ، قالَ تَعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] ، وفي هذا تَحْذيرٌ للإنْسانِ مِنْ أَنْ يَكْفُرَ باللهِ وبِنِعَمِهِ فَيَحِلَّ عَلَيْهِ ما حَلَّ بالأُمَمِ الأُخْرى ، الّتي كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ تَعالى ، فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخَوْفِ .

الابتلاءُ سُنَّةُ اللهِ في الحياةِ :

لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ تَعالى عَلى الإنْسانِ بِنِعَمٍ كَثيرةٍ ، تِلْكَ الّتي عَدَّدَها عَلَيْنا سُبْحانَهُ وتَعالى ، وقَدْ عَلَّمَنا سُبْحانَهُ كَيْفَ نَحْفَظُ تِلْكَ النِّعَمُ مِنَ الزَّوالِ ، ولَيْسَ هَذا فَقَط ، بَلْ عَلَّمَنا كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْعِمَ اللهُ عَلى

---

(١) صحيحه البخاري ، حديث رقم ٦٧٩٠ .

الإنْسانِ بزيادَةِ تِلْكَ النِّعَمِ ، ولَكنَّ هَذِهِ النِّعَمَ تُقْرَنُ دائماً بِضُروبٍ مِنَ البَلاءِ ، وأَلْوانٍ مِنَ المصائِبِ ، أَعْظَمُها ما يُلاقيهِ الإنْسانُ مِنَ أَهْلِ الباطِلِ ومُقاوَمَتِهِمْ لِلْحَقِّ وأَهْلِهِ وأحبّائِهِ ، لِذا كانَ لابُدّ بَعْدَ الأَمْرِ بالشُّكْرِ مِنَ الأَمْرِ بالصَّبْرِ .

يَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

اسْتَعينوا عَلى إقامَةِ دينِكُمْ والدِّفاعِ عَنْهُ وعَلى فِعْلِ الطّاعاتِ وتَرْكِ المعاصي ، وعَلى احْتِمالِ المَكارِهِ ، وسائِرِ ما يَشُقُّ عَلَيْكُمْ مِنَ مَصائِبِ الحياةِ ، بالصَّبْرِ أَوّلاً . والصَّبْرُ أَنْواعٌ : صَبْرٌ عَلى الطّاعاتِ ، وصَبْرٌ عَنْ المعاصي ، وصَبْرٌ عَلى المَصائِبِ والمكارِهِ الّتي تُصيبُ الإنْسانَ . ولِعِظَمِ الصَّبْرِ ذَكَرَهُ القُرْآنُ الكَريمُ سَبْعينَ مَرَّةً .

والصَّبْرُ مَلَكَةٌ اكْتِسابِيَّةٌ تُمَكِّنُ الإنْسانَ مِنَ الثَّباتِ والاحْتِمالِ ، فَتُهَوِّنُ عَلى صاحِبِها كُلَّ ما يُمْكِنُ أَنْ يُلاقيهِ في سَبيلِ الحَقِّ ونُصْرَتِهِ .

وأَمَرَ سُبْحانَهُ كَذلِكَ بالاسْتِعانَةِ بالصَّلاةِ المَقْرونَةِ بالخُشوعِ والإخْلاصِ والتَّذَلُّلِ والمحَبَّةِ للهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج : ١٩-٢٢] ، وقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقال سُبْحانَهُ : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] ، إذاً لَيْسَ المَقْصودُ بالصَّلاةِ مُجَرَّدُ الحَرَكاتِ مِنْ رُكوعٍ وسُجودٍ ، ولَكِنْ لابُدَّ مِنْ أَنْ تُؤَدّى بِكامِلِ أَرْكانِها ، والّتي مِنْ أهمِّها الخُشوعُ وحَضورُ القَلْبِ مَعَ اللهِ ، ولابُدَّ أَنْ تُؤتي ثِمارَها فَتَنْهى الإنْسانَ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ .

وكِلا هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ فيهِ خُضوعٌ واسْتِسلامٌ للهِ ، فالصَّبْرُ أَشَدُّ الأَعْمالِ الباطِنَةِ عَلى البَدَنِ ، والصَّلاةُ أشَدُّ الأَعْمالِ الظّاهِرَةِ عَليْهِ .

وقَدْ خَتَم سُبْحانَهُ الآيَةَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ فَهُمْ مَوْعودونَ مِنَ اللهِ تَعالى بالنَّصْرِ والمَعونَةِ ، ومَنْ كانَ اللهُ مُعينَهُ وناصِرَهُ فَلا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ ، وتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ في الحياةِ . ولَمْ يَقُلْ لَهُمْ سُبْحانَهُ (إنَّ اللهَ مَعَكُمْ) ولكِنَّهُ قالَ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ لِيُفيدَ أَنَّ مَعونَتَهُ إِنَّما تَصِلُ إِلَيْهِمْ ، إذا صارَ الصَّبْرُ وصْفاً مُلازِماً لَهُمْ . وأَعْظَمُ ما يُسْتَعانُ عَلَيْهِ بالصَّبْرِ والصَّلاةِ :

١ـ القَتْلُ في سَبيلِ اللهِ تَعالى وفي سَبيلِ دَعْوَةِ الحَقِّ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

أيْ : لا تَقولوا في شَأْنِ مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ إعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ تَعالى ، ونُصْرَةِ دينِه إنَّهُمْ أَمْواتٌ ، بَلْ

هُمْ أَحياءٌ في عالَمْ غَيْرِ عالَمِكُمْ ، ولَكِنْ لا تَشْعرونَ بِحَياتِهِمْ ، ولا تَحُسّونَهُمْ بِمَشاعِرِكُمْ ، فَهِيَ حَياةٌ غَيْبِيَّةٌ تَمتازُ بِها أَرْواحُ الشُّهَداءِ ، حَيْثُ يُرْزَقونَ ويَنْعُمونَ ، ولا نَعْرِفُ حَقيقَةَ هذهِ الحَياةِ ، ولا الرِّزْقَ الّذي يَكونُ فيها . قالَ تَعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٩-١٧١] .

٢ـ ومِمّا يُسْتَعانُ عَلَيْهِ بالصَّبْرِ والصَّلاةِ ، المَصائِبُ الّتي يَبْتَلي اللهُ بِها النّاسَ ويَمْتَحِنُهُمْ بِها .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ .

أَيْ : واللهِ لَنَخْتَبِرَنَّكُمْ بِبَعْضِ ضُروبٍ :

أ ـ الخَوْفِ ، وهُوَ ذَلِكَ الغَمُّ الّذي يَلْحَقُ بالنَّفْسِ لِتَوَقُّعِها مَكْروهاً ، ومِنْ أَشَدِّ ما تَضْطَرِبُ لَهُ النَّفْسُ خَشْيَتُها مِنْ أَنْ تَقَعَ تَحْتَ يَدِ الأَعْداءِ .

ب ـ ونَخْتَبِرُكُمْ أيضاً بما يُصيبُكُمْ مِنَ الجوعِ ونَقْصِ الثِّمارِ والأَمْوالِ والأَنْفُسِ ، وقَدْ حَدَثَ هَذا مَعَ رسولِ اللهِ وصحابَتِهِ فابْتَلاهُمُ اللهُ بالخَوْفِ مِنَ العَدوِّ ، وابْتَلاهُمْ بالجوعِ حتّى كانَ أَحَدُهُمْ يَشُدُّ بَطْنَهُ بالحَجَرِ مِنْ شِدَّةِ الجوعِ ، وابْتَلاهُمْ بِمَوْتِ مَنْ يُحبّونَ مِنَ الأَبْناءِ والآباءِ .

وإِنَّما كانَتْ هَذِهِ الابْتِلاءاتُ لِيُوَطِّنوا أَنْفُسَهُمْ على الصَّبْرِ ، فإذا أَصابَتْهُمْ هَذِهِ الأُمورُ لَمْ يَجْزَعوا ولَمْ يَحْزَنوا ، وإذا ما صَبَروا اسْتَحَقّوا عَظيمَ الثَّوابِ مِنَ اللهِ تَعالى ، ولِذَلِكَ قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ .

أَيْ : بَشِّرِ الصّابِرينَ الّذينَ يَقولونَ هَذِهِ المَقولَةَ الّتي تُعَبِّرُ عَنْ إيمانِهِمْ بِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ؛ بَشِّرْهُمْ بالظَّفَرِ والنَّصْرِ وحُسْنِ العاقِبَةِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وبَشِّرْهُمْ بالرَّحْمَةِ العَظيمَةِ والإِحْسانِ الجَزيلِ ، فَهُمْ إذا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصيبَةٌ في نُفوسِهِمْ أَوْ أَوْلادِهِمْ أَوْ أموالِهِمْ ، سَلَّموا تَسْليماً مُطْلَقاً للهِ بِقُلوبِهِمْ وأَلْسِنَتِهِمْ وقالوا : ﴿ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ .

أَخْرَجَ الإِمامُ مُسْلِمُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ أَنَّها قالَتْ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ يَقولُ : « ما مِنْ عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصيبَةٌ فَيَقولُ : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجِعونَ ، اللّهُمَّ أَجِرْني في مُصيبَتي واخْلُفْ لي خَيْراً مِنْها ، إلاّ آجَرَهُ في مُصيبَتِهِ ، وأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْها »[1] .

---

(١) صحيح مسلم ، باب ما يقال عند المصيبة ، حديث رقم ٩١٨ .

ما نَتيجَةُ أُولئِكَ الصّابِرينَ ؟

يَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ .

أُولئِكَ الصّابِرونَ لَهُمْ مَغفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ومَدْحٌ على ما فَعَلوا ، ورَحْمَةٌ يَجِدونَ أَثَرَها في قُلوبِهِمْ عِنْدَ حُلولِ المَصائِبِ ، وفي رَحْمَةٍ يَحْسِدُ الكافِرونَ عَلَيْها المُؤْمِنينَ ، لأَنَّ الكافِرَ مَحْرومٌ مِنْ هذهِ الرَّحْمَةِ ، فإذا نَزَلَتْ بِهِ مُصيبَةٌ ضاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ ، حتّى أَنَّهُ يَتَمنّى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ حَياتِهِ لِعِظَمِ ما يَحِلُّ بِهِ ، وأُولئِكَ هُمْ وَحْدَهُمُ المُهْتَدونَ إلى الحَقِّ والصَّوابِ ، وسَيَفوزونَ بالخَيْرِ والرَّحْمَةِ والرّاحَةِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ بالشُّكْرِ تَدومُ النِّعَمُ ، وبالكُفْرِ تَزولُ الأُمَمُ وتَحِلُّ النِّقَمُ .

٢ـ الأَعْمالُ العَظيمَةُ لا تَنْجَحُ إلاّ بالثَّباتِ والدَّأَبِ عَلَيْها ، ومَدارُ ذَلِكَ الصَّبْرُ ، ومَنْ صَبَرَ فَهُو عَلى سُنَّةِ اللهِ ، واللهُ مَعَهُ يُسَهِّلُ لَهُ العَسيرَ ، ويَجْعَلُ لَهُ فَرَجاً مِنْ ضيقِهِ .

٣ـ الابْتِلاءُ سُنَّةُ اللهِ في الحياةِ ، والمُؤْمِنُ المُهْتَدي مَنْ قابَلَ تِلْكَ المَصائِبَ بالصَّبْرِ .

٤ـ المُؤْمِنُ يُسَلِّمُ بِقَدَرِ اللهِ تَعالى ، وإذا أَصابَتْهُ مُصيبَةٌ قالَ : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجِعونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ذَكَرَتِ الآياتُ صِفاتٍ للنَّبيِّ ﷺ ، اذْكُرْ هَذِهِ الصِّفاتِ مَعَ الدَّليلِ .

٢ـ ما المَقْصودُ بِقولِهِ تَعالى : ﴿وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ ؟

٣ـ ما الحِكْمَةُ في قولِهِ تَعالى : ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ ؟

٤ـ كَيْفَ يَنْبَغي عَلى المُسْلِمينَ أَنْ يُقابِلوا نِعْمَةَ اللهِ العَظيمَةَ الّتي أَنْعَمَ بِها عَلَيْهِمْ .

٥ـ كَيْفَ يَكونُ ذِكْرُ اللهِ تَعالى لِمَنْ ذَكَرَهُ ؟

٦ـ ما المقصودُ بالصَّبْرِ ؟ وما أنواعُ الصَّبْرِ ؟

٧ـ لِماذا أَمَرَتِ الآياتُ بالاسْتِعانَةِ بالصَّبْرِ والصَّلاةِ ؟

٨ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أَمْراً عَظيماً يَنْبغي للمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَعينَ عَليْهِ بالصَّبْرِ والصَّلاةِ ، ما هذا الأَمْرُ ؟

٩ـ ما المَقْصودُ بِحياةِ الشُّهداءِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؟

١٠ـ ذَكَرَتِ الآياتُ أَنَّ اللهَ تَعالى يَبْتَلي الإنْسانَ بِبَعْضِ صُنوفِ الابْتِلاءاتِ ، اذْكُرْ بَعْضَ هَذِهِ الأُمورِ ؟

١١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ هذهِ الابْتِلاءاتِ الّتي يَبْتَلي اللهُ بِها الإنْسانَ ؟

١٢ـ ما الجَزاءُ الّذي أَعَدَّهُ اللهُ للصّابِرينَ ؟ وما دَليلُ ذَلِكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ هناكَ آياتٌ كَوْنِيَّةٌ مَرْئِيَّةٌ تَدُلُّ عَلى وَحْدانِيَّةِ اللهِ ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثاً مِنْها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خَمْساً مِنَ الرَّذائِلِ الّتي كانَ العَرَبُ يَتمسَّكونَ بِها قَبْلَ الإسْلامِ ، وجاءَ الإسلامُ وغَيَّرَها .

٣ـ هُناكَ آياتٌ كَثيرةٌ كانَتْ تَشْكُلُ عَلى الصَّحابةِ ، فلا يَفْهمونَها ، ويَرْجِعونَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِثالَيْنِ لِذلِكَ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سورةَ قُرَيْشٍ ، وبَيِّنْ مِنْها نِعَمَ اللهِ عَلى الإنْسانِ .

٥ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سورَةَ العَصْرِ .

٦ـ اكْتُبِ في دَفْتَرِكَ بإيجازٍ ما لَحِقَ بالرَّسولِ ﷺ وبالمُؤْمنينَ عِنْدَما قاطَعَتْهُمْ قُرَيْشٌ في شِعْبِ بَني هاشِمٍ .

٧ـ هَلْ يَتنافى الحُزْنُ مَعَ الصَّبْرِ ، أَجِبْ عَنْ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ ذِكْرِكَ لِما كانَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ حينَ حَضَرَتِ الوَفاةُ ابْنَهُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٨ ـ وَرَدَتْ آيةٌ كَريمةٌ عِنْدَ الحَديثِ عَنْ بَنى إسْرائيلَ بقولِهِ تَعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ ، وَوَرَدَت بِحَقِّ المُؤْمنينَ آيةٌ بِقَوْلِ اللهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، تَدَبَّرِ الآيَتيْنِ ، وَبَيِّنْ ما خَصَّ اللهُ بِهِ المُؤْمنينَ مِنْ أَتْباعِ مُحمّدٍ ﷺ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ البَقرَةِ ـ القِسْمُ السّادِسُ والأَرْبَعونَ

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الصَّفا والمَرْوَةَ : جَبَلانِ صَخْرِيّانِ صغيرانِ قُرْبَ الكَعْبَةِ ، يَسْعى بَيْنَهُما الحُجّاجُ والمُعْتَمِرونَ .

الحَجُّ : لغة : القَصْدُ ، واصْطِلاحاً : قَصْدُ البَيْتِ الحرامِ لأداءِ المَناسِكِ المَعروفَةِ .

شعائِرِ : الشَّعائرُ : مَعالِمُ الدّينِ .

العُمْرَةَ : زيارَةَ البَيْتِ المُعَظَّمِ على وَجْهٍ مَخْصوصٍ .

لا جُناحَ : لا إِثْمَ .

يَلْعَنُهُمْ : اللَّعنَةُ : الطَّرْدُ والإبْعادُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

التَّفسيرُ :

لَقَدْ تَحدَّثَتِ الآياتُ السّابِقَةُ عَنْ قَضيَّةِ تَحويلِ القِبْلَةِ ، وتَتَحدَّثُ هَذِهِ الآياتُ عَنْ شَعيرةٍ مُتَّصِلَةٍ بالبَيْتِ الحَرامِ وهِيَ مَناسِكُ الحَجِّ . يَقولُ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ إنَّ هَذَيْنِ المَوْضِعَيْنِ مِنْ عَلاماتِ دينِ اللهِ تَعالى ، وكُلُّ ما يَقومُ بِهِ المُسْلِمُ مِنْ أعمالِ الحَجِّ ، تُسَمّى شَعائِرَ ، وكلُّ ما تَعبَّدْنا اللهَ بِهِ مِنْ صلاةٍ وحَجٍّ تُسمّى شَعائِرَ ، ولَكِنْ غَلَبَ اسْتِعمالُ هَذِهِ الكَلِمَةِ عَلى أعْمالِ الحَجِّ ، فقدْ قالَ تَعالى : ﴿ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ ، والصَّفا والمَرْوَةُ شَعيرتانِ مِنْ شَعائِرِ الحَجِّ أَمَرَنا اللهُ بالسَّعْي بَيْنَهما ، يَقولُ سُبْحانَهُ : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ مَنْ أدّى فَريضَةَ الحَجِّ ، أو أَدّى العُمْرَةَ ، فلا يَتحرَّجُ مِنَ السَّعْي بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ ، وذلِكَ لأنَّ المُشْرِكينَ كانوا يُحْرِمونَ لِصَنَمِهِمُ الّذي يُسَمّى (مناةَ) ، ثُمَّ يَسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوةِ لِيَتَمَسَّحوا وَيَتَبرَّكوا بَصَنَمَيْنِ كانا عَلَيْهما ، فاعْتَقَدَ المُسْلِمونَ أَنَّهُمْ إنْ سَعَوْا بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ ، فَكَأَنَّهُمْ عَظَّموا تِلْكَ الأَصْنامَ ، فَبيَّنَ لَهُمْ سُبْحانَهُ أنْ لا حَرَجَ عَلَيْهِمْ في ذلِكَ ، وإنَّ السَّعْي لابُدَّ مِنْهُ في الحَجِّ والعُمْرَةِ .

أخْرجَ الإمامُ البُخارِيُّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : سَأَلْتُ عائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ فَقُلْتُ لَها : أَرأيْتِ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ فواللهِ ما عَلى أَحَدٍ جُناحٌ أَنْ لا يَطوَّفَ بالصَّفا والمَرْوَةِ! قالَتْ : بِئْسَ ما قُلْتَ يا ابنَ أُخْتي! إنَّ هذهِ الآيَةَ لوَ كانتْ كما أَوَّلْتَها لَكانَتْ : لا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِما ، ولَكِنَّ الآيَةَ أُنْزِلَتْ في الأَنْصارِ ، كانوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِموا يُهِلّونَ لِمناةَ الطّاغِيَةِ ، الّتي كانوا يَعْبُدونَها عِنْدَ المَشْعَرِ ، فَكانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحرَّجُ أَنْ يَطوفَ بالصَّفا والمَرْوَةِ ، فَلَمّا أَسْلَموا سَأَلوا رَسول اللهِ ﷺ عَنْ ذلِكَ ؟ فَقالوا : يا رَسولَ اللهِ ، إنّا كُنّا نَتحرَّجُ أَنْ نَطوفَ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى الآياتِ .

﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ مَنْ تَطوَّعَ في هَذِهِ الشّعائِرِ والمناسِكِ ، فَزادَ على الفَريضةِ ، فَكرَّرَ الحَجَّ أَكْثَرَ مِنْ مَرّةٍ ، أوِ اعْتَمَرَ وكَرَّرَ العُمْرَةَ ؛ فإنَّ اللهَ تَعالى يُجازيهِ بالإِحْسانِ إِحْساناً . وقَدْ عَبَّرَ سُبْحانَهُ وتَعالى عَنْ الإحْسانِ بالشُّكْرِ ؛ وذلِكَ لِتَعْويدِ النّاسِ الآدابَ العالِيَةَ والأَخْلاقَ الحَسَنَةَ ، إذْ إنَّ مَنفعةَ عَمَلِهِمْ عائِدَةٌ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُمْ ، ومَعَ ذلِكَ فَقَدْ شَكَرَهُمُ اللهُ تَعالى على هَذِهِ الأَعْمالِ ، أَفَبَعْدَ هذِهِ النِّعَمِ الكَثيرةِ الّتي يُنْعِمُ اللهُ بِها عَلَيْنا ؛ نُقابِلُها بالجُحودِ والنُّكْرانِ ؟ وهَلْ يَليقُ بالإِنْسانِ أنْ لا يَشْكُرَ نِعْمَةَ مَنْ أَسْدى إليهِ المَعروفَ وغَمَرَهُ بالنِّعَمِ ؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

وبَعْدَ أَنْ تَحدَّثَتِ الآياتُ عَنْ تِلْكَ الشّعائِرِ الّتي تُؤدّى في البَيْتِ الحَرامِ ، أَتْبَعَها سُبْحانَهُ بِبيانِ

عاقبةِ أُولئكَ الّذينَ يَجْحَدونَ نِعَمَ اللهِ تَعالى ، فَيُحاوِلونَ كِتْمانَ الآياتِ الواضِحَةِ البَيِّنَةِ الّتي أَنْزَلها اللهُ تَعالى ، فَأَهْلُ الكِتابِ يُخْفونَ ما أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ سواءً ما كانَ يَتعلَّقُ بِصِفاتِ النَّبيِّ ﷺ الّتي ذُكِرَتْ في كُتُبِهِمْ ، والّتي لا تَنْطَبِقُ إلاّ على الرَّسولِ ﷺ ، حيثُ حَذَفوا الكَثيرَ مِنَ الصِّفاتِ المَذْكورَةِ في التَّوراةِ ، والبِشاراتِ الّتي بَشَّرَتْ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، أَمْ ما كانَ يَتَعلَّقُ بِبَعْضِ الأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ ، حَيْثُ أَخْفَوْا مَثَلاً ما يَتعلَّقُ بِحُكْمِ الزّاني ، وقَدْ كانوا عِنْدَ تَرجَمَةِ كُتُبِهِمْ يُحَرِّفونَ الكَلِمَ ، فَيُتَرْجِمونَ الكَلِمَةَ بِغَيْرِ مَعناها الحَقيقيِّ ، ويُؤَوِّلونَ الكَلِمَ تَأْويلاً بَعيداً عَنِ الحَقِّ ، اتِّباعاً لأَهْوائِهِمْ ؛ هَؤلاءِ الّذينَ يَكْتُمونَ ما أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى وبَيَّنَهُ وَوَضَّحَهُ للنّاسِ في الكِتابِ الّذي يَتْلوهُ النّاسُ ، وقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعالى نَتيجَةً لِكِتْمانِهِمُ اللَّعْنَ والطَّرْدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ ويَلْعَنُهُمْ كَذلِكَ كُلُّ مَنْ تَكونُ مِنْهُ اللَّعَنَةُ كالملائِكَةِ والرُّسُلِ والنّاسِ والمُؤْمِنينَ .

وهَذِهِ الآيَةُ عامّةٌ شامِلَةٌ في كُلِّ مَنْ يَكْتُمُ عِلْماً فَرَضَ اللهُ تَعالى بَيانَهُ للنّاسِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمامُ البُخاريُّ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : إنَّ النّاسَ يَقولونَ أَكْثَرَ أَبو هُريرَةَ ـ أَيْ : مِنْ رِوايَةِ الحَديثِ ـ ولَوْلا آيتانِ في كِتابِ اللهِ ما حَدَّثْتُ حَديثاً ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾[1] .

فَكُلُّ مَنْ يَكْتُمُ آياتِ اللهِ تَعالى ، فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِهذِهِ اللَّعْنَةِ . وعَدَمُ الكِتْمانِ يَتَطَلَّبُ الدَّعْوَةَ إلى الخَيْرِ والأَمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، فَقَدْ لَعَنَ اللهُ تَعالى بَني إسْرائيلَ الّذينَ كانوا لا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَقالَ : ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة : ٧٩] وقالَ سُبْحانَهُ في شَأْنِ المُسْلِمينَ : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وبَعْدَ هذا التَّرهيبِ فَتَحَ سُبْحانَهُ وتَعالى بابَ التَّوْبَةِ للنّاسِ تَرْغيباً لَهُمْ في الفَوْزِ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعالى فَقالَ :

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ .

تَرْغيباً للقُلوبِ الواعِيَةِ الّتي تَخافُ سَخَطَ اللهِ تَعالى وعِقابَهُ ، فَبَيَّنَ أَنَّ اللهَ يَتوبُ على مَنْ كانَ يَكْتُمُ عِلْماً ويَرْحَمُهُ إذا فَعَلَ أُموراً عِدَّةً :

الأَوّلُ : التَّوْبَةُ الخالِصَةُ للهِ تَعالى ، والإنابَةُ إلَيْهِ .

الثّاني : إصْلاحُ حالِهِ ، وذَلِكَ بالتَّقَرُّبِ إلى اللهِ تَعالى بالعَمَلِ الصّالِحِ .

---

(١) أخرجه البخاري ، حديث رقم ١١٨ .

الثّالثُ : بيانُ ما أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى ، وعَدمُ كِتْمانِهِ .

هَؤلاءِ هُمُ الّذينَ يَتوبُ عَليْهِمْ سُبْحانَهُ وتَعالى ، فَهُوَ سُبْحانَهُ التّوّابُ الرّحيمُ ، وكُلَّما أَذْنبَ العَبْدُ وتابَ ورَجَعَ إلى اللهِ ، قَبلَ اللهُ تَوْبَتَهُ ، فأيُّ تَرْغيبٍ أَبْلَغُ مِنْ هذا التّرغيبِ في الرّجوعِ إلى اللهِ والإنابَةِ إليْهِ ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ شُكْرُ المُنْعِمِ سُبْحانَهُ عَلى ما يُسْديهِ مِنْ نِعَمٍ ، رُكْنٌ عَظيمٌ مِنْ أرْكانِ عِمْرانِ البَشَريّةِ ، لأنّهُ يَشْحَذُ العَزائِمَ ويوجِدُ التّنافُسَ بَيْنَ أَصْحابِ الهِمَمِ .

٢ـ الالْتِزامُ بِشَعائِرِ اللهِ تَعالى ، إعْلاءٌ لِدينِهِ سُبْحانَهُ ، ونِكايَةٌ ومُخالَفَةٌ لِلشَّيْطانِ وأَتْباعِهِ .

٣ـ مَنْ كَتَمَ شَيْئاً مِمّا أنْزَلَهُ اللهُ تَعالى ، أوَ تَرَكَ الأَمْرَ بالمَعْروفِ والنَّهيَ عَنِ المُنْكَرِ ، فَقَدْ طُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى .

٤ـ بالتَّوْبَةِ الصّادِقَةِ الخالِصَةِ والعَمَلِ الصّالِحِ والأَمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ يَفوزُ الإنْسانُ بالرَّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ بَيّنْ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

شعائِرِ ، الحَجَّ ، العُمْرَةَ ، لا جُناحَ .

٢ـ اشْرَحْ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿فَلاَ جُناحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ .

٣ـ لِماذا كانَ المُسْلِمونَ يَتحرَّجونَ مِنَ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوةِ ؟

٤ـ ما المَقصودُ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ ؟

٥ـ ما مَعنى : ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ؟ .

٦ـ لِماذا عَبَّرَتِ الآيَةُ عَنِ الإحْسانِ بالشُّكْرِ ؟

٧ـ ما الأُمورُ الّتي يَكْتُمُها أَهْلُ الكِتابِ مِمّا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ ؟

٨ـ هَلْ قَوْلُهُ تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا﴾ خاصٌّ بِفِئَةٍ مُعيَّنةٍ وزَمَنٍ مُعَيَّنٍ ؟

٩ـ اكْتُبْ ما تَستنتِجُهُ مِنْ هَذهِ الآيةِ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ . . . .﴾ ؟

١٠ـ ما النَّتيجَةُ الّتي أعَدّها اللهُ لِمَنْ يَكْتُمُ الآياتِ البيِّناتِ ؟

١١ـ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ الإنْسانُ الّذي كَتَمَ عِلْماً مِنْ أُولئِكَ الّذينَ يَتوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَيَرْحَمُهُمْ ؟ أَجِبْ مِنْ خِلالِ الآياتِ الكَريمَةِ الّتي وَرَدَتْ في الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

- اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حُكْمَ السَّعْي بَيْنَ الصّفا والمَرْوةِ في الحَجِّ والعُمْرَةِ .
- اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ أَوّلِ مَنْ سَعى بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ ، ولماذا كانَ ذَلِكَ .

❋ ❋ ❋